من كتب التراث



الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع

لمحمد المهدي الفاسي

المتوفى سنة 1109هـ

تحقيق وتعليق:

عبد الحي العمروي و عبد الكريم مراد

(من علماء فاس)

الطبعة الأولى ١٤١٥ — ١٩٩٤

مقدمة

نعيد طبع كتاب ممتع الأسماع، مصححين الأخطاء الواردة في الطبعة الأولى، مضيفين بعض الزيادات في الهوامش، محاولين إصداره في حلة جديدة، آملين إرضاء المهتمين بهذا الميدان، معتذرين عما ورد في الطبعة الأولى من الأخطاء ورداءة الطبع، واضعين للكتاب عدة فهارس.

ولقد توخينا من تحقيق هذا الكتاب ونشره الأهداف التالية :

أ) تعميم الكتاب. فقد كان مفقودا، لا يوجد إلا في الخزائن الخاصة.

ب) التعريف بكثير من العلماء والصالحين الذين عاشوا في آخر القرن التاسع والعاشر والحادي عشر من الهجرة وهي الفترة التي خص فيها المؤلف كتابه للتعريف برجالها.

ج) سجل المؤلف في كتابه الممتع بعض الظواهر الاجتماعية، قلما نجد مثلها في مصادر أخرى. انظر مثلا ترجمة يوسف الفاسي رقم 125، فقد أشار المؤلف إلى آفة اجتماعية يسمونها اليوم الشذوذ الجنسي، وفي ترجمة أبي حفص عمر الخطاب رقم 24، وردت الجملة الآتية : ومن عاداتهم ألا يسموا الصداق والشروط إلا ليلة الزفاف.. وفي ترجمة سيدي عمال الفزواني رقم 9 قال : إن أهل الأندلس ينطقون بالقاف القريبة من الكاف، وقال في ترجمة سيدي محمد بن حكيم الأندلسي رقم 124 فكان الناس يأكلون في الأسواق ولم يكن يعهد بفاس قبل ذلك الأكل بالأسواق.

د) سجل المؤلف كثيرا من النكبات التي تعرضت لها فاس أو مراكش أو المغرب بصفة عامة فقد أشار في ترجمة أبي بكر المجاطي المترجم تحت رقم 128 إلى وباء مراكش عام خمسة وستين وتسعمائة، وأشار في ترجمة سيدي محمد الزعري رقم 127 إلى وباء عام ستة وألف، الذي عم الأراضي المغربية، وفي ترجمة سيدي محمد بن حكيم الأندلسي رقم 124 أشار إلى غلاء سنة أربع عشرة وألف. وقال في نفس الترجمة : وكان قبل وقوع زلزلة سنة ثلاث وثلاثين وألف يصيح : الردومات فإذا بالزلزلة المذكورة، فما بقيت دار غالبا بفاس إلا دخلتها الفؤوس.

هـ) يصحح الأخطاء التي وقع فيها بعض المؤرخين، فقد قال في ترجمة الحسن الجزولي : قال بعض الفقهاء : توفي سنة 992 وذكر في الدوحة أن وفاته في العشرة

السادسة من القرن العاشر، فأخطأ فيها، كما يقع له ذلك كثيرا فلهذا أثرانا نقل تاريخه في كثير من تراجمه، ولعله أخطأ أيضا في قوله إنه من أصحاب التباع.

ومثل هذه الأخطاء تقع كثيرا للمؤرخين الأقدمين والمعاصرين، راجع مثلا كتاب أزهار الرياض، في أخبار القاضي عياض للمقري، فقد أخطأ المحققان : سعيد اعراب ومحمد بن تاويت، حينما ذكر المقري عبد الرحمن الفاسي المتوفى عام 1036 فظن المحققان أن المقصود هو عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي سيوطي المغرب فقالا في التعليق : أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، سيوطي زمانه، توفي 1096 انتهى، وليس معقولا أن يذكر المقري عبد الرحمن بن عبد القادر الذي كان عمره يوم توفي المقري سنة واحدة، فالمقري توفي عام 1041 وعبد الرحمن بن عبد القادر ولد عام 1040 والصواب أن المقري حينما قال : وقد سلك هذه الطريقة سامينا وعصرينا العارف الصوفي سيدي عبد الرحمن الفاسي، إنما قصد عبد الرحمن العارف المتوفى سنة 1036 راجع أزهار الرياض، الجزء الرابع، صفحة 319 تحقيق سعيد أعراب ومحمد بن تاويت المطبعة المحمدية بفضالة.

وينقل المؤلف نصوصا تاريخية من كتب مطبوعة على الحجر بفاس مثل مرآة المحاسن، والدوحة، وغير مطبوعة كالإصليت، ومفتاح الفلاح، وعنوان أهل السر المصون للزواوي، وبذل المناصحة للبوسعيدي.

وبالاطلاع على هذه النصوص نستطيع المقارنة بين النصوص الموجودة في المخطوطات القديمة التي كانت على عهد المؤلف، وبين المصادر التي طبعت اليوم، بالإضافة إلى النصوص المنقولة من كتب غير مطبوعة كالإصليت، ومفتاح الفلاح وغيرهما.

والملاحظ أن العصر الذي كتب فيه مؤلفنا ما كتب، كان عصرا زاخرا بالعلماء الأعلام مثل الونشريسي، صاحب النوازل المتوفى عام 914 وعبد الواحد بن عاشر المتوفى 1040، والعربي بردلة المتوفى عام 1133، وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي سيوطي زمانه المتوفى عام 1096، والمقري مؤلف النفح. ولم يشر إلى واحد منهم، باعتبار أنهم ليسوا من أتباع الشيخ الجزولي، بالرغم من أنه ترجم لبعض الشيوخ استطرادا من غير أن يكونوا من المدرسة الجزولية، فهل نستطيع أن نفهم أن هناك انفصاما بين رجال العلم، ورجال الصلاح، أو بين رجال الدنيا، ورجال الآخرة.

ويبدو أن المؤلف، الذي جمع بين ما يسمونه علم الشريعة وما يسمونه علم الحقيقة، كان حريصا في كتابه هذا على مناصرة الفئة الثانية، والدفاع عن بعض مواقفها، ومن ذلك دفاعه عن الشيخ محمد بن علي الهراوي دفين فاس المترجم تحت

رقم 39 فقد كان يدعي رؤية الحق بالبصيرة، ويجعلها كالرؤية بالبصر، وكذا دفاعه عن الشيخ التليدي المترجم تحت رقم 40 الذي كان يشير إلى نفسه بمقام الأفراد، فلما اعترض الشيخ الهبطي المترجم تحت رقم 52 على مقالتهما، أخذ المؤلف يدافع عنهما بنفس طويل، ويبرر كلامهما، معتذراً أحيانا عن الهبطي، ومُنتقداً بعض مواقفه، كإفتائه بجواز العقوبة بالمال، وتفريقه بين الرجل وزوجه، لعدم معرفتهما عقائد الإيمان، وكتفسيره الهيللة تفسيراً مخالفاً لتفسير الجماعة. وقد أثارت هذه القضية ضجة كبيرة بينه وبين اليسيتني، مما دفع الحسن اليوسي إلى تأليف كتاب خاص في الموضوع سماه : مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص، وقد طبع على الحجر بفاس في عهد السلطان عبد الحفيظ عام 1327 وبلغت صفحاته : 419 أرجع إلى اعتراض المؤلف على الهبطي إلى ترجمة سيدي محمد بن علي الهراوي المدعو الطالب، رقم 39.

والكتاب على كل حال مرآة صادقة للحالة التي كان عليها الفكر الديني والعلمي في بلادنا، ولعل التردي السياسي والفتن المشتعلة، والاضطراب الموجع، والمعارك الدامية التي كانت بين أولاد المنصور السعدي، كان لها الأثر في هروب الناس إلى الزوايا حيث الدعة والاطمئنان، والمحبة والأمان، والصفاء والوئام، وارجع إلى محنة المغرب بصفة عامة، وفاس بصفة خاصة إلى كتب التاريخ، ولاسيما : فاس قبل الحماية جـ 1 ص 119 بعنوان : أيام فاس القاتمة ونزهة الحادي صفحة 191.

وقد بذلنا الجهد في تحقيق هذا الكتاب، فاعتمدنا نسخة مخطوطة قديمة مغفلة من تاريخ نسخها، بقياس 30س طولا و21س عرضاً، منمقة حروفها، متسعة سطورها، ملونة كتابتُها، تشتمل كل ورقة على عشرين سطراً، تكرر في أعلى صفحاتها اسم مالكها، زيدان. وفي صفحة أخرى كتب عليها مالكها : أحمد بن علي بن زيدان، الذي يبدو أنه حفيد زيدان، ويظهر من متانة أوراقها، وخطها، أنها قديمة، وربما كان انتساخها قريب العهد من تأليفها. ورمزنا إليها بحرف خ.

كما اعتمدنا نسخة مطبوعة على الحجر بالمطبعة الجديدة بفاس، تاريخها شهر شعبان عام ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف هـ. على عهد المولى عبد العزيز، وقد رمزنا إليها بحرف هـ وقد سرنا في التحقيق على النهج التالي :

1) التعريف بالمؤلف وبالظرف الذي كان يعيش فيه.
2) ترقيم الآيات الكريمة مع ذكر أسماء السور التي وردت فيها.
3) تخريج الأحاديث الواردة في الكتاب وذكر رواتها.
4) تصحيح النص بالمقارنة بين النسختين. أو بالرجوع إلى بعض المصادر الأخرى، ولاسيما المصادر التي ينقل المؤلف منها كالمرآة، والدوحة، وكذا المصادر اللغوية.

5) وضع أرقام مسلسلة للشيوخ الذي ترجمهم، وقد بلغ عددهم 172 علماً.
6) وضع عناوين من الصفحات الخاصة بترجمة الشيخ الجزولي لتتضح العناصر التي ذكرها المؤلف، ولتكون بارزة للباحث، وإن لم تكن من كلام المؤلف.
7) ترجمة الأعلام الواردة في الكتاب عرضاً.
8) التعريف الجغرافي والتاريخي ـ بقدر الإمكان ـ للمدن والأمكنة والقبائل الواردة في الكتاب.
9) الاحالة على رقم الترجمة للأعلام التي يذكرها المؤلف في صلب الكتاب، إذا كانت في جملة الذين عقد لهم المؤلف ترجمة خاصة.
10) شرح الكلمات العامية وترجمتها إلى الفصحى.
11) إغناء الكتاب بوضع ملحقين في آخره.
12) وضع فهارس متنوعة تسهل على الباحث التعرف على ما ورد في الكتاب من أعلام وبلدان، وقبائل الخ.

لقد بذلنا جهدنا في إخراج الكتاب إخراجاً لائقاً، فإن حصل توفيق فبإذنه سبحانه، وإن أخطأنا فنسأله سبحانه أن يتجاوز عنا، فمنه نستمد العون والقوة، ومنه نطلب العفو والمغفرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم
اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

التعريف بالمؤلف وبكتابه

المؤلف :

هو أبو عبد الله، وأبو عيسى محمد المهدي، بن أحمد، المتوفى سنة 1062 ابن علي المتوفى سنة 1030 ابن أبي المحاسن المتوفى سنة 1013 ابن محمد المتوفى سنة 994 ابن أبي الحجاج يوسف المتوفى سنة 920 ابن عبد الرحمن المتوفى سنة 887 وهو أول من قدم من الأندلس إلى فاس.

مولده :

ولد محمد المهدي الفاسي بحومة القطانين، في القصر الكبير، آخر ليلة السبت السابع والعشرين من شهر رجب عام 1033 هجرية، وهو يوافق ماي 1625 ميلادية.

وفاته :

وتوفي يوم السبت التاسع من شعبان عام 1109 هجرية، الموافق 20 فبراير 1698 ميلادية، ودفن بضريح جد أبيه، يوسف الفاسي، وراء ظهره بعد صلاة العصر، خارج باب الفتوح بفاس.

أسرته :

تنتسب الأسرة الفاسية إلى عدي بن كعب بن لؤي بن فهر، وهم من ذرية حافظ الأندلس، أبي بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج بن أبي الجد.

مقرها الأول :

كان مقر سلفهم بالأندلس في مدينة لبلة، من أعمال إشبيليا، ثم انتقلوا إلى مالقة وإشبيليا، وفي حدود عام 880 انتقلوا لفاس.

أول من انتقل منهم لفاس :

وأول من انتقل منهم من الأندلس لفاس، عبد الرحمن وأحمد ابنا أبي بكر بن الجد، حيث سكنا بحومة الشرابليين، بعدوة القرويين واحترفا بصياغة الشمع، حتى اشتهرت العائلة بالشماع، وفي ذلك يقول محمد بن الطيب القادري :

والده العابد للرحمـــــن   وقبره بفاس ذو رضـــوان
وهو الذي أتى من الجزيرة   في همة سنية مشهـــورة

تجارتهم بين فاس والقصر :

وبعد وفاة الأخوين القادمين لفاس، في وباء سنة 887 هجرية خلف عبد الرحمن ولده يوسف، فكان يوسف هذا، يتاجر بين فاس والقصر، وكان القصر الكبير يومئذ مقصودا للتجارة، وسوقا كبرى، تجلب إليه البضائع المحلية من داخل المغرب، والبضائع الأوروبية التي ترد من الخارج، عن طريق الشواطئ التي كانت ـ يومئذ ـ محتلة، وعن الطريقة التجارية المألوفة، وعرف يوسف عند أهل القصر لكثرة تردده إليه وسموه الفاسي، عوضا عن ابن الجد، وعن الشماع، ونسبة الرجال إلى البلدان مما انتقده العلماء، فقد انتقد اليوسي رحمه الله في محاضراته ص 18 طبعة 1976 نسبة الأشخاص إلى بلدانهم، بأن ذلك منافية للإنسان ونقل بيتاً للعراقي وهو :

وشاعت الأنساب بالبلدان   فنسب الأكثر للأوطـــان

كما نقل قول عمر رضي الله عنه :

تعلموا أنسابكم ولا تكونواكالقبط ينتسبون إلى القرى

شيوخ المؤلف في علوم الشريعة :

حفظ القرآن بالقصر الكبير، وأخذ عن أبيه علم المنقول والمعقول، وعن خاله محمد ابن أحمد الفاسي، وانتقل المؤلف من القصر لفاس لإتمام دراسته، فأخذ عن عمه الشيخ عبد القادر الفاسي، وعن الشيخ حمدون المزوار، وعن أبي العباس بن جلال، وعن أبي العباس الزموي وعن محمد بن يوسف الفاسي.

شيوخه في التصوف :

أخذ الطريقة عن ثلاثة شيوخ : أولهم محمد بن عبد الله الأندلسي، وثانيهم تلميذ شيخه الأول : الشيخ قاسم الخصاصي، وثالثهم الشيخ أحمد بن عبد الله معن.

علمه :

قال عنه صاحب السلوة : إنه كان متضلعا في الشريعة والحقيقة سالكا بهما مثلى الطريقة، واسع العارضة في الحفظ والتحصيل، لا يجاريه في التحقيق محقق ولا نبيل، متجردا دائما لتدريس العلم، والتأليف، والتقييد، والإفادة، والاستفادة، صاحب خط رائق، في غاية الإتقان، وقد كان مبرزا بصفة خاصة، في علوم التفسير والحديث، والسير، والأنساب والتاريخ.

عبادته وزهده :

كان مجتهدا في العبادة، متجردا من الدنيا، مكثرا من التلاوة والأذكار، يقوم ليلا بعشرة أحزاب، فلما ضعف قام بخمسة أحزاب.

أنفته وعلو همته :

كان لا يأكل إلا من عمل يده، ينسخ الكتب بخط رائق، وإتقان فائق، وضبط بالغ، ولا ينسخ لمن في ماله شبهة، ولا يأخذ أجرته مجموعة، بل يتقاضاها على حسب ما ينسخ.

مؤلفاتـــه :

لصاحبنا عشرون مؤلفا :

1) شرح كبير على دليل الخيرات.
2) شرح متوسط.
3) شرح صغير.
4) ممتع الأسماع في أخبار الجزولي والتباع ومالهما من الاتباع، وقد طبع على الحجر بفاس عام 1313 وهو الذي نقدمه اليوم للقراء محققا.
5) الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع طبع على الحجر بفاس.
6) تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطريقة الجزولية والزروقية.
7) الجواهر الصفية من المحاسن اليوسفية.
8) روضة المحاسن الزهية بمآثر الشيخ أبي المحاسن البهية.
9) داعي الطرب في أنساب العرب.
10) الرصاصة المطلقة في جوف من رد على أهل المخفية.
11) العقد المنضد من جواهر سيدنا ومولانا محمد.

12) سمط الجوهر الفاخر، من مفاخر النبي الأول والآخر.
13) كفاية المحتاج من خبر صاحب التاج واللواء والمعراج.
14) شفاء الغلة وانقشاع السحابة، عن حكم السكر أول الملة وتنزيه الصحابة.
15) الدرة الغراء في وقف القراء.
16) معونة الناسك بالضروري من المناسك.
17) تحفة الناسك بالمهم من المناسك.
18) عوارف المنة في مناقب سيدي محمد بن عبد الله محيي السنة.
19) فهرسته.
20) اللمعة الخطيرة في مسألة خلق أفعال العباد الشهيرة.

تلامذتــــه :

من تلامذته الذين أخذوا عنه :

1) الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1113، كان إماما بالزاوية الفاسية، وسفيرا للمولى إسماعيل عند الأتراك بالجزائر، صحبة السفير الوزير الغساني.

2) محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1134.

3) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي المتوفى سنة 1109.

4) محمد ابن زاكور المتوفى سنة 1120.

تأليف خاص به :

ألف أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني كتابا خاصا، عرف فيه بمحمد المهدي الفاسي مؤلف ممتع الأسماع، وأحمد هذا، هو أخو سفير المولى إسماعيل إلى إسبانيا محمد الوزير، كان من الملازمين للشيخ أحمد بن عبد الله معن.

واسم هذا الكتاب : جلاء القلب القاسي لمحاسن سيدي المهدي الفاسي.

الذين ترجموا له :

1) السلطان المولى سليمان في كتابه عناية أولى المجد، بذكر آل الفاسي ابن الجد، صفحة 44 و45.

2) محمد بن محمد مخلوف في كتابه شجرة النور الزكية في طبقات المالكية صفحة 328 رقم الترجمة : 1282.

3) محمد بن الطيب القادري في كتابه نشر المثاني جـ : 2 ص : 160 الطبعة الحجرية، وفي الجزء الثالث منه المطبوع سنة 1986 صفحة 80.

4) محمد بن الطيب القادري في كتابه التقاط الدرر.

5) محمد بن محمد بن عبد الله الأفراني الملقب بالصغير، في كتابه صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر ص 211.

6) محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني في كتابه : سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس جـ 2 ص 316.

7) خير الدين الزركلي في كتابه الأعلام جـ 7 ص 113.

8) لفي بروفنصال في كتابه : مؤرخو الشرفاء، صفحة 192 تعريب عبد القادر الخلادي.

عصـــره :

عاش محمد المهدي الفاسي في عصر كثر فيه رجال التصوف، كما كثر المدعون للصوفية وبسبب ذلك اختلطت كثير من المفاهيم، وصعب على الناس التمييز بين الصالحين والمشعوذين، وربما نسب إلى أهل الصلاح ما لم يقولوه وما لم يعملوه، وكما تميز العصر بوجود أعلام كبار في الطريقة، تميز بوجود أعلام آخرين في الشريعة.

المعاصرون :

لقد عمر محمد المهدي الفاسي ستا وسبعين سنة أي ما بين التاريخين الهجريين 1033 و1109 وعاصر في هذه السنوات أبا سالم العياشي المتوفى 1090 وعبد القادر الفاسي المتوفى 1091 ومحمد الشاذلي الدلائي المتوفى 1103 ومحمد بن الشاذلي الدلائي الموفى 1107 ومحمد بن عبد الله الوزاني وابنه محمد التهامي، وعبد السلام ابن الطيب القادري المتوفى 1110 والحسن اليوسي المتوفى سنة 1111 وأحمد بن محمد معن المتوفى 1120 وأحمد بن الشيخ ابن ناصر الدرعي وغيرهم.

مدعون للتصوف :

اندس في صفوف الصوفية خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر كثير من المشعوذين الذين أرادوا الوصول إلى أغراضهم الدنيوية عن طريق التصوف، وأحيانا كان الهدف من ذلك تشويه سمعة التصوف والتقليل من أهمية رجاله.

وذلك ما حدا بكثير من العلماء أن يؤلفوا، ويكتبوا، تمييزا للحق عن الباطل، فألف

ابن خلدون : شفاء السائل بجملة مسائل، وألف أحمد زروق محتسب العلماء والصوفية كتابه : عدة المريد الصادق من أسباب الوقت، في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت، وصنف محمد بن عبد الكريم المغيلي كتابا في الموضوع سماه : تنبيه الغافلين بدعوى مقامات العارفين، وألف محمد بن أحمد الصباغ كتابا سماه : كشف قناع الالتباس عن بعض ما تشتملته بدع مدينة فاس، وتعرض اليوسي في محاضراته لكثير من المدعين والمبتدعة. وقال محمد بن المهدي الفاسي في كتابه : تحفة أهل الصديقية مصرحا ببعض المزالق : أدركت من الجهلة من يقول ما نتوب حتى نجد شيخا نتوب على يديه. وذكر محمد المكي بن موسى الناصري مؤلف الدرر المرصعة رسالة لبعض الأعلام سماها : صفع القفا، لمن لم يتبع سنة المصطفى، انتقد فيها أهل البدع، وذكر مخازي أدعياء التصوف، ويرجع في موضوع المنتحلين للتصوف إلى المقال المسلسل الذي نشره في أعداد متتالية من مجلة البينة ومجلة رسالة المغرب الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله.

مؤثرات في تكوينه :

لسنا مع القائلين بأن الإنسان يصنع التاريخ، ولسنا أيضا مع الذين يقولون إن التاريخ هو الذي يصنع الإنسان، ولكننا نرى أن الإنسان يخضع أولا لمؤثرات مربيه، وأسرته، ثم لمؤثرات بيئته، ومحيطه، فإذا استوى هذا الإنسان واستقل برأيه، كان هو بدوره مؤثرا في مجتمعه، فالإنسان منفعل في البداية فاعل في النهاية. أي إن التاريخ يصنع الإنسان أولا، ثم يتولى الإنسان صنع التاريخ.

وتمشيا مع ذلك، فإننا نرى المؤلف قد بدأ حياته في بيئة اجتماعية سادت فيها الفكرة الصوفية، وتعددت الزوايا، وفي بيئة عائلية تنتمي إلى عالم الفكر والمعرفة والإنتاج، والزهد، والقناعة، فتأثر بجميع ذلك، ونشأ على ذلك، وانتهج منهج آبائه وأشياخه، ولما استقل، أخذ يبدع ويؤلف، ويناضل، ويكافح في سبيل ما يعتقده، طلق يذيع وينشر - عن طريق التأليف - ما يؤمن به، وما يطمئن إليه، فترك بصماته في الحياة الثقافية والدينية. وترك بصماته ولمساته في محيطه ومجتمعه، لقد كان المؤلف العالم صوفيا، وإن شئت فقل : إن هذا المؤلف الصوفي كان عالما، فلا نكاد نميز بين فكره الصوفي، وفكره العلمي.

مفهومان متقاربان :

عهدنا بعلماء الظاهر، يعادون الصوفية، ويتهمونهم بالخروج عن السنة والجماعة، وعهدنا بالصوفية ينكرون على علماء الظاهر وقوفهم مع الظاهر، وجمودهم في الموقف، وتهالكهم على الدنيا، وابتعادهم عن الآخرة.

فهل كانت هذه الظاهرة المألوفة معروفة في عصر المؤلف ؟ إن الذي يدرس الحالة الفكرية للقرنين العاشر والحادي عشر وما قاربهما، يجد تقاربا بين الفكر الصوفي والفكر العلمي. بل امتزجا واختلطا عند كثير من رجال العلم ورجال التصوف، ومؤلف الممتع خير مثال على ذلك، فهو قد تأثر فيما نرى ببيئته العامة، وهي المجتمع المغربي، كما تأثر ببيئته الخاصة، التي هي البيت الفاسي، الذي كان يجمع بين أعلام في علوم الحقيقة والطريقة، وأعلام في علوم الشريعة، وذلك كله هو الذي سوغ للشيخ محمد المهدي الفاسي، أن يورد في كتابه الممتع كثيرا من المسلمات، لأنه أوردها منبعثة من الفكر الصوفي، ومبناه على التسليم وترك الاعتراض. وهو في الوقت نفسه يورد حقائق علمية هامة، منبعثة من الفكر العلمي الصافي المدعم بالحجة والبرهان.

إن المؤلف ينتمي بحكم أسرته إلى الزاوية الفاسية، وهي زاوية جمعت بين حلقات العلم وحلقات الذكر، ولا يشبهها في ذلك إلا الزاوية الدلائية التي جمعت هي أيضا بين الأمرين ولذلك، فغير غريب إذا قلنا إن مؤلف الممتع جمع بين علم الشريعة، وعلم الحقيقة، فإذا تناول بالكتابة المسائل العلمية كانت كتابته مستندة إلى القواعد العلمية معززة بالمنطق والبرهان، وإذا كتب عن التصوف اتسمت كتابته بالإشراقة الروحانية والفكر الوجداني والمسلمات الصوفية.

إنه جمع بين طريقة ابن عربي في المعرفة التي تعتمد في الوصول إلى الحقيقة القلب والمجاهدة والرياضة، وبين طريقة ابن رشد التي تعتمد الفكر والمنطق والفلسفة.

وهما طريقتان طالما أثارتا جدلا صاخبا بين أنصار كل من الطريقتين، وما ابن عربي وابن رشد إلا رائدان من رواد الطريقتين المتباعدتين، حسبما يبدو ذلك من الحوار الطريف الذي جرى بينهما، في لقائهما، وهو لقاء معروف في كتب التاريخ، ونحن هنا لا نصحح ولا نؤيد، ولا نعترض ولا ننكر، وحسبنا أننا نشرنا كتابا للمهتمين، يأخذ كل واحد ما طاب له أن يأخذ، ويترك ما لم يطب له. أو ما لم يوزن عنده بالميزان الذي يزن به الأمور.

ارتباط التصوف بالتاريخ :

ومن المعروف أنه كان للتصوف دور كبير في توجيه الحياة السياسية والثقافية، والاجتماعية، والأدبية، والتربوية، لذا دعت الضرورة إلى دراسته، والتعريف برجاله، وتحديد اتجاهاتهم الفكرية والتعرف على آرائهم عن الناس، وعن الحياة، وعن العوالم التي يدركونها بأبصارهم، وعن العوالم التي يدركونها ببصائرهم.

وإذا كان التاريخ اليوم - يتناول - فيما يتناول حياة المجرمين والفراعنة والمحتالين وسفاكي الدماء، والمشعوذين، والمنافقين، فلم لا يتناول - أيضا رجال الفكر الصوفي

الأصفياء الأطهار ؟ لم لا نتناولهم بالدراسة، وهم الذين يعلمون الناس الابتعاد عن الإجرام والاحتيال والشعوذة والنفاق، ويعودون الناس على الصدق والأمانة والوفاء والصفاء والمحبة والإيثار ؟

إننا مدينون لرجال التصوف بمواقفهم في الدفاع عن الحق، وفي مرابطتهم في الثغور، والذي يدرس تاريخ معظمهم يستيقن أهمية هذا التاريخ، ونحيل القارئ على الملحق الثاني لهذا الكتاب، ليتبين حقيقة ما قلناه، من موقف الشيخ الاغصاوي في قضية تسليم العرائش للاسبان، ونحيله أيضا على ترجمة عبد الله الكوش رقم 65 فقد ذهب مع جماعة من الفقراء لحراسة الثغور، وأسر هناك، ونحيله ثالثا على ترجمة أبي الحسن علي بن عثمان البروتني رقم 42 فقد استشهد وهو يجاهد في واقعة الحومر بين طائفة من المجاهدين وبين النصارى، قرب أصيلا.

الصفحة الأخيرة من النسخة الحجرية لكتاب الممتع

الصفحة الأولى من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم [illegible]

[illegible]

الحمد لله رب العالمين [illegible]

نهاية الكتاب من المخطوطة

انتهى ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع [illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

يقول عبد الله تعالى محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي كان الله له بمنه :

الحمد لله رب العالمين، وبه أستعين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين، وإمام المرسلين، ونخبة الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد فهذا ما تيسر من بعض البعض، من التعريف بمؤلف دلائل الخيرات، الشيخ القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه بذكر بعض أحواله، وزمانه، ومكانه، وكلامه وأتباعه، رضي الله عنهم.

1) الشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي :

نسبه :

فهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان بن سعيد بن يعلى بن يخلف بن موسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن عبد الله بن جندوز بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن حسان بن إسماعيل بن جعفر بن عبد الله الكامل ابن حسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويعرف بالجزولي، لكونه في عداد جزولة، وهي قبيلة البربر بسوس الأقصى، ويقال جزولة وقزولة بالجيم وبالقاف المعقودة وفي الذيل لابن عبد الملك[1] القزولي بقاف معقودة مضمومة، وزاي وواو ومد ولام، انتهى. ويكتب في نسبه السملالي أيضا، وسملالة قبيلة من جزولة وينسب إلى سليمان، فيقال سيدي محمد بن سليمان، وهو جد أبيه كما تقدم، وكثيرا ما ينسب المرء وينتسب قديما وحديثا إلى من فوق والده المباشر لشهرته أو لحصول التعريف به أكثر، وقد يوجد في بعض النسخ : محمد بن سليمان بن أبي بكر بن سليمان، وفي بعضها محمد بن أبي بكر بن سليمان، بإسقاط الواسطة رأسا وهذا النسب الشريف هكذا وجد، لعله سقط شيء منه فإن عبد الله الكامل لا يعرف في ولده جعفر، وفي نسخة معتبرة من دلائل الخيرات على ظهرها رفع النسب إلى جعفر، ثم قال : ابن عبد الله بن حسين بن الحسين بن علي، بن أبي طالب، فكتب فيها حسين بالتصغير في الاسمين معا، مع تكبير عبد الله، فإما أن يكون تكبير عبد الله صوابا، وتصغير حسين تحريفا، ويكون موافقا لما في غيرها، فيأتي على ذكر جعفر فيها في ولد عبد الله الكامل، ما أتى عليه في غيرها مما تقدم، وإما أن يكون تصغير حسين

---

(1) كتاب الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة لمحمد بن عبد الملك المتوفى سنة 703هـ.

صوابا، ويكون المراد بجعفر الملقب بالحجة، والذي في غيرها في والده عبيد الله بالتصغير، ووالده حسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الشهيد، فيكون على هذا قد سقط من النسخة ذكر علي زين العابدين بين الحسين والحسين، ولابد منه، لأن الحسين السبط لم يعقب إلا منه، كما نص عليه ابن خلكان وغيره، ويكون الشيخ على هذا حسينيا لا حسنيا، ويكون لما تحرف[2] في غير النسخة المذكورة حسين بالتصغير إلى حسن بالتكبير، تحرف عبيد الله فكبر، وزيد فيه الوصف بالكمال، إلا أن في كونه حسينيا بعدا، كما يبعد كونه من أولاد جعفر بن الحسن المثنى، ويكون عبد الله الكامل مزيدا غلطا، وفي أولاد إدريس بانى فاس جعفر أيضا، والذي في كتاب القرطاس : أن سليمان بن عبد الله الكامل نزل تلمسان واستوطنها، فكان له بها أولاد كثيرة. فكل حسني هنالك من نسل سليمان بن عبد الله بن حسن، وقد دخل أكثر ولده إلى بلاد لمطة[3] والسوس الأقصى، فما يبعد على هذا أن يكون سقط سليمان بن جعفر وعبد الله الكامل، ويحتمل مع هذا أن يكون هو سليمان المنسوب إليه، حيث يقال سيدي محمد بن سليمان، وليس سليمان بوالده المباشر، والله أعلم بالصواب، ويوجد أيضا في النسب المذكور سليمان بن سعيد بن يعلى، ويوجد سليمان بن يعلى باسقاط سعيد بينهما.

التعريف بـه :

كان رضي الله عنه من العلماء العاملين والأئمة المهتدين، وممن جمع بين شرف الطين[4] والدين وشرف العلم والعمل، والأحوال الربانية الشريفة، والمقامات العالية المنيفة، والهمة العلية السماوية والأخلاق الزكية الرحمانية، والطريقة السنية والعلم اللدني[5] والسر الرباني والتصريف النافذ التام، والخوارق العظام، والكرامات الجسام، وكان قطبا جامعا، وغوثا نافعا مانعا، ووارثا رحمانيا، وإماما ربانيا، اقامه الله في وقته رحمة بالعباد، وبركة ونورا في البلاد جعله موقع نظره من خلقه وخزانة سره، ومظهر نفوذ تصريفه، ومنبع مدده، وكان فياض المدد والإمداد، كثير النفع للعباد، وكان عنده الكيمياء الخاصة الخالصة، التي تقلب الأعيان وتحيل نحاس النفوس ابريزاً في أقرب

---

(2) في المصباح : تحرف مال وعدل.

(3) لمطة قبيلة صنهاجية فيها بطون قارة، وأخرى رحالة، تنتجع الكلأ والمراعي في أنحاء الصحراء مع قبائل الملثمين، وقد اندمجوا مع عبيد المخزن بسوس وانبثوا في أماكن أخرى وخاصة قرب مدينة فاس بجبل زالغ.

(4) يقصد بشرف الطين، ارتفاع النسب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام.

(5) العلم اللدني هو علم مختص به تعالى، لا يعلم إلا بتوفيقه وهو علم الغيب، مأخوذ من قوله تعالى في سورة الكهف : وعلمناه من لدنا علما. الآية 65.

زمان، فانقلب ظلامها نورا، وحزنها سرورا، وتميط خبث شهواتها، وتطلق كثافتها، وترفع الهمم، وتجمع الهم، فانتفع به خلق كثيرون، وتخرج على يده مشايخ مشهورون، وحييت به البلاد والعباد، وجدد الطريقة بالمغرب بعد دروس آثارها، وخبو أنوارها، وانتشر به الفقر، واللهج بذكر الله، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في سائر بلاد المغرب.

وصار أتباعه في سائر نواحيه، ولقد ذكر بعضهم أنه اجتمع من المريدين بين يديه اثنا عشر ألفا وستمائة وخمسة وستون، كلهم ممن نال منه خيرا جزيلا على قدر مراتبهم وقربهم منه، وسيأتي كلامه.

هؤلاء أصحابه الذين أخذوا عنه، ثم تفرقوا في البلاد، فأخذ الناس عنهم، وانتشرت أتباعهم، واشتبكت فروعهم، وامتدت إلى هلم جرا، وحصل بهم نفع كثير عظيم ما لا يوصف ولا يحاط به، وقد كان كثير من أصحابه أيضا تصحبه الآلاف من المريدين وترد عليه الآلاف من الزوار، والوافدين، رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

أقواله رضي الله عنه

قال رضي الله عنه : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي : أنا زين المرسلين، وأنت زين الأولياء، وسيأتي أنه قيل له : فضلتك على أهل عصرك، وقيل له يا عبدي، من تكبر عليك من أولياء الزمان سلبته من نوري، وقال رضي الله عنه : معشر الإخوان ليس هنا معكم إلا جسمي، وأما أنا قد مشيت إليه، وصرت معه، معشر الإخوان تهت ووصلت وصولا لم يصله أحد قط، وقال رضي الله عنه : أقطاب هذه الأمة أنوارهم مع الصحابة رضي الله عنهم، ليس فوقهم إلا نور المصطفى صلى الله عليه وسلم وأنوارهم بين الستة والأربعة(6) ومنهم من يميل إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومنهم من يكون بين المصطفى صلى الله عليه وسلم وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقال رضي الله عنه : قيل لي : ياعبدي من أراد أن ينظر في وجه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فلينظر في وجهك، وقال رضي الله عنه : لا تقولوا رحمكم الله إني آخذ العلم من الأرض أو من السماء، بل آخذه من الملك الحق، من غير أرض ولا سماء، وقال رضي الله عنه : معشر المريدين انظروا إلى مولاكم وهو معي، ليس لي نظر إلا فيه، كما له قد عم صدري، وعم حياتي، وعمني طول حياتي، كما له قد أفناني عما سواه، وقال رضي الله عنه : معشر المريدين، فرحوني بتعظيم ربي وإجلاله، أنا معه، وأنتم لم تشتغلوا بشيء، غبت في أنوار كماله، ومشاهدة جلاله وجماله، ألا لعنة الله على من عبر عن مقام غير مقامه، وقال رضي الله عنه : يامن

(6) كذا في النسختين.

كان ينظر إلي في الأرض، فانظر إلي في السماء، وفي العرش، وفوق ذلك، أما علمتم أن الأقطاب تحتاج إليهم جميع المكونات، هم في مقام النبوءة يفشون السر، أيا من كان بعيدا، فعليك بالمشي إليهم ولو كان من بغداد، المشي إليهم نور ورحمة، وسر في القلوب، وقال رضي الله عنه : ليس العناية من تعنى بالأموال والأولاد، وإنما العناية من تعنى برب الأرباب، ليس العزيز من تعزز بالمال والأولاد، وإنما العزيز من تعزز بالله وصفته، ليس العزيز من تعزز بالقبيلة وحب الجاه، وإنما العزيز من تعزز بالشرف والنسب، وأنا شريف في النسب، جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا أقرب إليه من كل ما خلق الله، وعنايتي في الأزل مصبوغة بالذهب والفضة، يامن أراد الذهب والفضة، فعليك باتباعنا، ومن تبعنا يسكن في أعلى عليين في دار الدنيا والآخرة، ودولتنا كانت الأمم الماضية تدعو أن يلحقوا بها ولكن لا يلحق بها إلا من سبقت له السعادة، دولتنا دولة المجتهدين المجاهدين في سبيل الله، القاتلين أعداء الله، ملوك الأرض كلها في يدي وتحت قدمي، معشر المسلمين، أما علمتم أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قريب مني، وحكمه في يدي، فمن تبعني فهو متبع له، ومن لم يتبعني فليس بمتبع له، سمعته صلى الله عليه وسلم يقول : أنت المهدي، من أراد أن يسعد فليأت إليك، معشر المسلمين : كونوا من أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولا تكونوا من أعدائه بالتكذيب والنكران، والغش والخيانة، معشر المسلمين خلق الله لكم من يهديكم في آخر الزمان فاحمدوه، معشر المسلمين، لا يبغضنا على دين الله عز وجل إلا من ليس له دنيا ولا آخرة، ولا يحسدنا على طاعة الله عز وجل إلا من ليس له حظ عند الله عز وجل، وقال رضي الله عنه : قيل لي : ياعبدي خصصتك بعنايتي في الأزل، فلا أحد يصل إلى عنايتك، ياعبدي سيادتك على أهل المشرق والمغرب الماضين والباقين، ياعبدي وصلتك إلى مقام لا يصل إليه أحد من الواصلين، وقال رضي الله عنه : قيل لي ياعبدي تاهت العقول فيما أعطيتك، وما بقي لك عندي أكثر وأعظم، من قبّل أقدامك بالحب والشوق أتيته يوم القيامة بالعفو والصفح، ياعبدي تنافست الأولياء فيما أعطيتهم، ولا يبلغ أحد ما أعطيتك من كرامتي، ياعبدي لو كانت الملائكة كتابا، والأشجار أقلاما، والبحار مدادا، لا يكتبون من أحوالك السنية إلا مقدار ما يكتب الولد الصغير في اللوح من الأسطار، ياعبدي لا يبلغ أحد مقامك من أوليائي، سبق ذلك في علم الغيب عندي، وعزتي وجلالي لأعطينك يوم القيامة حكما على أوليائي، وقال سيدي علي بن محمد صالح الأندلسي رضي الله عنه في تأليف له : فلو تكلمنا بطرف من كرامات شيخنا سيدي محمد بن محمد بن سليمان الجزولي تداركنا الله برضاه، لحارت الأذهان والعقول الذكية في معانيها انتهى وقوله شيخنا يعني شيخ طريقتهم، وإلا فهو إنما أخذ عنه بواسطة الشيخ التباع رضي الله عنه، كما يأتي.

كيف كان في أول أمره :

وكان الشيخ رضي الله عنه في أول أمره يطلب العلم، فكان بفاس بمدرسة الصفارين، بيته بها مشهور معروف لهذا العهد(7) وذكر الشيخ أبو العباس أحمد بابا السوداني(8) في كفاية المحتاج، أنه كان يحفظ فرعي ابن الحاجب وقال غيره إنه كان يحفظ المدونة ووصفه أبو العباس بابا المذكور في نيل الابتهاج بالعلم والولاية ثم قال : وألف في التصوف، قال أبو العباس في كفاية المحتاج : خرج من بلاده لقتال كان بها، فدخل فاسا، وبها قيد دلائل الخيرات، وبها لقيه الشيخ أحمد زروق انتهى.

ويحتمل أنه في هذه السفرة كان يطلب العلم بفاس، ويحتمل أنها سفرة ثانية، ويذكر أنه لما كان بالمدرسة المذكورة، وكان له بيت يخلو فيه بنفسه لايدخله معه أحد غيره، فبلغ ذلك والده ببلده، فظن، أو قيل له : لا يشده ويمنع من دخوله إلا لكونه له به مال فقدم عليه، ثم طلب منه أن يدخله ذلك البيت، فأجابه إلى ذلك، وأدخله إياه، فرأى حيطانه كلها مكتوبا فيها : الموت، الموت، الموت، فعلم ما هو فيه ولده، ورجع على نفسه باللوم، يقول : انظر أين هذا ؟ وأين نحن ؟ ثم تركه، وانصرف إلى بلده.

جمع كتابه دلائل الخيرات

وذكر أنه جمع كتابه دلائل الخيرات من كتب خزانة جامع القرويين بفاس، وقصد رضي الله عنه فيه كما قال الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد العربي بن سيدي يوسف الفاسي(9) فيما وجدته بخطه : جمع المروي من ألفاظ الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، عنه صلى الله عليه وسلم، وعن غيره، من فضلاء أمته، والاقتداء بهم، والتبرك بأتباعهم، وذلك كله لحسن نيته رضي الله عنه، ويذكر أن سبب جمعه له أنه شاهد من امرأة بفاس أمرا عظيما من خرق العادة، فسألها بم بلغت هذا ؟ فقالت : بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فعكف على الصلاة على النبي صلى الله

---

(7) نقلنا صورة هذا البيت في الصفحة 220 من الكتاب.

(8) هو أحمد بابا بن أحمد بن عمر التكروري السوداني ولد 963هـ وتوفي 1036 أصله من صنهاجة من بيت علم وصلاح، وكان مؤرخا عالما بالحديث والفقه اعتقل سنة 1002هـ ونفي إلى مراكش وأطلق سراحه بعد سنتين، وعاد إلى بلده سنة 1014هـ وكان شديدا في الحق لا يراعي أحدا بلغت تصانيفه 21 منها : نيل الابتهاج بتطريز الديباج مطبوع، وكفاية المحتاج مخطوط. ذكرها مؤلف الموسوعة المغربية ج 3 ص 88، راجع سراحه ومواقفه في الاستقصا جـ 5 ص 129 وما بعدها.

(9) هو محمد العربي بن يوسف الفاسي ولد سنة 988 وتوفي 1052هـ دفن في تطوان ونقلت جثته إلى فاس بعد عامين وله تآليف عديدة منها مرآة المحاسن، وعقد الدرر في نظم نخبة الفكر، وله عليه شرح، ومنظومة في الذكاة ومنظومتان في ألقاب الحديث.

عليه وسلم، وجمع كتابه المذكور، ولاشك أنه كان كثير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك مبنى طريقه وطريق أتباعه، خصوصا كتاب شيخهم دلائل الخيرات، فقد كانوا مواظبين عليه، ومعتنين به، ومتصحبين له.

جمع الشيخ الجزولي بين المحبة الدينية والطينية

قال الشيخ الإمام أبو عبد الله القصار(10) رحمه الله، كان سيدنا محمد بن سليمان الجزولي الشاذلي على محبة عظيمة له صلى الله عليه وسلم، فقد قيل له : فضلالك على أهل عصرك بكثرة صلاتك على حبيبي محمد، وسادتنا الشاذلية رضي الله عنهم، مخصوصون بزيادة محبة فيه صلى الله عليه وسلم لأن طريقهم مبنية على كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهي تفيد ذلك، وأيضا، فإن شيخهم، وشيخه من ذريته صلى الله عليه وسلم، فاجتمعت فيهما المحبتان : الدينية والطينية، فتضاعفت فيهما المحبة، فاستمد أصحابه من مادة قوية جدا، قال سيدنا أبو العباس المرسي(11) رضي الله عنه : لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين، ما عددت نفسي من المسلمين، وكان سيدنا ابن(12) وفا يراه في اليقظة انتهى والشيخ صاحب الترجمة شريف أيضا كما تقدم، وكذا شيخه سيدي محمد بن عبد الله امغار شريف أيضا، على ما عند الشيخ القصار وتلميذه الشيخ أبي العباس أحمد بن سيدي يوسف الفاسي، وكذا ذكره صاحب دوحة الناشر(13) لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، ووجدته أيضا بخط الشيخ أبي عبد الله العربي في غير

---

(10) أبو عبد الله محمد بن قاسم القيسي شهر بالقصار الأندلسي الأصل، الفاسي المنشأ، شيخ الفتوى، العلامة النظار ولد سنة 936 وتوفي سنة 1012 عزم الشيخ بن المنصور ان يتكل به لقوله في الشيخ ولي أخيه أبي فارس : أن أولاد الإماء لا يتقدمون في الأمر على أولاد الحرائر انظر تفصيل ذلك في الاستقصا ج 6 ص 6.

(11) هو أبو العباس أحمد بن عمر المرسي الأنصاري، الإمام العارف بالله أخذ عن الإمام أبي الحسن الشاذلي، ولازمه في الظعن والإقامة وانتفع بصحبته وورث سره، وكان له مجلس عظيم في الحقائق والمعارف توفي بالاسكندرية سنة 683هـ.

(12) علي بن محمد بن وفا المالكي من مؤلفاته الوصايا ولد بالقاهرة سنة 759 وتوفي بها عام 807هـ.

(13) هي من تأليف محمد بن علي الحريفي الشفشاوني، المعروف بابن عسكر ولد 936 وتوفي سنة 986هـ تولى القضاء أكثر من 10 سنين وكان من أبرز شخصيات البلاط السعدي، واسم الكتاب : دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب في القرن العاشر، طبع على الحجر بفاس، ثم طبع أخيرا وقد وجد قتيلا بين جيف النصارى في غزوة وادي المخازن لأنه كان من بطانة الخائن المسلوخ انظر تفصيل ذلك في الاستقصا ج 5 ص 81.

مزواة المحاسن، وكذا شيخ سيدي عبد السلام بن مشيش(١٤) أيضا شريف، وهو سيدي عبد الرحمن بن الحسين الشريف العطار المدني الشهير بالزيات، لسكناه، بحارة الزياتين، فمن كان من هذه الطائفة الجزولية كان في سلسلته خمسة مشايخ شرفاء أولهم : شيخه سيدي محمد بن سليمان، وثانيهم شيخه سيدي محمد بن عبد الله أمغار، وثالثهم شيخ الطريقة سيدي أبو الحسن الشاذلي، ورابعهم شيخه القطب أبو محمد مولاي عبد السلام، وخامسهم شيخه سيدي عبد الرحمن المدني، فإن كان من أصحاب سيدي عبد الله بن حسين أو سيدي عبد الرحمن بن ريسون مثلا، كان في طريقه ستة شرفاء رضي الله عنهم أجمعين، وقوله فضلتك على أهل عصرك، وجدته بخط الشيخ القصار أيضا هكذا.

تفضيل الشيخ الجزولي بكثرة الصلاة على الرسول

وقال رضي الله عنه : قيل لي ياعبدي فضلتك على أهل عصرك، وجدته بخط الشيخ القصار أيضا هكذا، وقال رضي الله عنه قيل لي ياعبدي فضلتك على جميع خلقي، بكثرة صلاتك على نبيي، ياعبدي من تكبر عليك من أولياء الزمان سلبته من نوري انتهى ثم وجدته فيما قيد عن الشيخ رضي الله عنه من الكلام، بلفظ ياعبدي فضلتك على جميع خلقي، بكثرة صلاتك على نبيي، ياعبدي من أطاعك من الأولياء فقد أطاعني، ومن عصاك من الأولياء فقد عصاني، ومن تكبر عليك من أولياء الزمان سلبته من نوري، وقوله على جميع خلقي، يعني الذين في عصره، وذكر صاحب تحفة الإخوان ومواهب الامتنان بلفظ قد فضلتك على أوليائي بكثرة صلاتك على حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أن يكون معنى فضلتك خصصتك، وآثرتك بكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يصلي عليه أحد من العدد ما تصلي أنت، صلى الله عليه وسلم، فالتفضيل واقع بنفس الإكثار من الصلاة والله أعلم. وقال الشيخ القصار فيما وجدته بخطه أيضا : قال سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه : عليكم بذكر الله العظيم، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزيارة أولياء الله، ثم وجدته فيما قيد من الكلام عن الشيخ رضي الله عنه بزيادة : فبذكر الله تطمئن القلوب، وزيارة أولياء الله تعرف الطريق إلى الله، وقال الشيخ القصار أيضا رحمه الله : كان سيدي عبد العزيز التباع شيخ الجماعة يلقن لاإله إلا الله، محمد

---

(14) هو أبو محمد عبد السلام مشيش بن أبي بكر ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي توفي سنة 622هـ أو 24 أو 25 أو 26 مقتولا بجبل العلم، وقد بعث لقتله ابن أبي الطواجن، الكتامي الساحر المدعي النبوة، والصلاة على الرسول المنسوبة إليه مشهورة، أولها : اللهم صل على من منه انشقت الأنوار، شرحها كثير من العلماء منهم، ابن زكري، والبناني، والحراق، والحموسي، وابن عجيبة، والطيب ابن كيران.

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذكر سيدي رضوان(١٥) وقال أيضا كان سيدي عبد الله الغزواني من كبار المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حدثني سيدي رضوان أنه سمعه في العام الذي مات فيه يزغرت، حين ظهر هلال ربيع النبوي، على المولود فيه أفضل الصلاة والسلام انتهى. وثبت أن رائحة المسك توجد من قبر الشيخ صاحب الترجمة رضي الله عنه، من كثرة صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم، وعرف الشيخ أبو عبد الله العربي الفاسي رحمه الله في مرءاة المحاسن ببعضهم فقال : كان مواظبا على قراءة دلائل الخيرات، لشيخ المشايخ أبي عبد الله الجزولي، أخذ ذلك عن مشايخه اتباع الشيخ الجزولي رحم الله جميعهم، ورضي عنهم، وذكروا أن وارث حاله الشيخ سيدي عبد العزيز التباع، قدم عليه لزيارته بعض الفقراء، ومع أحدهم دلائل الخيرات، فقال الشيخ : رائحة دلائل الخيرات عندكم يافقراء، فقال ذلك الفقير الذي هو عنده : نعم هو ياسيدي عندي، فناوله إياه، فحركه الشيخ في يده، ثم قال : إنه سقط منه كرت وكرت، فقابلوه فوجدوه كما قال، قال في المرءاة : وفيه مع كرامة صدق الفراسة، مزيد خصوصية بدلائل الخيرات انتهى.

اقبال الناس على دليل الخيرات :

وكتابه المذكور قد نفع الله به العباد، وأقبل الناس عليه، وسار فيهم مسير الشمس والقمر، واشتهر في البدو والحضر، واكبوا عليه في مشارق الأرض ومغاربها، دون غيره من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، على كثرتها، وسبقيتها، ويجدون له بركة ونوراء، وقال في تحفة الإخوان : وكفاه هذا التأليف العظيم شهادة على سمو قدره، ونمو فخره انتهى وأثر كسوة قلب مؤلفه عليه ظاهر، ومنه لائح، وشدة شغفه بالنبي صلى الله عليه وسلم وتهالكه في حبه منه واضح.

الاعتذار عن بعض العبارات الواردة في دليل الخيرات

ولهذا، ما وقعت فيه بعض العبارات خارجة في الظاهر عن المضمار، فسلمت له لأجل ذلك، منها قوله : وصل على محمد عدد علمك، وقوله عدد ما أحاط به علمك، وأضعاف ذلك، وقوله : كنت حيث كنت.

---

(15) هو أبو الرضا رضوان بن عبد الله الجنوي الفاسي، علم الأعلام حامل لواء المحبة، والمراقبة، والشهود، والعيان، المحدث الصوفي المتفق على علمه وصلاحه أخذ عن الشيخ الغزواني وعن الخروبي، وعنه أخذ القصار له أوراد وأتباع، وفهرسة مولده 912هـ وتوفي 991 هـ بفاس، ألف أحمد المرابي كتاباً عنه، سماه تحفة الاخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان وفي الخزانة العامة نسخة منه تحت رقم 5154 ترجمه المؤلف تحت رقم 53.

قال السيد أبو محمد عبد الله بن عبد الرزاق العثماني رحمه الله : إنه سأل شيخه الإمام الكبير سيدي يوسف بن محمد الفاسي[16] رضي الله عنه عن بعض ذلك، فقال له : في هذا الكتاب ألفاظ لا تحمل على ظاهرها من معروف اللغة، وإنما يسمح له في التعبير بها لما علم من صدق حبه النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وهذه الألفاظ وإن لم تكن من كلامه، لكنه أدخلها في كتابه على ما فيها من الكلام، لكن العذر له ما ذكر من الشغف، وفرط المحبة، وثبت على نسخة من الكتاب على قوله : كنت حيث كنت ما نصه : قال الشيخ رضي الله عنه : أي كان على ما يليق بجلاله وجماله، لا في المكان والجهات.

المقارنة بين دليل الخيرات وكتاب تنبيه الأنام :

ويحكي أن بعض الناس كان عنده دلائل الخيرات وتنبيه الأنام، فكان إذا وضعهما جعل دلائل الخيرات أسفل، وتنبيه الأنام فوقه، فإذا خرج ورجع إلى مسكنه وجد دلائل الخيرات فوق تنبيه الأنام، وقع له ذلك غير مرة ولم يكن يدخل موضعه غيره، ثم حدثني من أثق به عمن حدثه من الطلبة أنه حدثه بذلك من وقع له بنفسه، ويحتمل أنه المحكي عنه أولا، ويحتمل أن يكون غيره، وأن القضية تعددت، وسمعت سيدنا ومولانا وسيلتنا إلى ربنا الشيخ الإمام العارف بالله واحد وقته سيدي أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن معن الأندلسي[17] رضي الله عنه، يقول ما معناه : إن دلائل الخيرات يفيد النور، وتنبيه الأنام يفيد العلم.

دليل الخيرات مجرب لقضاء الحوائج :

ووجدت بخط الشيخ أبي عبد الله العربي رحمه الله على ظهر نسخة من دلائل الخيرات ما نصه : ذكر لي بعض الفقهاء الحفاظ أن مما جرب لقضاء الحوائج، وتفريج الكرب قراءة دلائل الخيرات أربعين مرة، ويجتهد القارئ أن يكمل هذا العدد قبل تمام أربعين يوما، فإن الحاجة تقضي كائنة ما كانت، ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم انتهى.

---

(16) هو أبو المحاسن سيدي يوسف بن محمد الفصري الفاسي العالم الفقيه النوازلي القطب الكامل العارف بالله الواصل أخذ عن ابن جلال والبسيتني وعبد الوهاب الزقاق والمنجور، ورث مقام سيدي عبد الرحمن المجذوب ولد سنة 937 وتوفي 1031 بفاس انظر ترجمته مطولة في الكتاب تحت رقم 125.

(17) ترجمة المؤلف تحت رقم 161.

رجوعه من فاس :

ثم إن الشيخ رضي الله عنه بعدما كان بفاس، رجع منها إلى الساحل فلقي به - فيما ذكره الشيخ أبو العباس بابا في كفاية المحتاج - أوحد وقته، الشيخ أبا عبد الله أمغار الصغير، فأخذ عنه، وهو نزيل رباط تيطنفطر، قرية بساحل بلد(18) أزمور وتعرف الآن بتيط، وبها كان مأوى سلفه المبارك أهل الخير والصلاح والولاية، وقد ذكر التادلي في التشوف(19) منهم جماعة وقال الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف لم تزل نسمع أنه لقيه ببلاد دكالة(20) وأنه أخذ عنه، وكثيرا ما يذكره باسم الشيخ في بعض ما جمع عنه من الكلام والمناقب، انتهى.

دخوله للخلوة :

قال في كفاية المحتاج : ثم دخل الخلوة للعبادة نحو أربعة عشر عاما، ثم خرج للانتفاع به، وله كرامات انتهى، وقال بعضهم : كان بأسفي وكان بها كثير الأوراد، مراقبا لله تعالى في جميع أحواله، واقفا عند حدوده، عاملا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، إلى أن اشتهر بالصيام، فظهرت منه الكرامات مثل المكاشفة، وغيرها، وتاب على يده هنالك خلق كثير، وانتشر ذكره في الآفاق، وأخذ في تربية المريدين.

رحيله إلى أفوغال :

ثم إنه انتقل من هنالك بعد ظهور ما من الله به عليه من البركات وتتابع الخيرات، إلى الموضع المسمى بافوغال(21) من بلاد مطرازة فأقام به على حالته من تربية المريدين وإرشادهم إلى سبل الهدى، فاستنارت لهم ببركته الأنوار، وظهرت لهم معالم الأسرار، ولقد ورد عليه من طالبي القرب إلى الله تعالى وابتغاء ثوابه خلق كثير، حتى

---

(18) أزمور مدينة صغيرة على شاطئ المحيط إحدى دوائر إقليم الجديدة بالمغرب على ضفة وادي الربيع تعتبر مركزا مهما للقبائل الحوزية وشتوكة ويرجع تاريخها إلى العصور القديمة، تبعد عن الجديدة ب 17 كيلومترا انظر كتاب المغرب ص 42.

(19) هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي عرف بابن الزيات العلامة صاحب أبا العباس السبتي من مؤلفاته : التشوف إلى رجال التصوف حققه محمد التوفيق وطبع عام 1984، وكتاب نهاية المقامات في دراية المقامات وهو شرح لمقامات الحريري توفي ابن الزيات عام 617.

(20) دكالة اسم يطلق على مجموعة القبائل القاطنة بالناحية التي تفصل الشاوية عن عبدة، وتقسم جغرافيا إلى الولجة، والساحل والسهول انظر المغرب تأليف الصديق بن العربي ص 88.

(21) أفوغال زاوية تاريخية وسط الشياظمة بناحية الصويرة بها عدة أضرحة وبها دفن سيدي محمد بن سليمان الجزولي أولا.

اجتمع من المريدين بين يديه رحمه الله عليه اثنا عشر ألفا وستمائة وخمسة وستون، كلهم ممن نال منه خيرا جزيلا، على قدر مراتبهم وقربهم منه انتهى.

وقال الشيخ القصار : أخرج صاحب أسفي الشيخ الجزولي فدعا عليهم، فسئل منه العفو فقال أربعين سنة، فأخذها النصارى بعدها، قال الشيخ أبو عبد الله العربي في مرآة المحاسن : وكان خروج النصارى منها ورجوعها إلى المسلمين سنة ثمان وأربعين وتسعمائة.

وفـــاتــــه :

قال البعض المتقدم : وتوفي رحمة الله عليه ونفعنا به هناك يعني بافوغال، وهو ساجد في السجدة الأولى من الركعة الثانية من صلاة الصبح يوم الأربعاء من القعدة الحرام، من عام تسعة وستين وثمانمائة، ودفن لصلاة الظهر من ذلك اليوم بوسط المسجد الذي كان أسسه هنالك انتهى وقال الشيخ أبو العباس أحمد بابا في نيل الابتهاج : قال صاحبنا محمد بن يعقوب الأديب : مات مسموما في الركعة الأولى من صلاة الصبح، سادس عشر ربيع الأول عام سبعين وثمانمائة انتهى وقال الشيخ زروق : إنه مات مسموما في صلاة الصبح إما في السجدة الثانية من الركعة الأولى أو في السجدة الأولى من الركعة الثانية عام سبعين وثمانمائة ويأتي كلامه، وقال الشيخ أبو العباس الفاسي : إنه توفي بعد سبعين وثمانمائة، ثم قال : وقال لي الشيخ المنجور[22] والله اعلم إنه توفي سنة اثنتين وسبعين كالقوري[23] انتهى وقال الشيخ الفقيه الحاج الرحال المؤرخ أبو العباس أحمد بن محمد[24] بن القاضي في درة الحجال : إنه توفي سادس عشر ربيع النبوي سنة خمس وسبعين وثمانمائة انتهى وقال سيدي أبو العباس أحمد بن علي[25] البوسعيدي في بذل المناصحة : وفاته سنة سبعين

---

(22) أبو العباس أحمد المنجور الفاسي أخذ عن الونشريسي وابن جلال، وابن العاقية، ويوسف الفاسي ألف مراقي المجد في آيات السعد وشرح عقيدة ابن زكري، ومختصر المنهج المنتخب، وغير ذلك مولده 926هـ وتوفي 995.

(23) أبو عبد الله محمد بن القاسم محمد اللخمي المكناسي ثم الفاسي، الأندلسي الأصل شهر بالقوري شيخ الجماعة بفاس ومفتيها مع استفسار النوازل له شرح على المختصر ولد 804 وتوفي 872.

(24) احمد بن محمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي الزناتي بن القاضي، كان قاضيا بسلا أسره الأسبان وفداه احمد المنصور السعدي له نحو 15 كتاباً أغلبها في التاريخ توفي سنة 1025.

(25) أحمد بن علي السوسي البوسعيدي الهشتوكي الصنهاجي الورع الزاهد له تآليف منها : بذل المناصحة في فضل المصافحة مولده 990 وفاته 1096.

أو خمس وسبعين انتهى وذكر الشيخ زروق[26] في كناشه : أنه ورد على الفقيه أبي عبد الله القوري سؤال في شأن عمرو المغيطي المعروف بعد قيامه وتكلم هو معه فيه، وهو لم يقم إلا بعد موت الشيخ الجزولي وبسببه، فتبين تأخر موت الشيخ القوري عن الشيخ الجزولي، فإن كانت وفاة القوري سنة اثنتين وسبعين، بطل القول بأن وفاة الشيخ الجزولي سنة خمس وسبعين، راجع فهرسة الشيخ ابن غازي[27] أو غيرها في وفاة القوري، والأصح في وفاة الشيخ الجزولي ما قاله معاصره الشيخ زروق رضي الله عنه والله أعلم، ثم وجدت في فهرسة الشيخ أبي العباس الونشريسي[28] أن الشيخ القوري توفي أواسط القعدة سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة والله أعلم، ثم وجدت وفاة القوري عند ابن غازي كما عند الونشريسي، بدون ذكر الشهر، قال في مرآة المحاسن : وحكي عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع : أنه قال قلنا للشيخ في آخر تلك الليلة، يعني التي مات في صبحها : الناس يذكرون فيك أنك الفاطمي، فخرج، وقال ما يدورون[29] إلا من يقطع رقابهم، والله يسلط عليهم من يقطع رقابهم، فكرر الدعاء مرارا، قيل فكان ظهور دعائه في عمرو المغيطي المعروف بعمرو بن سليمان الذي كان في تلك الجهة وهو عمرو المريدي الشياظمي، وتوفي سنة تسعين وثمانمائة، ويقال إن نساءه قتلته امتعاضا، لأجل ما كان عليه من الفساد في الأرض، وكان قد جمع الجموع، وجيش الجيوش، بسوس، وسفك كثيرا من الدماء، وأخباره معروفة انتهى وذكر بعض هذا في غير المرآة، وزاد أن الشيخ رضي الله عنه لم يترك ولدا ذكرا، وفي المرآة أيضا بعد ذكره أن الشيخ التباع خدم الشيخ الصغير بمنزله من خندق الزيتون، سنين عديدة بتوصية الشيخ إياه عليه، وأمره بتربيته بعده، وبإثر موت الشيخ الجزولي، كان مجيئه للشيخ أبي عبد الله محمد الصغير السهلي، وحينئذ

---

(26) هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسي الفاسي شهر بزروق، شيخ الطريقة، وإمام الحقيقة، له تآليف عديدة منها 29 شرحا على الحكم وشرحان على حزب البحر، وشرح على أسماء الله الحسنى، والنصيحة الكافية، وقواعد التصوف، وتعليق على البخاري، وشرح على الرسالة، وشرح مختصر خليل، وكان يميل إلى الاختصار مع التحقيق، ولد 846 وتوفي 899هـ ودفن بمسراته من عمل طرابلس بليبيا.

(27) هو محمد بن أحمد بن غازي العثماني المكناسي ثم الفاسي شيخ الجماعة من مؤلفاته : تقييد على البخاري، شفاء الغليل في حل مقفل خليل، وحاشية على الألفية، ومنية الحساب، والروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون تولى الإمامة والخطابة بجامع القرويين مولده 841 توفي 919.

(28) هو أحمد بن يحيى الونشريسي التلمساني الفاسي مؤلف المعيار الذي يحتوي 12 مجلداً، والفائق في الوثائق توفي عام 914.

(29) حـ : ما يدرون.

لقي الشيخ أبو العباس أحمد المعروف بزروق الشيخ أبا عبد الله الزيتوني بزاوية بوقطوط من داخل باب الفتوح، وأظن أن المراد زاوية الحجاج القريبة منها، وأخبره بموت شيخه الجزولي انتهى والذي في كناش الشيخ زروق رضي الله عنه قال : دخول سنة سبعين وثمانمائة، ثم ذكر تعمير الشيخ الزيتوني[30] لزاوية بوقطوط[31]، ثم قال وكنت خديما بها الفقراء، فقدم عليها من تلامذة سيدي محمد الجزولي جماعة مع الصغير السهلي وصحبوا عندنا موت الشيخ الجزولي، قال الصغير : مات في صلاة الصبح إما في السجدة الثانية من الركعة الأولى، أو في السجدة الأولى من الركعة الثانية قال : وقلنا له : آخر تلك الليلة : أناس يذكرون فيك شأن الفاطمي أو في معنى هذا، فخرج وقال : ما يدرون إلا من يقطع رقابهم، والله يسلط عليهم من يقطع رقابهم كرر الدعاء مرات، فكان ظهور دعوته في عمرو المغيطي.

ظهور عمرو المغيطي :

ثم قال : وكان افتتاح أمره أن قام منتصرا للشيخ في الذين سموه، إذ سمه بعض الفقهاء، ولم يزل بهم حتى قاتلهم، ثم صار يدعو الناس إلى إقامة الصلاة ويقاتلهم عليها، فنصره الله عليهم، ثم عاد يطلب المنكرين عليه وعلى أصحابه وشيخه ويسميهم جاحدين، ويسمي أصحابه المريدين بضم الميم، وما أحقهم بالفتح، ثم ذكر بعض ما كان عليه هو وأصحابه من الجهل والفساد، والخروج على الحق.

مقتــل المغيطــي :

ثم قال : أراح الله المسلمين منه قرب سنة تسعين وثمانمائة ثم قال : وكان الذي قتله امرأته وربيبه[32] انتهى الغرض منه، وعلى قول الصغير السهلي، وقال الصغير : قال في المرءاة : وقد عرف بسيدي الصغير، وقد رأيت كتابا بخط الشيخ أبي العباس زروق كتبه إليه، تضمن التعظيم والمواصلة انتهى.

استنصار المغيطي بتابوت الشيخ الجزولي :

ويذكر[33] أن عمرا المذكور، جعل الشيخ رضي الله عنه في تابوت، وصار يقاتل

---

(30) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزيتوني صاحب الكرامات انظر ترجمته في الجذوة ج 1 ص 240.

(31) يبدو أنها ضريح سيدي علي بوغالب القريبة من باب الفتوح، اذهي التي تكثر فيها القطط.

(32) خ : وربيبته.

(33) خ : ثم إن عمرا المذكور.

به، فكان ينصر به حيثما توجه، وأنه بقي على ذلك عشرين سنة، إلى أن توفي، فدفنوا الشيخ رضي الله عنه، وأن ذلك كان الحامل على نقل من نقله إلى مراكش، خافوا أن يثور أحد هنالك أيضا، فيخرجه من قبره ويقاتلهم به، فدفنوه عندهم، ليامنوا ما يتخوفون من ذلك رضي الله عنه ونفعنا به آمين. ثم أخبرني بعض الطلبة من أهل سوس ممن يعرف بلاد الشيخ رضي الله عنه أن الذي عند أهل تلك البلاد، أن الشيخ رضي الله عنه، كان يسكن بتانكرت، مدشر هنالك ببلاد الساحل، على واد يعرف بوادي تانكرت، قال وداره وآثاره به قائمة معروفة إلى الآن، معظمة محترمة تقصد وتزار ويتبرك بها، ووقف هذا المخبر عليها.

حج الشيخ الجزولي :

وأنه من هنالك ذهب إلى المشرق وترك عياله وأولاده به، فبقي بالمشرق سبع سنين، ثم رجع إليه، فسأل أهله كيف كان حالهم في غيبته، وكيف كان جيرانهم معهم، فأخبروه بمن كان يحسن إليهم منهم، ومن كان يسيء، وذكروا له رجلين أحدهما كان يبالغ في إكرامهم واحترامهم ولا يستأثر عنهم بشيء، ولا يترك أحدا يقرب ساحتهم، ولا يجلس بفناء دارهم، والآخر كان يؤذيهم ويبغضهم فدعا للمحسن بخير، فأولاده الآن جماعة وافرة جدا، وأولاد المسيء لا يزيدون على الواحد بعد الواحد، قال : فكان بتانكرت إلى أن مات به، ولم يكن يذهب لافوغال إلا للقراءة والأخذ عنه، أو نحو هذا، مما لم يعرف هو تحقيقه قال : وبعضهم يقول : إنه مات بأفوغال، قال : ثم بعد موته احتمله عمرو السياف في تابوت، قبل أن يدفن فلا قبر له بتانكرت، نقله من وعر الجبل الذي فيه تانكرت إلى السهل، فكان عنده بمنزل يقال له الرباط بروضة هنالك من غير دفن، وكان إذا جنه الليل أطاف الحرس بالروضة يحرسونه من السرق، وأوقد عليه كل ليلة ردام ومد زيت، يمدهم ليقوى الضوء وينتشر، ويبلغ من كل الجهات إلى مسافة بعيدة فيكشف الطرق ومن ياتي عليها، مخافة من يذهب بالشيخ بالليل، ثم لما فرغ من القتال تقرر بتاصروت مدشر هنالك بالجبل ودفن به الشيخ هناك، قال : ثم اتفق زوجتاه على قتله امتعاضا وغيرة للإسلام، ولما كان عليه من الفساد في الأرض، فرصدتا غفلته وغرته فقتلتاه وهو نائم، قال : ثم رمت إحداهما بنفسها من كوة هنالك في المسكن الذي كانوا به، فوصلت إلى الأرض سالمة، وأحست من تلقاها بيديه، وأنزلها إلى الأرض برفق، وبقيت الأخرى فدخلوا عليها فقتلوها، وزعم أن عمرا كان تزوج زوجة الشيخ وابنته، وأنهما اللتان قتلتاه، وأن التي قتلت هي زوجة الشيخ، والتي سلمت هي ابنته.

نقل جثمان الشيخ إلى مراكش :

قال : ثم أتى أهل أفوغال فأخرجوا الشيخ من قبره، احتملوه إلى بلدهم بقصد التبرك،

فدفنوه به فبقي هناك إلى أن نقل إلى مراكش، هذا حديث الطالب السوسي. ويحتمل أن أهل أفوغال إنما غلبوا أهل تاصروت عليه لكونه كان عندهم أولا فكانت لهم الحجة عليهم، فيكون هذا دليل موته ودفنه أولا بأفوغال وهو الذي تقدم منصوصا لبعض المعتبرين، ويحتمل أيضا أنه لم يدفن بتاصروت إلا بعد موت السياف، ويحتمل أنه لم يدفن حتى أتى أهل أفوغال فحملوه، ولهذا تجرؤوا على حمله، إلا أنه ذكر أن قبره بتاصروت معروف، مثل الذي بأفوغال والله أعلم، وما ذكر من تزوج عمرو زوجة الشيخ وابنته وأنهما اللتان قتلتاه، فالذي عند الشيخ زروق كما تقدم أن الذي قتله امرأته وربيبته، ولم يذكر أنه تزوج زوجة الشيخ ولا ابنته، وأما قول صاحب المرءاة : ويقال إن نساءه قتلنه، فمحتمل لأن يكون كلهن أزواجه، وأن يكون غير ذلك والله أعلم، قال أبو العباس أحمد بابا في كفاية المحتاج : ولما نقل جسده بعد سبع وسبعين سنة، وجدوه لم يتغير منه شيء، وقال في مرءاة المحاسن، ولما ولي الشرفاء ملك مراكش، نقلوا الشيخ أبا عبد الله الجزولي إلى مراكش، ودفنوه بها، فقبره الآن بها بعد ثلاثين وستين سنة من موته، وكانت ولايتهم سنة ثلاثين وتسعمائة، والسلطان إذذاك منهم أبو العباس أحمد المعروف[34] بالأعرج وهو أولهم، وهو الذي نقله، ثم انتزع الملك منه أخوه أبو الأملاك محمد الشيخ[35].

الشيخ الجزولي لم يتغير بعد موته :

وذكروا أنهم لما أخرجوا الشيخ من قبره بسوس، وجدوه بحاله حين توفي لم تعد عليه الأرض، ولم يغير طول الزمان شيئا من أحواله، وأثر الحلق من شعر لحيته ورأسه ظاهر، كحاله يوم موته رضي الله عنه ونفعنا ببركاته انتهى، وهكذا نعرف هذا أيضا من عند غيره، من كونه لم تعد عليه الأرض، وكونه كان قريب عهد بالحلق، وهو

---

(34) هو أبو العباس أحمد الأعرج بن عبد الله القائم السعدي، ولد سنة 891 وبويع سنة 918 وقد حارب البرتغال، وطردهم من بعض الشواطئ وهو الذي نقل الشيخ الجزولي رضي الله عنه من مدفنه بأفغال إلى مراكش، بعد أن استنصر عمرو السياف بجثته في الحروب مدة 20 سنة، وكان ذلك في حدود 930 وفي سنة 951 قبض عليه أخوه الشيخ ومدة توليه 23 سنة.

(35) محمد الشيخ هو أبو عبد الله محمد المهدي المعروف بالشيخ، وهو ابن الأمير أبي عبد الله القائم، ولد سنة 896 ولما اجتمعت عليه الكلمة فتح حصن فونتي وآسفي وأزمور وبني حصن اكادير وحارب الوطاسيين بفاس والأتراك بتلمسان، وفي سنة 964 قتل بشاقور في تارودانت من طرف الأتراك ومحمد الشيخ هو الذي تسبب في قتل عبد الواحد الونشريسي بباب الشماعين من القرويين بفاس عام 955. راجع تفصيل ذلك في الاستقصا ج 5 ص 22-23. كما قتل قاضي الجماعة بفاس عبد الوهاب الزقاق قطع رأسه بشاقور، انظر الاستقصا ج 5 ص 29.

حقيق بذلك رضي الله عنه، فقد جمع بين الصديقية العظمى والشهادة، لأنه مات مسموما كما تقدم.

وذكروا أنه لما أخرجوه من قبره، وضع الأمير أو غيره بأمره أصبعه على وجهه حاصرا بها، فحصر الدم عما تحتها، فلما رفع أصبعه رجع الدم، كما يقع ذلك في الحي رضي الله عنه ونفعنا به، وتقدم ذكر الحامل لهم على نقله، وقيل إن الحامل لهم عليه أنه ذكر لهم أن تحته كنزا فتعالوا للحفر عليه بالنقل إلى بلدهم والله أعلم، ودفن برياض العروس، داخل مدينة مراكش، وبني عليه بيت، وقبره عليه جلالة عظيمة، ومهابة كبيرة، وسطوة ظاهرة، والناس يزدحمون عليه، ويكثرون من قراءة دلائل الخيرات عنده، ويقصدونه في حوائجهم فتقضي بإذن الله عز وجل، رضي الله عنه ونفعنا ببركاته.

قص شعر التائب :

قال في المرءاة : وكان الشيخ أبو عبد الله الجزولي يقص شعر التائب، وأخذ بذلك أصحابه بعده، فلما جاء الشيخ أبو عبد الله الخروبي إلى المغرب الأقصى، لقي بعض مشايخ الطائفة الجزولية، فأنكر عليه ذلك، وقال إنه بدعة، فقالوا له إن الشيخ الجزولي كان يفعله، فقال لهم لعله بإذن، والإذن له لا يعمكم، فإن الإذن للنبي يعم اتباعه، والإذن للولي لا يعم اتباعه، هكذا قيل عنه، وقد قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام[36] في أجوبته : لابأس بقص شعر التائب، وذكر البرزلي في نوازله، وليست كل بدعة مذمومة، وإذا كانت مذمومة، فلا إذن بعد النبوة يتسخ ذمها فلينظر في ذلك انتهى ويمكن أن يوجه كلام الخروبي بأن قص الشعر في الأصل مباح، فإذا قص شعر التائب عن إذن، وعرى عن جعله من أركان التوبة أو سنة الطريق، فلا بأس به، لأن

(36) عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي عز الدين ـ ويعرف بسلطان العلماء شافعي، ولد بدمشق سنة 577 وتوفي في سنة 660 من خطباء المسجد الأموي، تولى القضاء بمصر، وكان صلباً في الحق، لا يهاب أمراء وقته، ومن جرأته في الحق : مناداته لأمير مصر في يوم عيد وكبراء الدولة حوله : ياأيوب ما حجتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوئ لك ملك مصر، ثم تبيح الخمور ؟ وسأله أحدهم عن سبب ذلك، فقال له : يابني، رأيته في تلك العظمة فأردت أن أهينه لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه، فقلت ياسيدي، أما خفته فقال : والله يابني، استحضرت هيبة الله فصار السلطان قدامي كالقط، ومن جرأته مناداته ببيع جماعة من أمراء الدولة وحكمهم عليهم بالرق وعدم تصحيح معاملاتهم، في قصة طويلة، ذكرها السبكي في الطبقات خلال ترجمة عز الدين التي استغرقت 28 صفحة من 30 إلى 107 جـ 5 المطبعة الحسينية من كتبه : الإلمام في أدلة الأحكام، والقواعد والفتاوى وغيرها.

قص الشعر في الأصل مباح، كما ذكرنا، والمباح هو محل الإذن للأولياء، وإذا فعل بقصد التوبة وجعل من أركانها وشرائطها ومن شعار الطريقة، وسنتها كان بدعة، وهي بدعة في الدين، لأنها من الزيادة فيه لما ليس منه، فهي مذمومة على هذا، والله أعلم، لكن يبقى أن قص الشعر للتوبة أمر مختلف فيه، كما يأتي، ولا إنكار في مختلف فيه، إلا أن يضعف مدرك التحليل جدا، فيسقط عن حد الاعتبار، وأن يكون الإنكار على سبيل الإرشاد والتعليم، للأخذ بالاحتياط، والخروج من الخلاف وارتكاب الكمال، لاسيما وطريق القوم مبنية على ذلك، ويحتمل أنه لم يطلع على القول بالجواز، ولم يطلع على المنصوص في المسألة، وإنما كره لهم التعلق بالرسوم الظاهرة والتقييد بها، مما لم يجئ به سنة، والله أعلم، ثم وجه ما كان يفعله أولئك الأتباع من التبرك بآثار شيخهم، ومن تقدمهم، مع التقليد لمن أجاز ذلك، كما يحتمل تقليد المجيز والتبرك بآثار من تقدم أيضا فعل شيخهم والله أعلم، ثم بعد هذا اطلعت للشيخ صاحب الترجمة سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه، على ما نصه : سألني بعض الفقهاء، الحمد لله الذي لم تزل منته ظاهرة في الوجود سبحانه وتعالى، يخص من يشاء من عباده وهو الرحيم الودود، أما بعد، معشر الفقهاء بلغني عنكم أنكم أنكرتم على عبد الكريم المنزاري أشياء ومن معه من المريدين المحبين، وحكمتم عليهم بالجهل والكفر وغير ذلك من غير دليل من كتاب ولا من سنة واتبعتم أهواء الذين لا يعلمون، وعصيتم الله في طرد الفقراء الزائرين، ليس هذا من أفعال أهل العلم، الزاهدين في الجاه والرياسة، والذي نفس محمد بيده، ما أتوكم إلا ليجلبوا أهل السعادة من المريدين إلى هذه الطريقة المعنوية والموهوبة من الملك الخلاق، وأنكرتم عليهم إقبال المخلوقات، فانظروا رحمكم الله في قوله تعالى : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا[37]، وأنكرتم عليهم حلق الرأس وتعرية رأس الفقير، ثم ذكر أمورا أخرى لم أجد جوابها في النسخة التي كتبت منها.

الدليل على جواز قص شعر التائب واختلاف العلماء :

ثم قال : فنقول : وبالله التوفيق، إن حلق الشعر جائز في الشرع للتائب لقوله صلى الله عليه وسلم : من كانت له وفرة من شعر فليكرمها وإلا فليجزها[38]، وقد حلق رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عليه السلام : أحسنت، وقال

---

(37) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمان ودا الآية 96 من سورة مريم.

(38) هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة بهذا اللفظ : من كان له شعر فليكرمه، إسناده صحيح.

الصوفية : قوله عليه السلام أحسنت، دليل على أن الحلق جائز وأفضل، ومن أراد أن ينظر فيما ذكرناه فلينظر كتاب معدن الجواهر لأبي محمد صالح، وقال أبو محمد بن عمر المغري في كتاب أحكام الفطرة : حلق الرأس الكافر إذا أسلم جائز، لقوله عليه السلام للكافر الذي أسلم بين يديه : احلق عنك شعر الكفر، قال شيخ الدين العسقلاني[39] هذا حديث قوي أخرجه أبو داود[40] وغيره، وفي حلق الرأس للتائب إذا تاب على يد الشيخ اتباع لسنة المشايخ، وقد اصطلح على ذلك جماعة من المشايخ، وأما تعرية الرأس فجائز، وممنوع، قال بعض العارفين : تعرية الرأس للمريد بين يدي شيخه نور، فخاب من قام في التعرض لمن أراد الدخول في النور، وأما تعرية الرأس فللولي سنة، وللفقهاء بدعة انتهى ما وجدت من جوابه رضي الله عنه، وقال أيضا رضي الله عنه : قال لي سيدنا أبو العباس الخضر عليه السلام : يا نعم الحبيب، أمرت أن تصرف أصحابك في البلدان ليجلبوا لك أهل السعادة من الرجال والنساء، وقال أبو العباس، يا نعم الحبيب إن استطعت أن تقصص سبعين ألف مرة فافعل، فإن في كل مرة يزيد ذلك نورا وبرهانا، وبيانا، ببركة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، فطوبى لمن جعلت يدك على رأسه.

رأي ابن تيمية في قص شعر التائب :

والذي عند البرزلي في نوازله : أنه قال : وسئل تقي الدين يعني ابن تيمية[41] عن سنده في الخرقة، ثم ذكر جوابه وفيه : وأما لبس القلنسوة أو العمامة أو الثوب فمن المشايخ من استحسن ذلك بمنزلة خلع الملوك، والحق به بعضهم جز شيء من الشعر،

---

(39) شيخ الدين العسقلاني : هو شهاب الدين ابن حجر من أئمة العلم والتاريخ مولده ووفاته بالقاهرة أقبل على الحديث وعمت شهرته فيه، فصيح اللسان، ولي قضاء مصر مرات، واعتزل، من تصانيفه الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، والإصابة في تمييز أسماء الصحابة وفتح الباري في شرح صحيح البخاري، ولد سنة 773 وتوفي سنة 852.

(40) أبو داود هو سليمان بن الأشعث السجستاني ولد سنة 202 وتبحر في الحديث حتى أصبح من أكابر المحدثين، روى عنه خلق كثير، منهم الترمذي، والنسائي، وله سنن أبي داود، وكانت وفاته بالبصرة عام 275هـ.

(41) هو تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية النمري ناصر مذهب السلف، ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق، سجن من أجل فتوى خالف بها الجماعة، ثم انتقل إلى الاسكندرية ثم إلى دمشق حيث اعتقل بها سنة 720هـ ثم أطلق سراحه، ثم اعتقل ومات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته، وكان داعية لاصلاح الدين وآية في التفسير والأصول، يناظر العلماء، تزيد تصانيفه على 400 كراسة طبعت فتاويه أخيرا بأمر من الملك خالد بن عبد العزيز عاهل السعودية في 37 جزءا ولد سنة 661 وتوفي سنة 728هـ.

ولم ير الآخرون هذا إذ لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كما ثوبا، ولا جز شعرا، ولا ثبت ذلك في الذين خلفوا.

رأي ابن عبد السلام في قص شعر التائب :

ثم قال البرزلي : وما ذكر من حلق شعر التائب سئل عنه عز الدين ونص السؤال : ما يعتاده الوعاظ من قص بعض الشعر، لمن تاب من ذنوبه على أيديهم، ومن حلق جميع الرأس، هل لهم مستند في ذلك أم لا ؟ وإن كان بدعة هل هي جائزة أو لا ؟ فأجاب : أما حلق الشعر في غير نسك : فإن كان لمرض فهو ضرب من التداوي المأمور به، وإن كان لغير عذر فهو مباح، والمساعدة عليه محبوبة، إن كان تداويا، وجائزة إن كان مباحا، وكان الغالب على الصحابة رضي الله عنهم قص الشعر، ولذلك كان الحلق من شعار الخوارج، وليس تعاطي ذلك بمحرم، وأما القص فهو على وفق ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وليس ذلك من أركان التوبة ولا شرطا من شروطها والبدع اضرب، فذكرها. ثم قال : وقص الشعر على وفق السنة ليس بمكروه، ولا معدود في البدع، وأما الحلق الذي تمس الحاجة إليه فلا بأس به أيضا. وقد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلام قد حلق بعض رأسه، فقال : هلا حلقتم كله، أو تركتم كله، قال البرزلي : قلت : أما حلق الشعر لغير ضرورة فقد تقدم أن ظاهر المذهب جوازه.

رأي الطرطوشي في قص شعر التائب :

وجعله الطرطوشي[42] من البدع المنهي عنها لما تقدم من حديث سيما هم التحليق : وإن كان التوبة فمنهم من قال : إنه بدعة لأنه لم يرد عنه عليه السلام أنه أمر أحدا أو فعله له، ومنهم من أجازه، وقاسه على حلق الرأس للحاجة، أو أنه شعر الذنوب، فينبغي زواله، كما أمر الكافر بالغسل في حديث ثمامة في بعض طرقه، كما أمر أن يفارق جلاسه وثيابه، وأناسه، وأنفاسه، ويصوم، لكي يزول لحم الحرام ويخلفه الحلال، ولهذا يأمر الشيخ التائب بصوم أربعين يوما، وقد ذكر اللخمي[43] في الحج :

(42) هو أبو محمد بن الوليد الطرطوشي الاسكندري له تآليف مفيدة، منها سراج الملوك، ومختصر تفسير الثعالبي، كتاب مسائل الخلاف، وكتاب في بدع الأمور ومحدثاتها، وشرح لرسالة ابن أبي زيد القيرواني، وكتاب بر الوالدين، وتآليف عارض بها الاحياء، ولد سنة 451 وتوفي سنة 520.

(43) هو أبو الحسن علي بن محمد الربعي المعروف باللخمي الإمام الحافظ المحدث، رئيس الفقهاء في وقته، له تعليق على المدونة سماه التبصرة، وفضائل الشام مخطوط توفي سنة 478.

أن الحلق على ثلاثة أقسام، فانظره انتهى وأخرج الإمام أحمد وأبو داوود عن أبي كليب اليمني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أتاه ليبايعه فقال له ألق أو قال(44) : احلق عنك شعر الكفر، واختتن.

رأي ابن ليون :

وفي اختصار ابن ليون للرسالة العلمية للششترى : وأما حلق الرأس ففي التنزيل : محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون(45) والسر في حلقه للحج : التذلل وترك الزينة وهي سيرة الفقراء، مع ما في حلقه من ترك المؤنة والخفة في الطهر، وإزالة المؤذي، وكان أكثر السلف يحلقون رؤوسهم، وحلق علي رضي الله عنه بالموسى.

رأي الغزالي :

وفي الإحياء : فلا بأس بحلقه لمن أراد النظافة انتهى، وقالوا : ولا يلزم من كونه من سيما الخوارج أن يكون ممنوعا، وما قاله الطرطوشي تقدم.

رأي ابن العربي :

وقال ابن العربي :(46) الشعر في الرأس زينة، وحلقه بدعة ويجوز أن يتخذ جمة، وهو ما أحاط بمنابت الشعر، ووفرة، وهو ما زاد على ذلك إلى شحمة الأذنين، وأن يكون أطول من ذلك، ويكره القزع، وهو أن يحلق البعض ويترك البعض.

رأي القسطلاني :

وفي المواهب اللدنية للشهاب القسطلاني، ولم يرو أنه صلى الله عليه وسلم حلق رأسه الشريف في غير نسك حج، أو عمرة، فيما علمته، فتبقية الشعر في الرأس سنة، ومنكرها مع عمله يجب تأديبه، ومن لم يستطع التبقية فيباح له إزالته انتهى. أتيت بهذا كله على سبيل المناسبة لكلام البرزلي، والشيخ صاحب الترجمة، تتميما للفائدة وانظر

---

(44) راجع شرح الزرقاني على المواهب اللدنية جـ 1 ص 152 فقد نقل عن ابن حجر أن الحديث الق عنك شعر الكفر واختتن ضعيف وقال الذهبي إن سنده منقطع.

(45) الآية 27 من سورة الفتح.

(46) القاضي أبو بكر محمد المعروف بابن العربي الاشبيلي الإمام الحافظ دفين فاس بالمغرب، من تآليفه القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، أحكام القرآن، ولد سنة 543 وتوفي سنة 648.

حاشية الحطاب[47] على الرسالة فقد أطال في المسألة، ونقل كلام ابن عبد البر في التمهيد[48]، والقرطبي[49] والزناتي، والجزولي، وصاحب المدخل، وغيرهم.

رأي أبي الحسن الصغير

وممن أنكر حلق الرأس للتوبة أبو الحسن الصغير، في تأليفه الشهير، لكن في جملة أمور يجعلها أقوام من مؤكد أعمالهم، وإن كان توبتهم وشعار طريقتهم مع المخالفة السنة وقصد مجرد الترؤس والاستتباع، والطمع في الخلق والاستئناس بهم، والادبار عن الحق، والشيخ الذي أنكر عليه الشيخ الخروبي[50] المشار إليه بقول صاحب المرآة بعض مشايخ الطائفة الجزولية، هو سيدي أبو عمر القسطلي المراكشي رضي الله عنه فيما بلغني، أو هو أحد من أنكر عليه الخروبي ولعل ذلك كان في قدمة الخروبي الثانية، إذ كانت له إلى المغرب قدمتان، الأولى في أيام السلطان أبي العباس أحمد بن محمد الوطاسي المريني، والأخرى في أيام السلطان محمد الشيخ المهدي، سفيرا بينه وبين سلطان الترك[51] أبي الربيع سليمان صاحب القسطنطينية العظمى، وذلك سنة تسع وخمسين وتسعمائة، وبلغني أن أبا العباس أحمد بن عبد الله أبو محلي[52] له كلام في الرد على الخروبي والمدافعة عن شيخه سيدي أبي عمر، ثم طالعت كلامه في ذلك، والله أعلم بالمقاصد والنيات والموفق بمنه للصواب.

---

(47) أبو عبد الله محمد الحطاب المكي المولد والقرار، أحد العلماء الكبار، له تآليف منها، شرح المختصر وشرح مناسك خليل، وشرح قرة العين في الأصول، ولد سنة 902 وتوفي سنة 954هـ.

(48) كتاب التمهيد طبعته أخيرا وزارة الأوقاف المغربية في أربعة وعشرين جزءاً.

(49) أبو عبد الله محمد الخزرجي الأندلسي القرطبي صاحب التفسير المشهور، كان من العلماء الصالحين من تآليفه : الجامع لأحكام القرآن طبع في عشرين جزءا، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، التذكار في أفضل الاذكار، والتذكرة لأمور الآخرة توفي سنة 671هـ.

(50) هو أبو عبد الله محمد الطرابلسي الأندلسي الجزائري عالمها الكبير، وإمامها الشهير، له رسالة رد فيها على ابن عمر القسطالي المراكشي توفي سنة 963.

(51) هو عاشر سلاطين بني عثمان لقبه الأتراك بالقانوني والافرنجي قاد 13 حملة منها عشرة في أوروبا، وثلاثة في آسيا، فوسع حدود السلطنة، نسخ القرآن بيده ثلاث مرات، دون القوانين والشرائع.

(52) أبو العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي، طلب العلم بفاس، ألف كتابا في موضوع الردع والمنكر، سلك طريق التصوف مقيما بالزاوية الدلائية، ولما سلم المأمون السعدي العرائش للإسبان سنة 1019 أظهر الغضب ودعا للجهاد، ثم قاد الحملة واستولى على درعة ومراكش، غير أن السلطان حاربه وانتصر عليه وقتله سنة 1022. ومن مؤلفاته : الوضاح،

بماذا كان يربي أصحابه ؟

وفي دوحة الناشر لأبي عبد الله محمد بن عسكر الشريف الشفشاوني، عن شيخه سيدي أبي محمد عبد الله بن محمد الهبطي(53) كان الشيخ القطب أبو عبد الله محمد الجزولي يربي أصحابه بقصيدة الشيخ أبي الحجاج الضرير في أصول الدين، وكان الشيخ أبو فارس عبد العزيز التباع يربي أصحابه بالمباحث الأصلية للشيخ العارف ابن البنا(54) السرقسطي، وكان سيدي أبو محمد الغزواني يربي أصحابه بقصيدة الشيخ الشريشي(55) وكنت أنا أقرؤها عليه، وكان يصورها لي انتهى وعلى ذكر ما كان يربي به الشيخ الغزواني(56) قال الشيخ القصار :(57) كان سلوك الشيخ الغزواني بسورة طه حتى توفي. وهي في لوحه انتهى وذكر في مناقب سيدي أبي يعقوب البادسي أن سيدي عبد الله الغزواني كان يقرأ في اللوح الواحد خمسة أشهر أو ستة، وفي كل مرة يمر به يرقى إلى مقام من المعرفة الذهبي.

طريقته :

وطريقة الشيخ صاحب الترجمة رضي الله عنه شاذلية، ويقال إنه الذي ورث القطبانية بهذه البلاد وغلبة حال الغنى بالله، وظهور الكرامات، وانطلاق اللسان بالدعوى من غير توقف ولا احتشام. كما أشار إليه الشيخ زروق رضي الله عنه في قواعده، شأن عامة متأخري الشاذلية رضي الله عنهم، ومن ذلك الإشارة القطابية،

= والقسطاس، والأصليت، والهودج، ومنجنيق الصخور في الرد على أهل الفجور، انظر ترجمته في الإعلام ج 2 ص 286. ونزهة الحادي ص 200.

(53) أبو محمد عبد الله الهبطي الفقيه أخذ عن الغزواني والتباع توفي سنة 963. ترجمه المؤلف تحت رقم 52.

(54) الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن محمد التجيبي عرف بابن البنا السرقسطي نسبة القاسي قراراً، قال الشيخ زروق عنه : لم يكن مشهوراً بالعلم، مع ماله فيه من القدم الراسخ، من نظمه المباحث الأصلية التي أولها :

باسم الإله في الأمور أبدا   إذ هو غاية لها مبـــدا

وقد شرحها ابن عجيبة، وهي مطبوعة مع شرح الحكم.

(55) أحمد علي خلف التجدي الإشبيلي الشريشي كان من حفاظ الفقهاء، وكان يؤم ببعض مساجد إشبيلية فضيق عليه أبو حفص بن عمر في أيام قضائه، وصرفه عن الإمامة، فرحل إلى مراكش، ثم عاد إلى بلاده بعد صلحه مع أبي حفص فرد عليه الإمامة، ثم تولى الحسبة مات 630.

(56) انظر الترجمة رقم 9.

(57) انظر الهامش رقم 10.

والخلافة، والوراثة، ونحو ذلك. وقال الشيخ[58] أبو الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي في تأليف له : ليس في الوجود أعلى من طريقتين، طريقة سيدي عبد القادر الجيلاني[59] وطريقة سيدي أبي الحسن[60] الشاذلي تداركنا الله برضاه ثم قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخ مولانا علي ومولانا علي شيخ الطريقة الشاذلية وهي طريقة شيخنا سيدي محمد بن سليمان الجزولي تداركنا الله برضاه، فاتصلت إليه بصحة التواتر، خلفا عن سلف إلى زمانه، ومنه إلى سيدي. ومن سيدي إلينا، ومنا إلى من شاء الله إلى قيام الساعة، وقال أيضا : وقد تكلم على السر الرباني أو العلم اللدني، والنور النبوي، أو نحو هذا مما اندثر من أول الكلام، وأظهره الله في الوجود على طريقتين طريقة سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، وطريقة سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، وأظهر دوامه إلى الآن، على طريقة سيدي محمد بن سليمان الجزولي، رضي الله عنه، وإمداده من الطريقة الشاذلية انتهى واختلفوا من أي طريق يتصل بالشيخ الشاذلي رضي الله عنه، فقيل إن سيدي محمد أمغار[61] المذكور أخذ عن سيدي أبي عثمان سعيد الهرتناني عن سيدي عبد الرحمن الرجراجي، وأقام بحرم الله عشرين سنة، عن سيدي أبي الفضل الهندي، عن سيدي عنوس البدوي راعي الإبل، عن الإمام أبي العباس أحمد القرافي[62] عن أبي عبد الله المغربي، عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم، وهو الذي بخط سيدي علي صالح، شيخ الجماعة السباعية بفاس، وهو الذي مشى عليه الشيخ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد

---

(58) ترجمة المؤلف تحت رقم 21.

(59) عبد القادر بن موسى الجيلاني، مؤسس الطريق القادرية من كبار الصوفية والزهاد ولد في جيلان، وانتقل إلى بغداد شابا، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف وبرع في أساليب الوعظ وتفقه وسمع الحديث وقرأ الأدب، وكان يأكل من عمل يده، وتصدر للتدريس والفتوى ببغداد، ولد سنة 471 وتوفي سنة 561.

(60) أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الله الشاذلي الشريف الحسني صاحب الطريقة الشاذلية ولد بغمارة شمال المغرب، ونشأ في بني زرويل قرب شفشاون، وأخذ التصوف عن عبد السلام ابن مشيش بجبل العلم، حج، وسكن مصر وتوفي بصحرائها عند ذهابه للحج ثانيا ولد عام 591 وتوفي 656. وله أوراد، سميت بالأحزاب منها : 1) حزب البحر : ياعلي ياعظيم إلخ. 2) الحزب الكبير : وإذا جاءك الذين يومنون بآياتنا فقل سلام عليكم الخ.

(61) محمد بن عبد الله الشريف الحسني الإدريسي المعروف بأمغار من أهل عين الفطر المسماة بتيطنفطر على شاطئ الأطلنتكي القريبة من أزمور وتعرف بتيطا وأمغار لفظة بربرية معناها الشيخ.

(62) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ادريس القرافي الصنهاجي المصري العلامة الحافظ شيخ الشيوخ ألف تآليف مفيدة منها : التنقيح في الأصول، والذخيرة في فقه المالكية في عدة مجلدات، أنوار البروق، الإحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام توفي سنة 684.

الرحمن بن يوسف الوزروالي[63] في نظمه المشهور، وذكره ابن عسكر في دوحة الناشر عن شيخه الولي أبي الحجاج يوسف بن عيسى الشريف الفجيجي[64]، وهو من أصحاب الشيخ الغزواني، والشيخ ابن عيسى، والحطاب المكي، وغيرهم وعن الحافظ الراوية أبي العباس أحمد بن الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد العبادي التلمساني بإجازة أبيه في ذلك، وذكر عن شيخه أبي الحجاج الفجيجي : أن الشيخ القرافي المذكور في السلسلة، أخذ عن الشيخ أبي العباس المرسي، أيضا ثم قال : لكن أكثر ما ينتهي السند إلى الشيخ عبد الرحمن المدني. وذكر لي الشيخ أبو العباس أحمد ابن عبد الرحمن الشريف وغيره أن الفقيه الخطيب أبا علي حرزوز المكناسي[65] نقل للشيخ أبي عثمان سعيد بن أبي بكر الرجراجي هذه السلسلة النورانية من خزانة السلطان أبي العباس أحمد الوطاسي[66] وقد أهديت إليه من الديار المصرية، وفيها أن الشيخ عبد الرحمن المدني أخذها عن تقي الدين الصوفي المعروف بالفتي بالتصغير، كان سمى نفسه بذلك احتقارا لها، ثم ذكر باقي السند، كما في النبذة المفيدة، والسند المذكور أعني سند الشيخ الجزولي إلى الشيخ الشاذلي، هو الذي وجدت عنه اتباع سيدي محمد بن عمر المختار أيضا، وهو الذي عند الشيخ أبي العباس أحمد بن أبي

---

(63) ترجمه المؤلف تحت رقم 126.

(64) ترجمه المؤلف تحت رقم 59.

(65) أبو علي حرزوز المكناسي من ذرية الشيخ أبي منصور، كان فقيها أديبا كاتبا بليغا، لم ير بالمغرب خطيبا أفصح منه، ولم يكرر خطبة قط، له رحلة إلى المشرق، قتله هو وولده السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي وعلقا على باب دارهما، وكان هذا السلطان سفاكا للدماء لا يتورع في ذلك، فهو الذي أشار بقتل عبد الواحد الونشريسي، كما تقدم وهو الذي قتل قاضي الجماعة بفاس عبد الوهاب الزقاق، وهو الذي قتل خطيب مكناسة الزيتون أبا علي حرزوز لأنه كان يقول في خطبه : جاءكم أهل السوس الأقصى الهماد ثم يقول : وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم، فحسبه جهنم وبئس المهاد وفي الاستقصا أنه قتله في ذي القعدة عام 961، راجع الاستقصا جـ 5 ص 29.

(66) أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله البرتغالي الوطاسي بويع بعد خلع عمه أبي حسون عام 932هـ وكان معظماً للعلماء، ومن ذلك ما جاء في الاستقصا جـ 4 ص 159، خرج الناس يوم العيد للصلاة فانتظروا السلطان فأبطأ عليهم، ولما أقبل وهو في أبهته، فرأى عبد الواحد الونشريسي ابن صاحب المعيار أن الوقت قد فات فرقي المنبر وقال : معشر المسلمين : أعظم الله أجركم في صلاة العيد، فقد عادت ظهراً ثم أمر المؤذن فأذن وأقام الصلاة، فتقدم الونشريسي وصلى بالناس الظهر، فخجل أبو العباس واعترف بخطيئته، وقد وقعت بين أبي العباس الوطاسي وأبي العباس السعدي وقائع ومعارك كانت النهاية للسعدي فأسر الوطاسي وقتله عام 960هـ.

القاسم الصومعي، على ما نقل عنه، وقال الشيخ أبو العباس بن الشيخ أبي المحاسن الفاسي : هكذا رأيت هذا السند عند قراء العصر وشيوخهم، الذين في معد أشياخنا، وأشياخ أشياخنا كالشيخ أبي الحسن علي بن محمد صالح الاندلسي فيما رأيته بخطه إلا أنه قال عن الإمام القرافي، ولم يسمه، ولم أر عندهم غيره، ولست أعرف من هؤلاء الشيوخ أحدا سوى الشيخ أبي عبد الله أمغار، فلم نزل نسمع أنه لقيه الشيخ أبو عبد الله الجزولي ببلاد دكالة، وأنه أخذ عنه، وكثيرا ما يذكره باسم الشيخ في بعض ما جمع عنه من الكلام، والمناقب، وأما الإمام(67) القرافي، فلا أعلم هل هو العالم المتبحر صاحب الذخيرة، والقواعد، وشرح الأربعين، وشرح المحصول، وغيرها والتاريخ يقبله، إن كان هو المراد، وأما المغربي فلم نجد له ذكرا، في لطائف المنن ولا في كتاب ابن الصباغ، وكتاب السيد الشريف أبي محمد عبد النور، ولاشك أنهم لم يستوفوا ذكر أصحاب الشيخ أبي الحسن، وقد تخرج به في المغرب رجال من الصديقين والأولياء، ثم رحل إلى مصر، وأخذ عنه عالم من الناس، وقال رضي الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي : يا علي انتقل إلى الديار المصرية، تربي بها أربعين صديقا، ولم يذكروا هذا العدد من أصحابه، ولا ما يقرب منه، فلعل المغربي من الذين لم يذكروهم انتهى.

وفي دوحة الناشر : أن أبا زيد عبد الرحمن الرجراجي المذكور في السلسلة هو المعروف عند العامة بأبي زيد والياس، وقبره بوادي شفشاوة(68) وقد انتهى مقامه إلى القطبانية انتهى وقوله أبو زيد والياس أي ابن الياس، فإن من لغة أهل تلك البلاد جعل الواو مكان لفظة ابن، فيقولون في محمد ابن أحمد : محمد واحمد وفي أحمد بن علي أحمد واعلي، وهكذا، والذي عند سيدي عبد الله الغزواني في جواب له نظما ونثرا أن الشيخ الجزولي رضي الله عنه أخذ عن سيدي عبد العزيز العجمي بالجامع الأزهر، من مصر، عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، ولا مانع من أن يتصل به من كلا الطرفين، لكن قال صاحب المرءاة : إن التاريخ يابى أن تكون الواسطة بينهما رجلا واحدا، فإن الشيخ الجزولي توفي سنة سبعين وثمانمائة، والشيخ الشاذلي توفي سنة ست وخمسين وستمائة، وقال أخوه الشيخ أبو العباس بن أبي المحاسن : هذه الطريق لا تخلو من انقطاع لبعد ما بين العجمي والشاذلي، وقال عنهما الشيخ الإمام العارف بالله أبو محمد عبد الرحمن بن محمد رضي الله عنه بعد كتبه كلام الشيخ الغزواني في طرة على كلام المرابي الآتي يعني أنه اتصل به، بلاشك من غير تكلف تعيين طريق ذلك، وعلى هذا يتنزل كلام ابن عطاء الله المسوق هنا من كتاب اللطائف له والله أعلم انتهى

---

(67) انظر التعليق رقم 62.

(68) هـ : بوادي شفشاوة من عمل مراكش.

وقد قال أبو العباس أحمد بن موسى المرابي، في كتابه تحفة الإخوان ومواهب الامتنان بعد أن ذكر الشيخ الغزواني وشيخه سيدي عبد العزيز وشيخه سيدي محمد بن سليمان : اعلم أنا لا نشك في تحقق نسبة هؤلاء الأئمة إلى الإمام الشاذلي وطريقته، بل نقطع بذلك قطعا، لا تصور معه لريب أصلا، وإنما خفي علينا أعيان المشايخ بعد، وكيفية الاتصال به، لكن ليس هذا الخفاء بالذي يوجب تغييرا في مذهب أو تكديرا لمشرب، وسأتلو عليك في ذلك نبأ يسهل عليك من خطبه، ويجلو عنك نقاب ريبه، ثم نقل قول الشيخ ابن عطاء الله في لطائف المنن، إن طريقة أبي الحسن، تنسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش، عن الشيخ عبد الرحمن المدني، ثم واحد، عن واحد، إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما، ثم قوله عن شيخه سيدي أبي العباس طريقتنا هذه لا تنسب للمشارقة، ولا للمغاربة، إلى آخر كلامه، فكتب عليه سيدي عبد الرحمن كلام سيدي عبد الله الغزواني حسبما في جوابه للشيخ ناصر الدين اللقاني، ثم قال عليه : يعني : أنه اتصل به بلاشك الكلام السابق.

بعض أقوال الشيخ الجزولي ونصائحه :

وللشيخ رضي الله عنه كلام كثير في الطريق، فمنه قوله : من شرط التائب أن يقتدي بشيخ عالم بالظاهر والباطن، وينتهي عما كان يفعل من الشر، ويفعل الخير ما استطاع منه، بقدر الاجتهاد، ويهجر الفجار ويحب الأخيار، ويتبع سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويوالي أولياء الله، ويُعادي أعداء الله تعالى، ويداوم على ذكر الله تعالى، والصلاة على سيدنا محمد ﷺ، ولا يبغض أحدا من أهل الإيمان، ولا يترك الصلاة في أوقاتها ولا يفسد العمل بالرياء ولا يتكبر، ولا يتجبر، ولا يعجب، بنفسه في أعماله وأقواله وأفعاله، ويكون كلامه حكمة، وصمته تفكرا، ونظره اعتبارا، وفرحه بالله، وبأوليائه، وبأنبيائه، وحزنه على نفسه، وما يصدر منها، ولا يكون نماما، ولا بهاتا، ولا محبا في المال ويحب أهل الخير، ويصاحبهم، ويجتنب أهل الشر ويجانبهم، ويحب المساكين والفقراء، ويكون منهم، ويتعلم العلم الذي يقربه إلى الله سبحانه، فأول العلوم النافعة العلم بالله وبصفاته، ثم العلم بأحكام الله وبأمره، ثم العلم بآفات الأرواح، ثم العلم بآفات الأسرار، ثم العلم بآفات الحضرة[69] ثم العلم بآداب المجالسة، ثم العلم بآداب المراقبة، ثم العلم بآداب المشاهدة، ثم العلم بآداب المحادثة، ثم العلم بآداب المكالمة، ثم العلم بآداب الاستماع، ثم العلم بآداب الإلهام، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(69) خ : بآفات النظر.

ومن كلامه أيضا رضي الله عنه قوله : لا تشتغلوا بالنفوس، ولا بالقلوب، ولكن اشتغلوا بتعظيم علام الغيوب، أي لا تقصدوا بعبادتكم مخالفة النفوس، ولا تصفية القلوب ولكن اشتغلوا بتعظيم علام الغيوب[70] فإذا اشتغلتم بذلك كان معبودكم ومقصودكم، والدليل على ذلك قوله تعالى : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون[71]، لأن كل من اشتغل بمخالفة نفسه أو تصفية قلبه، فليس بعابد لله تعالى، وهذا الشرح لكلام الشيخ رضي الله عنه يحتمل أنه من كلامه، أو من كلام بعض أصحابه رضي الله عنهم، لأني وجدته مذكورا مع كلامه فيما قيد عنه، ومن كلامه أيضا رضي الله عنه : اعلم أن التوبة تسع علامات، وهي الحسرة، والندامة، والإنابة، والخشوع، والتواضع، والابتهال، والمداومة، على الذكر، والرضا بالقضاء، وحسن الظن بالمولى، وقال أيضا رضي الله عنه : أيها المريد : اعلم أن سبعة أشياء تقطع عن الارتقاء بالتوبة : وهي الحقد، والحسد، والعجب، والرياء، والكبر، وحب المحمدة، ولذة الرياسة.

واعلم أن من كان في قلبه ثلاثة أمور وهو يدعو إلى الله بالتوبة فهو زنديق :

الافتخار بالعلم، وسوء الخلق، وسوء الظن بالخلق، وقال أيضا رضي الله عنه : الأولياء يحسنون الظن بعباد الله، وعامة العلماء يسيئون الظن بعباد الله، العامة ينظرون إلى ظلمة أنفسهم المائلة إلى الشهوات الشيطانية، فحجبهم ذلك عن شهود المخصوصين المختارين المجذوبين بتأديب الله وإحسانه فمثلهم كمثل رجل أصبح أعمى العينين، وهو يحسبها ظلام الليل، وقال أيضا ـ رضي الله عنه : الشيخ الواصل الذي يأخذ العلم من الله بلا واسطة، ثم قال : والمقطوع هو الذي سلك طريق المجاهدة، ولم يصل إلى طريق المشاهدة، فرجع إلى الخلق يدعوهم إلى الله، فدعاؤه على الحقيقة إنما هو للمجاهدة فقط، لأنه لم يصل إلى المشاهدة، والواصل هو الذي وصل إلى مقام المشاهدة وغاب في أنوار الكمال، ولم يشغله شيء عن الملك الحق، وهو الذي إن رجع إلى الخلق رجع بأنوار وعلوم وأحكام، من تبعه تعلم، وتنور، وفهم ما لم يفهمه غيره من اتباع المقطوعين، وقال أيضا رضي الله عنه : ليس كل داع وجب اتباعه، والداعي على الحقيقة هو الذي يدعو إلى الله على بصيرة، قال الله تعالى : قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة[72] أي معاينة، وقال تعالى : واتبع سبيل من أناب إلي [73] وقال تعالى في حق المقطوعين : ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون[74] وهم كثيرون والذين يعلمون

---

(70) سقط من جـ ولكن اشتغلوا بتعظيم علام الغيوب.

(71) سورة الذاريات الآية 56.

(72) سورة يوسف الآية 108.

(73) سورة لقمان الآية 15.

(74) سورة الجاثية الآية 18.

قليلون، وقال أيضا رضي الله عنه : اكتبوا ما سمعتم مني، فإني واسطة بينكم وبين الحق، الحق يلهم، والعبد يفهم، من ألهم إلى الصواب وجب عليه النطق، لأن فيه منفعة الغير، وقال أيضا رضي الله عنه : قلت لربي : إلهي خصصتني بسرك، ولولا كرمك وفضلك ما نلته، ولولا حلمك لهلكت بإفشائه، فقيل لي : السر سري والكرم كرمي، والفضل فضلي والحلم حلمي، ياعبدي أمرتك بإفشائه، قلت يارب : ما الحكمة في إفشائه ؟ فقيل لي : الحكمة في إفشائه إظهار قدرتي رغما على أنوف المنكرين(75) وبشارة لقلوب السالكين، وأنس لقلوب الواصلين، وقال أيضا رضي الله عنه : أيا من تحلى بكثرة الحال، وكثرة الحكم، فعليك بذكر لا إله إلا الله، أيها المريد، احذف الألف واللام، تجد لذة الحكم، فعليك بذكر لا إله إلا الله أيها المريد، احذف الألف واللام، تجد لذة عبادتك، وتشاهد ربك، احذف الألف واللام فإذا حذفته كنت من أهل اليقين، ومن أهل الشهود، إذا رميت بلام النفي وراء ظهرك اثبت لله الصفة الكاملة، وإذا رميت بهاء الوجود، دخلت في الصفة الكاملة، فإذا قلت لا إله اجتمع الوجود كله في هذه الهاء، وإذا قلت إلا الله طلعت من أعلى الموجودات إلى دنو الرب، قال الله العظيم : ثم دنا فتدلى(76) فإذا قلت لا إله كنت فانيا عن جميع الوجود، فإذا قلت إلا الله رفعت الهمة الأولى إلى الرب، وإذا قلت إلا الله غابت صفتك بصفاته، وتحلت ذاتك بذاته، فكنت فانيا عما سواه، فإذا قلت لا إله كنت متحيرا بوجوده، لا تدري أين تمشي، ولا أين تمضي، فإذا كنت على هذه الصفة أثبت الصفة القديمة لله، وإذا ثبتت له الصفة القديمة فتقول : إلا الله، فإذا قلت لا إله نظرت إلى الوجود بعين الفناء، وإذا قلت إلا الله نظرت إلى الله بعين البقاء، فيكون ذكرك مستويا مع قلبك، الجسم للفناء، والقلب للبقاء، والقلب للفناء، والسر للبقاء، والسر للفناء والرب للبقاء، كان الله في تجلياته محيطا بجميع الأشياء، استنارت قلوب العارفين بنوره وأنسهم بقربه، أيها المريد فعليك بقربه يامسكين تكن حيا أبدا انتهى. قال سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي(77) على قوله أوله، أيا من تحلى بكثرة الحلل الخ في هذا الكلام الترقية من حال الأبرار إلى حالة

---

(75) جـ : المنكرين.

(76) سورة النجم الآية 8.

(77) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي العارف، من مؤلفاته تفسير الفاتحة عن طريق الإشارة، وحاشية على البخاري توفي عام 1036 وكثيرا ما يلتبس عبد الرحمن الفاسي العارف بعبد الرحمن الفاسي سيوطي زمانه، ومن ذلك اللبس الواقع في هامش أزهار الرياض جـ 4 ص 319 فقد التبس على المحققين، فظنا أن المقري يتحدث عن عبد الرحمن بن عبد القادر، حينما قال : صاحبنا وعصرينا، والدليل على ذلك أن عبد الرحمن بن عبد القادر ولد عام 1040، والمقري توفي عام 1041هـ فلا يعقل أن يقول عنه صاحبنا وعصرينا، وعمره عام واحد، ترجمة المؤلف تحت رقم 160.

المقربين، فإن الأبرار مطالبهم ما عند الله ومطلب المقربين الله لا غيره، وقال على قوله بعده أيها المريد احذف الألف واللام إلخ :

أشار بحذف الألف واللام للفناء، فإنه السبيل إلى المشاهدة، وذلك حاصل من النفي الشعور بغير الله، وعند ذلك يشاهد الله، كما في إشارة إن لم تكن تره، لكن الألف واللام متجه حذفه في اسم الجلالة، وأما الهيللة فالمتجه التعبير بحذف لام الألف، والإشارة بالحذف إلى كون الذاكر هو المذكور بورود مادة الحق على القلب، فيمتحي العبد وكسبه، ويكون الله ذاكر لنفسه وتلك موهبة محضة، قد انطوى فيها، وانحذف وجود الغير وكسبه، لكن ان بقي مع ذلك شعور بالوارد، كان العبد من أهل اليقين والمشاهدة، ولم يكن من أهل الاستغراق، حتى يفنى عن الشعور بالكلية، فحينئذ يكون إما من أهل الجمع المطلق، والاتحاد المحقق، أو من أهل البقاء، إذا مد بسره فيكون ذاكرا ربه بربه من غير شعور بوجوده ولا بكسبه، وإنما يجري ذلك عليه، وإلى هذا كله يشير كلامه بعد فانظره، فإن ما بعده يشير إلى شرح ما قبله انتهى.

وقال الشيخ أيضا رضي الله عنه عن ربه تعالى : ياعبدي لا تستكثر ما أعطيتك من حديثي، وكلامي، وقد كلمتك في الأزل قبل وجودك، وجددت لك الفهم بعد وجودك، ونورت قلبك قبل وجودك، وطهرت سرك بعد وجودك، وأطلعتك على مكنون علمي، وشرفتك على خصوص خلقي، وألهمتك الاستماع مني، وحكمتك على خيار خلقي، ومنحت لك غاية السر، ياعبدي، العلماء كلهم في قبضتك، وقال أيضا رضي الله عنه عن ربه عز وجل : ياعبدي استضاء نورك بنوري، وعلمك بعلمي، فقلت يارب، ما نوري ؟ فقيل لي : نورك عقلك، ونوري إلهامي، فقلت : يارب وما علمي وما علمك ؟ فقيل لي : علمك فهمك، وعلمي إمدادي، وقال أيضا رضي الله عنه : قل للعلماء طوبى لكم إن كنتم مخلصين، لا ينفع العمل(78) بلا إخلاص، وقال أيضا رضي الله عنه : العارفون بالله أقوام أصلحوا، فلما أصلحوا اخلصوا، فلما اخلصوا، قربوا، فلما قربوا دخلوا، فلما دخلوا نزلوا، واستقروا، فلما استقروا تمكنوا وطلبوا، فلما طلبوا، وجدوا فلما وجدوا شاهدوا، فلما شاهدوا دهشوا، فلما دهشوا طاشوا، فلما طاشوا ماتوا، فلما ماتوا فاتوا، فلما فاتوا عاشوا، فلما عاشوا تكلموا مع الحي الذي لا يموت، فلما تكلموا استأنسوا فهذه صفة العارفين، الشاربين المحبة والمكاشفة المقربة على بساط الأنس، والمشاهدة في السالك والمجذوب.

وقال أيضا رضي الله عنه : الأولياء يستفتون(79) قلوبهم ولهم علامة بينهم وبين

(78) خ : العلم.

(79) خ : يستفهمون.

ربهم، ولا يأكلون إلا ما أقرت عليه قلوبهم، وإذا علم الله منهم الاضطرار، فجائز أن يزين لهم طعاما، فيدخلون عليه بحسن اليقين، وقال أيضا رضي الله عنه : قيل لي قل للمريدين لا تذنبوا بالأسرار، فقلت وما ذنب الأسرار ؟ فقيل : الالتفات، فقلت الالتفات عمن ؟ فقيل لي الالتفات عنك، وقال أيضا رضي الله عنه : قيل لي : ياعبدي حرض أصحابك، من لم يفتح له على يدك، لم يفتح عليه أبدا، وقال أيضا رضي الله عنه : آداب المريد مع شيخه عشرون : خمسة منها في حال الجلوس، وخمسة في حال الغيبة عنه، وخمسة في حال ذكره، وخمسة في حال محبته، فأما الخمسة التي في حال الجلوس فهي السكينة والوقار، والهيبة، والحياء، والخوف، والخمسة التي في حال الغيبة عنه، فهي المراقبة نحوه، والافتقار إليه، والتواضع، والاستمساك بعنايته، والمداومة على ذكر فضائله في قلبه بالتعظيم، والخمسة التي في حال ذكره فهي النظر إليه، والرجاء فيه[80]، والاستبصار ببركته والنظر فيما بينك وبينه من العقيدة، والخمسة التي في حال المحبة، فهي مداومة الحب، ومداومة الشوق، والحمى نحوه والهيج والاندهال من الاشتياق إليه فذلك كله يأتيك من جهة الشيخ. وفي محل آخر بعد قوله والحمى نحوه، والهيج لديه، والهز من الاشتياق إليه، وقال أيضا رضي الله عنه : من تأدب مع شيخه تأدب مع ربه، وحرمة الشيخ على المريدين كحرمة النبي مع الأصحاب، وقال أيضا رضي الله عنه : ما أفلح من أفلح إلا بمجالسة من أفلح، ولا هلك من هلك إلا بمجالسة من هلك، وقال أيضا رضي الله عنه : يريدون الياقوت بالضرب على الحديد، يريدون مقامات الرجال بأعمال الجهال، يريدون أحوال الأبرار بأعمال الفجار، وقال أيضا رضي الله عنه : قل للمريدين يتأدبوا بآداب السنة أن يقولوا عند القيام من المجالس : سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك[81] وقال أيضا رضي الله عنه : مخالطة العموم تذهب بنور القلب، وهيبة الوجه، من مات على مخالطة العموم، جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر المخسوف لا نور له. فليجتهد العاقل في مخالطة الخصوص، وفي مخالطة الخصوص ثلاث خصال : اكتساب العلم، وصفاء القلب، وسلامة الصدور، وقال أيضا رضي الله عنه : اهربوا من مجالس

---

(80) سقطت الخامسة من النسختين.

(81) الحديث رواه الترمذي بالسند الآتي : حدثنا أبو عبيدة بن أبي السفر الكوفي احمد بن عبد الله الهمداني حدثنا حجاج بن محمد قال، قال ابن جريج أخبرني موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك، قال حديث حسن غريب راجع الترمذي بشرح ابن العربي : عارضة الأحوذي ج. 12 ص 315 الطبعة الأولى عام 1931م.

الفجار من جلس مع الفجار قسا قلبه، ومن جالس الأبرار استنار قلبه، ومن استنار قلبه جال روحه، وقال أيضا رضي الله عنه : العلم دواء، والجهل داء، والعلم ولاية، والجهل عداوة، والعلم صفة المؤمنين والجهل صفة الكافرين، وقال أيضا رضي الله عنه : ياطالب الولاية عليك بالصدق والرعاية، الصدق مع الله نور، والمعرفة برهان، الالتفات إلى غيره بهتان، وضياع حقوقه حرمان، والغفلة عن ذكره خسران، وقال أيضا رضي الله عنه : القلوب أجنة، والاذكار أشجار، ومعرفة معاني الأسماء ماء، ومشاهدة الجلال والجمال والكمال ثمار، وسماع الحديث والكلام ثمار في ثمار، وقال أيضا رضي الله عنه : لكل ذكر فكر، ولكل فكر نور، ولكل نور سر، ولكل سر عبادة، ولكل عبادة حضور، ولكل حضور شهود، ولكل شهود هيبة، ولكل هيبة تعظيم ولكل تعظيم تنزيه، ولكل تنزيه تحميد، ولكل تحميد تقريب، ولكل تقريب حديث، ولكل حديث فهم، ولكل فهم لذة، ولكل لذة شوق، ومن لم يسلك هذه المقامات فعليه بمجالسة أهلها، وقال أيضا رضي الله عنه : وقد سأله رجل ياسيدي من أي شيء ياتينا الوسواس ؟ فقال له : ياتيك من جهة الشيطان، والشيطان ياتيك من جهة الجهل، والجهل ياتيك من قلة التعليم، وقلة التعليم تاتيك من جهة الكبر، والكبر ياتيك من جهة العجب، والعجب ياتيك من جهة الرياسة، والرياسة تاتيك من جهة الطمع، والطمع ياتيك من جهة الحرص، والحرص ياتيك من جهة حب الدنيا، وحب الدنيا ياتيك من طول الأمل، وطول الأمل ياتيك من جهة الغفلة، والغفلة تاتيك من ظلمة القلب، وظلمة القلب تاتيك من قلة الذكر، وقلة الذكر تاتيك من قلة الفكر، وقلة الفكر تاتيك من كثرة السهو، وكثرة السهو تاتيك من مصاحبة أهل الهوى ومصاحبة أهل الهوى تاتيك من جهة الحمق، وكثرة الحمق ياتيك من قلة العقل، قال تعالى : لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم ءاذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل[82] وقال رضي الله عنه : الوسواس ياتيك من مجالسة أهل السوء، وقال أيضا رضي الله عنه : (في الكلب عشر خصال محمودة ينبغي أن تكون في المريد الصادق، أولها : لا ينام من الليل إلا قليلا، وذلك من علامة المحبين، والثانية لا يشتكي من حر ولا برد، وذلك من علامة الصابرين، والثالثة إذا مات لم يترك بعده ما يورث عنه، وذلك من علامة الزاهدين، والرابعة لا يغضب، ولا يحقد وذلك من علامة المؤمنين، والخامسة لا يحزن حزينا، ولا يتحمل عوينا وذلك علامة الموقنين والسادسة إذا أعطي شيئا أكله، وقنع، وذلك من علامة القانعين، والسابعة ليس له موضع معلوم يأوي إليه، وذلك من علامة السائحين، والثامنة أي موضع وجد نام فيه، وذلك من علامة الراضين، والتاسعة إذا عرف مولاه لم ينكره،

---

(82) سورة الأعراف الآية 179.

وإن ضربه وجوعه، وذلك من علامة العارفين، والعاشرة لا يزال جائعا وذلك من علامة الصالحين)، إلى غير هذا مما جمع عنه رضي الله عنه ونفعنا به.

حزب سبحان الدائم :

وله أيضا رضي الله عنه حزبه المعروف بحزب الجزولي، وبحزب سبحان الدائم لا يزول[83]، وذلك أوله وكذا ما قبله من قوله : العزيز ذو الجلال إلى آخر الكلمات المقرونة بكلمة الشهادة، وآخر كلامه قوله : وجميع المومنين، وأما ما بعده من قوله : أهل المجد والتعظيم إلى قوله ثم نختم بالسلام على النبي الشفيع فمن كلام كبير تلامذته سيدي محمد بن محمد العمري المعروف بالصغير السهلي، وقوله بركة الخضر[84] بإلهي إلى تمام ذكر اسم الجلالة، أصله من كلام تلميذه أيضا الشيخ أبي العباس أحمد ابن عمر الحارثي : وأقرهم الشيخ على قراءته مع زيادات لغيره في ذلك التوسل، ومن يقرأه من أتباع الشيخ وغيرهم يقرأه بزيادة الشيخين وغيرهما والحزب برمته من شعار أتباع الشيخ، والمنتسبين إليه، ووظائفهم وأورادهم، يقرؤونه بعد صلاة الصبح، وله صولة ظاهرة، وقوة باهرة، وبركة واضحة، وتحصين عظيم من الآفات العارضة، وقال في مرءاة المحاسن : وسمعت قديما أنه لما كان السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ ماهد دولة الشرفاء يتوهم[85] من مشايخ الفقراء، لدخوله للملك من بابهم، عزم خديمه على الكرماط، على أخذ زاوية سيدي علي اللهبي، أحد الطائفة الجزولية، من أصحاب سيدي عمر الحصيني، فجاء ليلا في خيله، فلما قصد الحلة، وجد بينه وبينها سورا، فدار به، فلم يجد له بابا، فرجع، فلما شاعت القصة، وبلغت سيدي علي اللهبي، قال : ما عندي سور إلا حزب الجزولي، يعني هذا، أو مضموما لحزب الفلاح[86] أما حزب فلان، بمعنى أصحابه وجماعته فقليل الاستعمال في العرف العام انتهى، وقوله لدخوله للملك من بابهم، قال في دوحة الناشر، في ترجمة الشيخ العلامة الولي الجليل أبي محمد عبد الله بن عمر المدغري من أصحاب الشيخ زروق، والشيخ عبد العزيز القسمطيني[87] : وكان السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ، وأخوه أبو العباس من

---

(83) القوم أذكار مؤلفة من الآيات والأذكار النبوية والتوسلات يسمونها حزباً.

(84) الخضر بكسر الخاء وسكون الضاد، وبفتح الخاء مع سكون الضاد وكسرها لقب لصاحب موسى عليه السلام، وكنيته أبو العباس واسمه بلياء.

(85) يتوهم يظن، واستعملها المؤلف بمعنى يتخوف.

(86) حزب الفلاح من الأذكار بعد صلاة الصبح وأوله بعد التعوذ والبسملة الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك. انظر الملحق رقم 1.

(87) عبد العزيز القسمطيني، من أكابر الأولياء، وأعلام الصوفية، من تلاميذه أبو محمد عبد الله المدغري وأبو عبد الله محمد بن علي الدرعي.

تلامذته، وبسببه كانت دعوتهما، حدثني الوزير المعظم أبو عبد الله محمد ابن الأمير أبي محمد عبد القادر بن السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف قال : لما غدرت قبيلة المنابهة بجدي السلطان المذكور، وأنجاه الله من غدرتهم، عرف الشيخ أبا عبد الله بن عمر بذلك، فكتب إليه، وهو يقول له : أين أنت من قول أبي الطيب المتنبي(88) :

غاض الوفاء فما تلقاه في أحد　　　وأعوز الصدق في الأخبار والقسم

فعكف السلطان المذكور على حفظ ديوان المتنبي، حتى علق بحفظه كله، ولم يعزب عنه بيت واحد، وذكر أيضا في ترجمة الشيخ المشار إليه بالولاية الكبرى، والخصوصية العظمى، أبي عبد الله محمد بن المبارك، من أحواز رباط ماسة من قبائل المصامدة، أنه الذي أمر قبائل السوس، بالانقياد إلى السلطانين الشريفين أبي العباس أحمد، وأخيه أبي عبد الله محمد الشيخ، وأمرهما بالعدل والجهاد في سبيل الله تعالى، لما رأى النصارى تغلبوا على سواحل تلك البلاد، فكان من أمرها ما هو معلوم، وقال في ترجمة الشيخ أبي محمد عبد الكريم الفلاح(89) وكان السلطان أبو العباس أحمد بن محمد الشريف، وأخوه أبو عبد الله محمد الشيخ يأتيان إلى زيارته بزاويته انتهى وفي نسخة من الحزب المذكور، قال كاتبها بعد نسبة الحزب للشيخ قال : وما وأظنه عليه إلا ولي ومبارك، وكأن القائل هو الشيخ.

الاعتذار عن خروج بعض كلمات الحزب عن القواعد العربية :

وقال الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام العارف بالله أبي المحاسن يوسف الفاسي، والشيخ الإمام أبو الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي الزياتي فيما وجدت بخطهما، يحكي أن الشيخ رضي الله عنه، ألف هذا الحزب لأهل داره، وعياله، يقرؤونه في الدار، وهو الظاهر، لمن تأمل كلامه فيه، فإنه كثيرا ما فيه من إعطاء الوصل حكم الوقف، وكثيرا يعبر فيه بلغة الوقت، ولسان العصر، كقوله ياقريب،

---

(88) أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين الشاعر المشهور ولد بالكوفة ونشأ بالشام، وتنقل في البادية، وقال الشعر صبيا، ولد سنة 303 وتوفي سنة 354 والبيت من قصيدة له في رثاء فاتك مطلعها :

حتام نحن نساري النجم في الظلم　　　وما سراه على خف ولا قـــدم

وتتألف من 39 بيتا.

(89) عبد الكريم الفلاح من أهل مراكش، ومن أصحاب التباع، عاصر الغزواني وأخاه، وكانت لزاويته مائدة فخمة لاطعام الطعام للوارد والصادر، مع جودته وكثرة الفواكه، وأصناف اللحوم، وأنواع الطبخ توفي في أواسط العشرة الرابعة من القرن العاشر ودفن بضريح القاضي عياض ملاصقا له، ترجمه المؤلف تحت رقم 10.

يامجيب جب دعانا بفضلك، وغير ذلك وكثيرا ما فيه أيضا من الألفاظ بحسب ما يليق بالنوع الذي هو منه من أنواع الطبوع، كقوله في بعض الفواصل قادر، وفي أخرى عازل وفي أخرى ذالل، وفي أخرى عاظم، إلى غير ذلك مما مد فيه المقصور، أو قصر الممدود وسكن المتحرك أو حرك الساكن، لهذا يظهر لك وجه صنيعه رضي الله عنه، والله الموفق بمنه، زاد أبو العباس : ومع هذا فما رأينا أحدا واظب على قراءته إلا وجد له بركة ونورا في قلبه انتهى، ومما وجدته بخط الشيخ أبي العباس أيضا من الكلام على هذا الحزب أن قال : عادة الذين يقرؤون هذا الذكر يعني العزيز ذو الجلال إلخ، وما بعده من الحزب أن تقرأه طائفة جملة، ثم ترد عليها طائفة أخرى، وقال : ولهذا فصلنا بين كل جملة بحرف الباء، في القلم الهندي، التي هي علامة على اثنين انتهى وإنما كانت قراءته كما ذكر، لأنه موضوع على مراعاة الطبوع، والألحان، والأوزان، كما تقدمت الإشارة إليه، وقد سبقه إلى وضع الحزب على مراعاة ما ذكر الشيخ القطب سيدي علي بن وفا(90) رضي الله عنه، قال في المواهب اللدنية في آخر كلامه على السماع آخر المقصد التاسع : فزبدة السماع تلطيف السر، ومن ثم وضع العارف الكبير سيدي علي الوفوي من حزبه المشهور على الألحان والأوزان اللطيفة تنشيطا لقلوب المريدين، وترويحا لأسرار السالكين، فإن النفس كما قدمناه، لها حظ من الألحان، فإذا قبلت هذه الواردات السنية، الفائضة من الموارد النبوية المحمدية، بهذه النغمات الفائقة، والأوزان الرائقة، تشربتها العروق، وأخذ كل عضو نصيبه من ذلك المدد الوفوي المحمدي، فأثمرت شجرة خطاب الأزل بما سقيته من موارد هذه اللطائف عوارف المعارف انتهى. وفي مفتاح الفلاح : وإن كان الذاكرون جماعة فالأولى في حقهم رفع الصوت بالذكر، مع توافق الأهواء بطريقة واحدة موزونة، ثم ذكر أن ذلك أكثر تأثيرا، وأشد قوة في رفع الحجب عن القلب، من ذكر واحد وحده انتهى، وقال الشيخ أبو عبد الله الزواوي صاحب كتاب عنوان أهل السر المصون، عند كلامه على آداب الذكر : الثاني والعشرون أن يستمع بعضهم من بعض في الذكر، فإن كان الشيخ فبغنته ينطقون كلهم، وإن لم يكن فبغنة أحسنهم صوتا، ويحتفظون على ذلك جدا، حتى يكون صوتهم كأنه من لهاة واحدة يخرج، فإن ذلك له أثر في القلوب، وتزيين الصوت بالذكر من السنة انتهى وبخط الشيخ أبي العباس أيضا قوله : حضير إما أن يقال فيه ما ذكرنا أول الحزب وهو الظاهر يعني من كونه ألفه لأهل داره وعياله إلى آخر ما تقدم، وإما أن يقال عدل عن صيغة فاعل المقيسة في حضر وبابه إلى صيغة فعيل لقصد المبالغة المنبئ عنها فعيل، لا يقال إنما يحسن ذلك فيما يقبل التفاوت، نحو حافظ وحفيظ وعالم وعليم، وأما الحضور ونحوه فلا تفاوت فيه لأنا نقول : المراد من

---

(90) انظر التعليق رقم 12.

المبالغة دوام الحضور ، كل وقت وقت ولحظة لحظة، وهذا لا يؤخذ من قولك حاضر، لأن فاعل للعروض والتجدد كثيرا، وأيضا صيغة المبالغة ينساق الذهن بها لاستحضار قيوميته وحياطته المؤذيين للانتباه واليقظة المفضيين إلى انتحال الخيرات، وارتكاب القربات ويحصل بذلك المراد ما لا يحصل من الصيغة الأصلية، والله أعلم بالصواب انتهى وقال الشيخ أبو الطيب : إنما عدل رضي الله عنه عن صيغة فاعل المقيسة في حضر وبابه إلى صيغة فعيل الخ ما تقدم لأبي العباس، وقال الشيخ أبو العباس والشيخ أبو الطيب أيضا : قوله يعلم جهلنا، هكذا هو وغيره إصلاح وفيه معنى لطيف رائق فإنه ينبئ عن قوة جهلنا وتراكمه وذلك هو اللائق بنا، بيان ذلك : أنه جعل جهلنا موصوفا بالجهل، بقرينة إضافة التعليم إليه ففيه مجاز عقلي مكني إذ المجاز العقلي قسمان : صريح كقوله جهل جاهل، وشعر شاعر، وكناية : سلى الهموم، فإنه مجاز عقلي حيث جعل الهموم محزونة بقرينة إضافة التسلية إليه، وقول الشيخ أن يعلم جهلنا، من قبيل سلى الهموم، فإنه جعل الجهل جاهلا، بدليل إضافة التعليم إليه، وهذا مطروق عند أرباب المعاني والله الموفق بمنه انتهى وقد رأيت فيما مضى على هذا الحزب شرحا للشيخ سيدي عبد الوارث الياصلوتي[91] رضي الله عنه، مع مناقشة بعض كلماته وللشيخ أيضا رضي الله عنه حزب الفلاح الذي أوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية، قال في المرواة والتزمه اتباعه، وشاع عند غيرهم كثيرا انتهى وأخبرت أن عليه شرحا جليلا ممتعا للشيخ أبي العباس أحمد بن أبي القاسم الزمراني التادلي الصومعي[92] رحمه الله وهو ـ أعني الحزب ـ مجموع آيات وأذكار لها فضائل، ونفع، ودفع، وردت بها أحاديث وآثار، وقوله فيه : أفضل ما هو أهله، هو الثابت في الحزب، وكذلك تلقته الطائفة الجزولية وثبت بخط الشيخ أبي عثمان سعيد الدكالي البرزقي من أصحاب الشيخ، وأنكر بعض الناس بأن هذا حديث، ولم تثبت لفظة أفضل فيه، وبأن معناه أفضل مما هو أهله، وقد نادى الناس عليه بالنكير، منهم الشيخ الإمام المقرئ الخطيب

---

(91) عبد الوارث بن عبد الله الياصلوتي أصله من غمارة، وينتهي نسبه إلى عثمان بن عفان كبير الشأن، غزير العلم والمعرفة، ألف تآليف عديدة في التصوف وشرح المباحث شرحا عجيبا أخذ عن الغزواني وابن غازي والونشريسي والقاضي المكناسي، وغيرهم استدعاه السلطان مع جماعة من المشائخ والفقهاء فتخلف ولم يحضر، ولم يرفع لهم حاجة لأنه كان يرى الفساد في لقاء الولاة أكثر من الصلاح، وإذا قدم لفاس اختفى في دور أصحابه حتى يقضي أربه وينصرف لبلده ولد سنة 888 وتوفي سنة 971 بتاصروت أو تاتزروت ببني زروال عرف به صاحب الكتاب تحت رقم 41.

(92) أحمد بن أبي القاسم الصومعي التادلي صاحب زاوية الصومعة بتادلا، من مشاهير الأولياء له المشاركة في العلوم وقدم راسخ في التصوف، ألف في الحروف والأسماء وغيرها، واجتمع عنده من الكتب ما لم يجتمع لغيره، توفي سنة 1013 ودفن بمدشر الصومعة انظر ترجمته في كتاب تاريخ قبيلة بني ملال تأليف محمد بن البشير بوسلام ص 62.

مفتي مراكش أبو عبد الله محمد بن الأستاذ أبي يعقوب يوسف الترغي[93] والشيخ أبو الطيب الحسن بن مهدي الزياتي[94] والشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الفاسي[95] والشيخ أبو العباس أحمد بن الشيخ أبي المحاسن الفاسي[96] وشيخ جماعتهم الإمام أبو عبد الله القصار[97] وغيرهم وقد نقل في مرءاة المحاسن شيئا من كلامهم، وزاد المسألة إيضاحا وحاصل ذلك عدم تسليم أنه لم يرد لفظ أفضل في الحديث، فقد ورد في حديث ضعيف، والضعيف يعمل به في نحو هذا، على أن مثل هذا من الكلام الواضح المعنى، يكتفي بالاعتماد فيه على صحة معناه، ووضوحه، ولا يلزم الذاكر والداعي والمصلي بنحو ما ورد أن لا يزيد، وقد زاد غير واحد من الصحابة ومن بعدهم، والممنوع نسبة الزيادة له صلى الله عليه وسلم، ولفظ أفضل هنا، مضاف إلى معرفة لا إلى نكرة، كما توهم، ونظيره أعط زيدا أحسن ثيابه عندك، إذا كان له عندك ثلاثة أثواب، مثلا، متفاضلة أي أعطه الثوب الذي هو أحسن من كل ثوب من الثياب المذكورة، فيس حسنه بحسن هذا الثوب المعطى، وليس المراد اعطه ثوبا أحسن من الثياب المذكورة فيكون رابعا، وهذا في غاية الوضوح، لا يخفى على ذي فطرة سليمة، وكتب الشيخ أبو العباس الفاسي والشيخ أبو الطيب الزياتي أيضا، على قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء الخ أي أعوذ باسم الله الذي لا يضر مع العوذ به شيء، فبان أن لفظ اسم من قوله مع اسمه زائد، كقوله إلى الحول ثم اسم السلام عليكما البيت، وأن الهاء فيه عائدة على المصدر المفهوم من الفعل المطوي في صدر الكلام، ملاحظا معه معموله، ولذا صرحنا به في قولنا مع العوذ به انتهى وهذا على أن الموصول واقع على لفظ اسم وأما على أنه واقع على الجلالة فالضمير في اسمه عائد على الجلالة ولا إشكال والله أعلم ومن دعائه رضي الله عنه : اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة، وهب لنا صحيح المعاملة بيننا وبينك، على السنة والجماعة، وصدق التوكل عليك، وحسن الظن بك، وامنن علينا بكل ما يقربنا إليك، مقرونا بالعفو في الدارين، يارب العالمين انتهى.

---

(93) أبو عبد الله محمد الترغي المساري، الفقيه القدوة العلامة مفتي مراكش، الخطيب، المقرئ، المحقق العمدة في القراءات السبع، توفي سنة 1009.

(94) أبو الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي الزياتي، أصله من بني عبد الواد من قبائل زناتة التي كانت تحكم تلمسان، انظر ترجمته في نشر المثاني جـ 1 ص 198.

(95) انظر التعليق رقم 77.

(96) أحمد بن أبي المحاسن حافظ المغرب من مؤلفاته : شرح على الشريشية في السلوك وشرح على عمدة الأحكام، خرج فارا من فاس غب امتناعه من الموافقة على تسليم العرائش للنصارى توفي عام 1021 ببوزيري ودفن بروضة محمد السبع والد الشيخ المجذوب انظر بقية أخباره في نشر المثاني جـ 1 ص 161.

(97) انظر ترجمته في التعليق رقم 10.

اعتذار المؤلف عن التقصير :

وهذا ما تيسر من التعريف بالشيخ الجزولي رضي الله عنه وما يتعلق به، ولم أر من ألف في ذلك، أو قيد فأوعب فاستغني أو استعين به، وسمعت أن الشيخ الصالح أبا العباس أحمد بن أبي القاسم الزمراني التادلي الصومعي رحمه الله له تعريف بالشيخ، واتباعه لكني لم أره، فلي العذر في الاقتصار، والقصور عن الامتاع والإكثار.

المنهج الذي سار عليه في التراجم :

ثم رأيت أن أذكر ما حضرني من اتباع الشيخ إذ تلك آيته الكبرى وكرامته العظمى، والكل في ميزانه، ومستمد منه، ومهتد، ومقتد به، مبتدئا بذكر كبير أصحابه، ثم وارث الشيخ، ثم من عرفت من أصحاب الشيخ، ثم أصحاب الوارث، مبتدئا منهم بوارثه، ثم بعدهم أصحاب إخوته ثم أصحاب هذا الوارث الثاني ثم أصحاب إخوته ثم أصحاب أصحاب أعمامه ثم حفدة الوارث الثاني ثم حفدة إخوته ثم أبناء حفدة أعمامه، ثم من بعدها ولاء، على هذا الترتيب، فأما أصحابه رضي الله عنه وعنهم.

2) أبو عبد الله محمد الصغير :

ومنهم : كبيرهم الشيخ أبو عبد الله محمد الملقب من شيخه بالصغير، مصغر، ابن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم العمري، بسكون الميم، من أولاد عمرو، من قبائل عرب سوس المعروف بالسهلي، نسبة إلى أخواله السهول، وكان من أكابر الأولياء المحققين، واحد الأفراد من المواصلين، ذوي الهمم العالية، من المقربين وكان عند شيخه يصطاد الرجال بهمته ونظرته، وكان يغني بنظرة، فانتفع به كثيرون، وتخرج على يده رجال، وكان مقصودا للزائرين، ووجهة للطالبين، ومنزله بخندق الزيتون(98) قرب وادي اللبن، من أحواز فاس، وبه توفي عن سن عالية، جدا، سنة ثمان عشرة وتسعمائة، وقبره هناك مشهور مشهود، وبنى عليه روضة الشيخ أبو محمد عبد الله الغزواني رضي الله عنهما.

3) عبد العزيز التباع :

ومنهم : وارث حاله الشيخ أبو محمد وأبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق الحرار، عرف به وبالتباع، والحرار نسبة إلى صناعة الحرير، إذ كانت حرفته في أول أمره، كان عالما، عاملا، وشيخا كاملا، بحر العرفان، ومجمع المآثر الحسان، شيخ المشايخ،

---

(98) خندق الزيتون مكان بقبيلة أولاد جامع قرب ممر نهر سبو بأحواز فاس.

وأستاذ الأكابر، وجبل الفضل الشامخ، وجرثومة المفاخر، قطب وقته، ووارثه، وغوثه النفاع، وإمام أئمة الطريقة في عصره، من غير اختلاف، ولا نزاع، قال أبو العباس المرابي[99] : في تحفة الإخوان : كان رضي الله عنه في إمامته، وجلالته، بمكانة يعز على الوصف بلوغ مداها، ويعلو على ارتفاع الشأن وشهرة الصيت نداها، وقد تخرج عليه من أكابر المشايخ ما لا يكاد يحصيه عد، أو يحصره حد، وبالجملة فقد افعمت أقطار المغرب أنواره، وملأت صدور رجاله معارفه وأسراره، حتى كان يشتهر فيما لقناه من بعض الصالحين من الأقطار المراكشية بسيدي عبد العزيز الشيخ الكامل، وكان يقال : النظرة فيه تغني انتهى. ووصفه شيخه بالكيمياء، وذلك أنه خدمه مدة، وفتح له على يديه، فلما حان أجله، أوصى به سيدي الصغير، وقال له : ياصغير، الله الله في عبد العزيز، فإن عبد العزيز كيمياء، فسار إليه بعد موت الشيخ، فخدمه سنين بمنزله، من خندق الزيتون، وكان إذا رقد بالليل غطاه سيدي الصغير بثوبه الذي عليه، وقعد يحرسه، وكان على ذلك، إلى أن كان ذات يوم، وكان شديد المطر والريح والطين، وكان في خدمة الشيخ ورعاية ماشيته، فنظرت زوجة الشيخ إليه على بعد وكان اسمها تاتو، وهو حامل شيئا على عنقه، وشيئا بيده، فأشفقت منه على تلك الحال في ذلك اليوم، فقالت للشيخ : انظر فيما هو فيه عبد العزيز لو كان بيدي شيء، لا نلته إياه اليوم، ومكنته منه، فلما وصل قال له الشيخ : ياولدي ادع لأمك تاتو فدعا لها، ثم قال له : سر ينتفع بك الناس، فأطلقه من ثقاف الإرادة، وسار فاستقر بمراكش وطنه، وأقبل الناس إليه من كل مكان، واشتهرت كرامته، وانتشرت تبعته، وعم خيره من المغرب الزوايا والأركان، ذكروا عنه أنه احتجب مرة في داره أياما، ثم خرج لباب الدار، فسمع الناس بخروجه أو أمرهم بدعائهم إليه، فجعلوا ياتونه فيسلمون عليه، وينظر إليهم، فلما انقضى ذلك أخبرهم أنه ولد في ذلك اليوم خمسمائة ولي، وظهر بهذا ومثله مصداق قول شيخه فيه : إنه كيمياء، توفي سنة أربع عشرة وتسعمائة وقبره بمراكش مزارة عظيمة مشهورة بالموضع المعروف بين[100] الثلاثة فحول، يزدحم عليه الرجال والنساء، وأثر الجمال عليه ظاهر، رضي الله عنه، ونفعنا به.

4) أبو العباس أحمد بن عمر الحارثي :

ومنهم : الشيخ أبو العباس أحمد بن عمر الحارثي السفياني نزيل مكناسة الزيتون،

---

(99) أبو العباس احمد بن موسى المرابي الأندلسي الأصل، الفاسي السكن من تلاميذ رضوان الجنوي، وهو الذي ألف : تحفة الاخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان وفي الخزانة العامة نسخة منه تحت رقم 154 ك وللمرابي موشحات وأزجال توفي عام 1034.

(100) باسقاط بين.

الولي الكبير، العارف الشهير، قال في الدوحة : كان رحمه من الأكابر الذين لهم التصرف الرباني، صحب الشيخ القطب أبا عبد الله محمد بن سليمان الجزولي، وأخذ عنه، فهدى الله به أمة عظيمة، ومشايخ الصوفية يعظمونه غاية التعظيم، ويثنون عليه الثناء الجميل، ويحكون عنه عجائب الأسرار، سمعت شيخنا أبا الحجاج بن عيسى يقول : كان شيخ شيخنا أبو العباس الحارثي رضي الله عنه، لا يفتر له لسان عن ذكر الله تعالى، وكان دأبه أن يخيط أطباق المزفة والقفف فلا يدخل المخيط ويخرجه في كل مرة إلا بكلمة الهيللة انتهى، وكان من خبر بدايته وصحبته للشيخ، أن الشيخ رضي الله عنه كان يبعث سيدي الصغير السهلي رضي الله عنه في البلاد، فيقتنص الرجال، ويجلبهم لحضرة الله، ويرشدهم، ويدلهم على الله، فقال له يوما : يا صغير ألا تمشون تصطادون ؟ فذهب يجول في البلاد فأتى على محل صاحب الترجمة ثم على خيمة، فاستضافهم فوجد الشيخ أبا العباس غائبا متصيدا، وكان شيخ قبيلته ورئيسها، فسألتهم زوجته من أنتم ؟ فقالوا أصحاب سيدي محمد بن سليمان الجزولي فقالت : مرحبا بأصحاب أبي، وكان أبوها منهم، فأنزلتهم، وأكرمتهم، ثم أتى الشيخ أبو العباس فوجدتهم، وأعلمته زوجته بمكانهم، فسلم عليهم، ورحب بهم، وأقبل عليهم غاية الاقبال، وذهب يهيئ لهم الطعام، وما يصلحهم، وقد ذهبوا بسمعه، وبصره، فدخل غنمه، وجعل يذبح، فقال سيدي الصغير : لأصحابه تفقدوا هذا الرجل، لا يجهز على غنمه، فذهبوا إليه فوجدوه قد ذبح منها شيئا كثيرا، فكفوه عن الذبح، ثم أقاموا عنده أحسن مقام، وقد دخل في حزبهم، وانخرط في سلوكهم، قال بعضهم : لما صلى المغرب معنا، كان من جملة عامة الناس، فما صلى العشاء، أو قال الصبح، حتى كان من أكابر أولياء الله تعالى، ثم لما أرادوا الانصراف، جمع ماله من ماشية وغيرها حتى جمع رماد كانونه، وذهب بذلك كله معهم إلى الشيخ، فلما قرب من منزل الشيخ، قالوا له : قف حتى نشاور فيك الشيخ فشاوره فإما قال لهم : لا نقبل إلا ماله، ولا نقبله هو، وإما قال لهم : خيروه بين أن نقبله ولا نقبل ماله : أو نقبل ماله ولا نقبله، فذكروا له ذلك فقال فليقبل مالي ولا يقبلني، فأخذوا ماله، وفرقوه على عينه، وهو ينظر، وأعطوه منه حمارا، وإناءا فذهب يتمعش به، ويحتطب عليه، ويقوت نفسه، وعياله بما يحصل من ذلك، وسكن مكناسة الزيتون، وبقي على ذلك مدة، ثم قال لهم الشيخ : ألا تفتقدون صاحبكم كيف هو ؟ فذهب سيدي الصغير وأصحابه حتى أتوا مكناسة فسألوا عن داره فدلوا عليها فلم يجدوه فيها فسألتهم المرأة من هم ؟ فتعرفوا لها، وأنهم أصحاب سيدي محمد بن سليمان الجزولي، فقالت : موسى لحيتي هؤلاء يعني الذين كشطوها(١٠١) واستأصلوا مالها، كما يستأصل الموسى شعر اللحية في الحلق ممثلا بصاحبها، ثم أتى

---

(١٠١) أي اقتربوها من كشط البعير نزع جلده.

الشيخ صاحب الترجمة فسلم عليه، وذهب فباع الحمار وأضافهم بثمنه، وأقاموا عنده، ثم تسامع الناس بأصحاب سيدي محمد بن سليمان الجزولي، فتسارعوا إليهم، وأقبلوا عليهم، وكثر ازدحامهم لديهم، وقصدوهم بالهدايا، فاشترى سيدي الصغير الشيخ أبي العباس دارا، وأصلح من شأنه، وأتاه المدد من الشيخ، فمده به، ودل الناس عليه، وقال لهم سلموا على الشيخ، وانصرف، فسرت في الناس نفحة اقبلوا بها إليه من الجهات، وظهرت له البركات، واشتهرت عنه الكرامات، وسارت في قبضته خوارق العادات، وقامت سوقه، وعمرت، وهطلت سحائب مدده على المريدين، وانمرت، قال في دوحة الناشر : توفي رحمة الله عليه في العشرة الأولى يعني من القرن العاشر، وقبره مشهور مزارة عند أهل مكناسة، وعنده مسجد مهيأ للعباد والزهاد انتهى.

5) الحسن بن عمر أجانا :

ومنهم : الحسن بن عمر أجانا وهو من كبار أصحاب الشيخ وجلتهم وذوي القدم الراسخ في الولاية، وله من الشهرة ما فيه كفاية فقصده الناس، وانتفعوا به، وهو دفين بوزمان من بلاد بني وفود(102) قاله في المرءاة، ثم أخبرني بعض الطلبة من حفدته، أنه مدفون بتجملت على وادي اللبن قرب بلاد الفراوة مما يلي هوارة، وأن الذي ببورمان هو حفيده، وهو سيدي الحسن بن عمر بن سيدي الحسن بن عمر، هؤلاء الأربعة هم أشهر أصحاب الشيخ، وأجلهم وأكثرهم الذين تخرجت على أيديهم الشيوخ، وانتشرت منهم الرجال، وتفرعت بهم الطريقة الجزولية وأكثرهم اتباعا وارثه النباع.

6) أبو عبد الله محمد الأمين :

ومن أصحاب الشيخ أيضا خديمه سيدي أبو عبد الله محمد الأمين، وهو الذي روي عنه في قوله في دلائل الخيرات بعد الربع الأول : اللهم صل على سيدنا محمد وادم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى الخ... قال سيدي رضي الله عنه يعني المؤلف : من قرأ هذه الصلاة ثلاث مرات، فكأنما ختم الكتاب كله، وهو غير الشيخ أبي عبد الله الأمين العطار، دفين جبل زرهون المتوفي سنة ستين وثمانمائة، وذلك الزرهوني ينتسب لسيدي عبد القادر الجيلالي، وسيدي أبي يعزى، صاحب تاغيا، ورآهما في المنام فأمداه، وكان عقد مع الله أن كل نافلة يصليها فثوابها لهما، فرآهما بعد ذلك، وهو عند قبر سيدي أبي يعزى، فأعطياه، وظهرت له الخوارق والكرامات والمكاشفات، وهو من الرجال الذين عدهم الشيخ زروق(103) فيمن لقي رضي الله عنهم أجمعين.

---

(102) خ : بني وفود.

(103) انظر التعليق رقم 26.

7) سيدي سلامة بن أبي سلامة :

ومنهم : اعني أصحاب الشيخ رضي الله عنه الشيخ الإمام سيدي سلامة بن أبي سلامة الذي كان بسلا.

8) أبو عثمان سعيد بن محمد الدكالي البرزقي :

ومنهم : أبو عثمان سعيد بن محمد الدكالي البرزقي هذا الذي نعرفه من أصحاب الشيخ، وذكر صاحب دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر : أن سيدي سعيد الداعي من أصحاب الشيخ بلا واسطة، والذي عند غيره أنه من أصحاب الشيخ التباع، فالله أعلم.

أصحاب الشيخ التباع :

9) سيدي عجال الغزواني :

ومنهم : وارثه الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن ولي الله سيدي عجل، أو عجال الغزواني القطب الغوث الجامع الوارث الرباني، قال أبو العباس المرابي في حقه : هو الشيخ الإمام العالم الرباني، المحقق، الصوفي، ذو الأحوال السنية والمقامات العلية، قطب زمانه، وفريد وقته وأوانه، ثم قال : كان من الأكابر، وكان في أحواله بحر لا يجاري، واية لا تباري، ثم قال : له الكرامات الكثيرة التي لا تحصى، والمنازلات التي لا تستقصى، بلغ بها التواتر في أقصى البلاد، ولم تزل متداولة بين العباد، ثم قال : وبالجملة فقد كان رضي الله عنه من أعظم الأئمة في وقته في تربية المريدين، وممن له قدم راسخ في الطريق، وتخرج به جماعة من صدور المشايخ انتهى، وقال أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي : وبالجملة، فالغزواني رضي الله عنه قد ظهر عليه المدد، وسرى في الغرب سهله وجبله في وقته انتهى، وقال ابن عسكر هو شيخ المشايخ العارف بجلال الله وجماله، الداعي إلى حضرة الربوبية بجميع أقواله، وأحواله، ثم قال : هذا الرجل آية من آيات الله في ملكه، وبهجة عقد الأولياء، وواسطة سلكه، عجز اللسان عن العبارة التي توفي بحقه، وما هو إلا الإيماء بالإشارة إلى علو مجده، ثم قال في آخر الترجمة : وعلى الجملة فأخبار سيدي أبي محمد الغزواني أكثر من أن تحصى، ومناقبه لا تستقصى، ولو تتبعناها لكانت في مجلدات، قال : وهو مما لاشك في ولايته، وبركته أشهر من أن تذكر.

وقال في أوائل الترجمة، أصله من غزوان(104) قبيلة من العرب بالمغرب، ومن

(104) قال في الاستقصا أصله من غزوان قبيلة من عرب تامسنا وقد أفاض في ذكر أخباره وامتحان السلطان أبي عبد الله البرتغالي له راجع الاستقصا جـ 4 ص 144 طبعة دار الكتاب 1955.

الناس من يجعل نسبه علويا، كان يتعلم العلم بفاس، فسمع بالشيخ أبي الحسن علي صالح الأندلسي، فذهب إليه ولازمه أياما، فرأى من بركته ما حرك بلبابه، وانهض إلى حضرة القدس أحواله، فسأل منه أن يسلك به طريق التربية النبوية، فقال له : ياولدي، صاحب الوقت بمراكش، فاذهب إليه، وأمره بالرحلة إلى الشيخ أبي فارس عبد العزيز التباع، المعروف بالحرار، نسبة إلى صناعة الحرير، فرحل إليه ولازمه، فأمره الشيخ برفع الحطب إلى الزاوية، ورعاية الدواب، بقي على ذلك مدة، ثم استعمله على حياطة بستانه، وخدمته، فاستمر على ذلك الحال، إلى أن قال الشيخ يوما لأصحابه : قوموا بنا إلى بستان الغزواني، ومهما وجدتم فيه غرة فاضربوه، وانهبوا ثمار البستان، فذهبوا إليه، وهم ملون، والشيخ خلفهم، فلما وصلوا إلى البستان وجدوه مصونا، وبابه عتيد، وسوره حصين، فلم يستطيعوا أن يتسوروا عليه، فكلموه أن يفتح لهم الباب، فقال : أما لكم فلا، فوقفوا، إلى أن وصل الشيخ، فقال لهم : ما منعكم من الدخول ؟ فقالوا : لم نجد سبيلا إليه، فقال : مثل الغزواني من يحمي حماه، ثم قال له : اذهب، فقد كمل حالك، ثم توجه إلى قبيلة الهبط تسمى ببني زكار، فأقبل الناس إليه من كل جهة، وضجت الأرض بصيته، وشاعت وذاعت كرامته، فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله محمد بن الشيخ المريني أنهاه إليه الفقيه ابن عبد الكبير، فوجه السلطان إلى الشيخ لما خشي منه على ملكه، فلما وصل إليه أمر بسجنه، وجعله في سلسلة، وبعثه إلى فاس، وأوصى به صاحب شرطته، بقصبة فاس البالي، فلما قفل السلطان إلى فاس، لقيه ابن شقرون صاحب شرطته، وأخبره عن الشيخ بأمور عجيبة منها : أن أهل السجن أخبروه عنه، أنه ينزع السلسلة من عنقه في أول الليل، ويخرج عنهم، حتى إذا طلع النهار، دخل إلى موضعه، ورد السلسلة في عنقه، فأمر السلطان بسراحه، واعتذر إليه، وطلب منه الدعاء، ورغب منه يكون سكناه بفاس، فأجابه إلى ذلك، وبنى زاويته بداخل باب الفتوح[105]، وهي التي دفن بها تلميذه أبو عبد الله محمد بن علي الطالب، وأقام هنالك مدة، ثم ارتحل إلى مراكش، وقال : ارتحل الأمر عن بني مرين برحيلي عنهم، فكانت حركة السلطان المذكور وأخيه الناصر إلى مراكش، وحصر بها السلطان أبا العباس أحمد بن محمد الشريف وأخاه أبا عبد الله محمد الشيخ، ونصبت الأنفاض على سور البلد، فقيل للشيخ : إن أهل البلد ضجروا وخشوا على أنفسهم، فركب مع أصحابه وخرج على باب مراكش المعروفة بباب الشيخ أبي العباس السبتي، فوجدوا رماة السلطان المريني يرمون، فوقف الشيخ يعتبر، فجاءت كرة رصاص من مدفع في صدره، ثقبت قشابة صوف[106] كانت عليه، ووقفت على لحمه، ولم تدخل فيه، على

---

(105) خ 1 : بفاس بداخل باب فتوح.

(106) القشابة لباس قصير من صوف، يلبس تحت الجلباب.

أنها صارت فرصة كأنها ضربت في صخرة صماء، ثم قبض الشيخ عليها بيده، وقال : لا إله إلا الله، هذه خاتمة حربهم، ثم رجع إلى البلد، فوردت الأنباء على المريني في تلك الليلة بأن أولاد عمه قاموا بفاس، ونبذوا دعوته، فأصبح راحلا. ولم تقم له، ولا لأهل بيته من بعد قائمة، ولله الأمر من قبل ومن بعد، ثم استقر الشيخ بمراكش إلى أن توفي سنة خمس وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاويته الكائنة بالقصور انتهى. وقال في ترجمة الشيخ ابن غازي : حدثني بعض الفضلاء أنه يعني ابن غازي، خرك مع السلطان أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الوطاسي للإغارة على الكفرة بأصيلا، فاعتراه مرض في إيابه، وكان السلطان اعتقل الشيخ الولي سيدي أبا محمد الغزواني، في تلك السفرة بموضع تاجنوت، وأمر باشخاصه إلى فاس، فرفع إليها في سلسلة، وكان الشيخ ابن غازي حملوه مريضا إلى منزله بفاس، فلما وصل إلى مقربة عقبة(107) المساجن من حوز فاس، اشتد به الحال، فأمر أصحابه أن يريحوا به هنالك، فبينما هو كذلك إذ مر به الشيخ أبو محمد الغزواني في سلسلته، فسأل من الموكلين به أن يميلوا به إليه حتى يعوده، ففعلوا، فلما وقف عليه طلب الشيخ ابن غازي منه الدعاء، فدعا له، وانصرف فلما غاب عنه، قال ابن غازي لأصحابه : احفظوا عني وصيتي، فإني راحل عنكم إلى الله تعالى بلاشك، فقالوا : ياسيدي ما عندك إلا الخير، ولا بأس عليك، فقال : إن الله وعدني أن لا يقبض روحي حتى يريني وليا من أوليائه، وقد أراني إياه الساعة، فدلني ذلك على انقضاء الأجل، فحملوه من ساعتهم إلى منزله، فكان ذلك آخر العهد به انتهى، وقد مات ابن غازي سنة تسع عشرة وتسعمائة، وقال أبو العباس بن أبي محلي(108)، كان أبو محمد عبد الله الغزواني من جملة الطلبة بحضرة فاس، ثم جذبه الله إليه عن حكاية غريبة، وهو أنه فيما يقال عمد ذات ليلة في نفر من الطلبة، إلى زاوية لبعض أصحاب التباع بباب الفتوح، من حضرة فاس، أمدها الله ليبيتوا عند صاحبها بقصد(109) الفرصة، لسوء المعتقد به، وبنحوه، فما أصبح عليه الصبح إلا وقد أحيط بعوالمه العقلية، فانجذب لحضرة مراكش من ساعته، قالوا : فكان يخدم الشيخ التباع عشر سنين في بستان له، وبعد تمام الأجل خرج عن أذنه شيخا واصلا موصلا انتهى.

وقال في المرآة : إن الشيخ أبا محمد الغزواني، كان يقرأ في مدرسة الوادي(110)

---

(107) عقبة المساجن موضع بقبيلة أولاد جامع بأحواز فاس قرب وادي بناون.

(108) انظر التعليق رقم 52.

(109) كذا في النسختين ولعلها الفرجة.

(110) مدرسة الوادي مسجد قريب من مسجد الأندلس بفاس، مازال يحمل هذا الاسم، وقد كان يشقه وادي مصمودة إلى عهد قريب قبل جفاف الوادي فلذلك سمي مدرسة الوادي.

بعدوة الأندلس من فاس، وكانت جماعة من الفقراء تجتاز في عشية الخميس بباب المدرسة، فتساءل الطلبة فيما بينهم إلى أين يجتازون ؟ فقال بعضهم لزاوية قريبة هنا، فقالوا : هل لكم في المبيت معهم، فنتفرج في حضرتهم أي السماع، ونشبع من الكسكسو(111) عندهم، فساروا إلى الزاوية بهذا الشيخ، وهو سيدي عبد الله، فلما أخذ الفقراء في الذكر، دخل معهم فيه، فأدركه في باطنه أمر عظيم، قال : إنه كشف له من العرش إلى الفرش، ويقال : إنه غسل أيدي الفقراء بعد الطعام، وشرب الماء الذي غسلوا فيه أيديهم، فلما نزل به ما نزل، جلس بين يدي شيخ أولئك الفقراء، وهو الشيخ أبو الحسن علي صالح، وقص عليه قصته، وطلب منه أن يقبله مريدا، فقال له الفقراء : ياسيدي اقبله فقال لهم : هذا عربي قوي بالقاف القريبة من الكاف، كما ينطلق به أهل الأندلس، بل أبعثه للشيخ، فبعثه لمراكش للشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع، فصحبه وخدمه، وكان من أمره ما هو مشهور، قال : ومما يتصل به، وهو مما حدثني به شيخنا أبو عبد الله التجيبي، أنه لما بعثه الشيخ أبو الحسن علي صالح إلى الشيخ أبي محمد عبد العزيز، صحبه، وخدمه ماشاء الله، فقال له مرة : سر إلى ابن داود، وكان من أشياخ الشاوية، وعتاتهم، وقل له : احتجنا الادام، فسار إليه وذكر له ذلك، وبات عنده، ومن الغد نزع ثيابه، ولبس ثياب الفقراء، وكسر رمحا، وجعل منه عكازا، وقدم بين يديه جميع ما يملكه، وسار إلى الشيخ أبي محمد عبد العزيز صحبة سيدي عبد الله الغزواني، فلما وصل لمراكش قبله الشيخ، وأقبل عليه، وقال له قد قبلت مالك، ورددته عليك، فاعمل زاوية، فرجع، وعمل الزاوية، وصار من أهل الخصوصية، ثم بعد ذلك، قال أيضا الشيخ سيدي عبد الله : سر إلى أهلك من الشاوية، وقل لهم احتجنا الأدام، فسار إليهم، فبينما هو يتهيأ للرجوع إلى الشيخ، ورد عليه خبر موت الشيخ، فحمل ما اجتمع إلى دار الشيخ، وعزى فيه، ورجع إلى أهله، فأقام فيهم ماشاء الله، فإذا جماعة من إخوانه الملازمين لزاوية الشيخ بمراكش وردوا عليه، فقالوا له : إنا إذا قرأنا الحزب في الزاوية، تتبعنا أصواتنا حتى نجدها تستقر عندك، وذلك منهم إشارة إلى أنه وارث الشيخ، فقال لبعض أصحابه : سر إلى مكان عينه له، واجعل رأسك بين ركبتيك وناد نداء المستغيث في نفسك، ففعل ذلك، فاقبل الناس من كل جهة، فعلم أن وقته قد حضر، فخرج مع إخوانه الواردين عليه إلى أن وصلوا بلاد بني فزكار فنزلوا على عين ماء، وأقاموا هنالك أياما فجاءهم رجل فقال لهم : هذه العين وما والاها من الأرض، كله ملكي، فإن احتجتم إليها، فقد وهبتها لكم، فقبلوها منه، وشرعوا في البناء بها فاستقروا، واشتهر ذكر الشيخ أبي محمد عبد الله اشتهارا عظيما، وأصبحه

---

(111) طعام مغربي يتخذ من الدقيق المفتول.

الناس من كل جهة، وكان الفقيه عبد الكبير البادسي، السفياني الأصل، وأبوه يصحب الولاة والعمال، ويخرج في محلاتهم قاضيا، فكثرت سعايته بالشيخ أبي محمد عبد الله إلى سلطان الوقت، محمد الملقب بالبرتغالي، ابن الشيخ الوطاسي، فحرك الشيخ لزيارة سيدي أبي سلهام، فتعرض له العروسي قائد القصر الكبير، وناوله كتاب السلطان يأمر فيه بقدوم الشيخ إلى فاس دار الملك إذ ذاك، فقال له الشيخ : طاعة السلطان واجبة، وقال للزائرين معه : بلغت النية، فتوجه الشيخ إلى فاس، من ذلك المكان، وكلما بات في منزل ذهبت جماعة من الذين معه، فلم يصل معه إلا القليل، وكان سيدي عبد الوارث إذ ذاك ساكنا بفاس، ولم يكن صحب الشيخ قبل ذلك، فلما دخل الشيخ حضرة فاس، لقيه سيدي عبد الوارث في المدينة، فسلم عليه، وشد الشيخ يده على يده، فلم يطلقها حتى عاهده على الرجوع، فلما انفصل عنه اشترى خبزا وعنبا، وحمل ذلك للشيخ وأصحابه، فوجدهم عند القاضي أبي عبد الله المكناسي[112] في المسجد القريب من داره بدرب السعود[113] فناولهم ما معه ووجد الشيخ موكلا به، وأصحابه يدخلون، ويخرجون ثم دخل عليه القاضي للمسجد، فقال للشيخ : ما هذا الذي يذكر عنك ؟ قال سيدي عبد الوارث : فتكلمت أنا وقلت : إن هذا السيد نزل بلادا عظيمة المنكر، وأخذت أعدد المناكر، وصار هذا السيد ينهاهم عن ذلك، فهدى الله على يده من هدى، وشنف له من أبى[114] فقام القاضي : وركب إلى دار السلطان، ورجع وبات في داره، ومن الغد ركب أيضا إلى دار السلطان، ومعه الشيخ، فلما استقر مجلس السلطان بهم، وكان فيه صاحب تازاء أحمد أخو السلطان، فسكت الجميع، وتكلم كاتب السلطان، وإمام صلاته، ولم يسم لنا، فقال للشيخ : ما هذا الذي يسمع عنك ؟ فقال له الشيخ : أنت لا تتكلم حتى تغتسل من جنابتك، فاستشاط غضبا، فقال له أخو السلطان : هؤلاء القوم يعنون بالجنابة غير ما تعنيه العامة، يشير إلى ما في الحكم، فقال له السلطان : من أين تعرف هذا ؟ فقال له من سيدي محمد بن عبد الرحيم ابن يجبش[115] ففرح السلطان بمعرفة أخيه ذلك وقال للشيخ : نحن نريد قربك، وأن تكون معنا، في هذه

(112) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اليفرني الشهير بالمكناسي، كان قاضيا بفاس، صاحب كتاب التنبيه والإعلام من مستفاد القضاة والأحكام المطبوع على الحجر بفاس سنة 1331.

(113) درب السعود من أحياء مدينة فاس القديمة، وهو قريب من ضريح سيدي عبد الرحمن المايلي، ومازال يحمل هذا الاسم.

(114) شنف يشنف من باب سمع أبغض.

(115) أبو عبد الله محمد فتحا بن محمد عبد الرحيم التازي الشهير بابن يجبش، من أكابر العلماء العارفين، من تآليفه كتاب يحرض فيه على الجهاد، وله توشيحات، وقصائد في موضوع الجهاد، وله في علم التصوف كلام عال، وقدم راسخة توفي سنة 920، وقد ألف السيد أبو بكر البوخصيبي كتابا خاصا في حياة ابن يجبش نال به جائزة المغرب لعام 1972 وقد طبع الكتاب سنة 76 في المغرب.

المدينة، فقال له : على بركة الله، فانتقل إلى فاس، وبنى خارج باب القليعة داخل باب الفتوح، وأقام هنالك ما شاء الله، إلى أن كانت سنة تعطل فيها المطر، وأخذ الناس في إخراج السواقي الحرث، فأخرج الشيخ من وادي اللبن ساقية لم يكن في سواقي السلطان وغيره مثلها، فبعث إليه أخو السلطان وهو الناصر الملقب بالقرير بالقاف المعقودة، وقال له : نحن أحق بتلك الساقية.

فقال له الشيخ : خذها، وأخذ في الرحيل إلى مراكش، ولما توجه تلقاء مراكش، أخذ خنيفه في يده، وجعل يشير به من جهة فاس إلى جهة مراكش ويقول أيا يا سلطنة إلى مراكش، هذا حديث شيخنا أبي عبد الله التجيبي، وأخنيف معروف وهو نوع من البرانس السود، ومعنى أيا بلغة عامة المغرب، وهي بربرية، سر معي، وموضع بني فزتكار أطلقه تاصروت، فإنها رسم منسوب له إلى الآن وأنه منزله الذي كان به، ومازالت آثاره هنالك، والدار التي بنى بباب القليعة هي المتصيرة لتلميذه الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الهروي المعروف بالطالب، الذي دفن بإزائها، وبنيت عليه القبة المعروفة هناك، ولعل سنة إخراج السواقي سنة ست وعشرين وتسعمائة، فإنها تعطل فيها المطر، وحدث عنها الغلاء الكبير المؤرخ بسنة سبع وعشرين، وكأنه أشار إلى انتقال السلطنة عن فاس وبني وطاس ملوكها إلى مراكش، والشرفاء الذين جعلوها كرسي ملكهم، والمراد بابن داود الشيخ أبو عبد الله محمد بن داود(116) من أولاد بوزيري وهم من أولاد بورزق من الشاوية دفين أزراق من تادلة انتهى وكونه أشار بكلامه إلى انتقال السلطنة من بني وطاس، إلى الشرفاء، هو المتبادر، وهو الذي تقدم لصاحب الدوحة صريحا، وقد يحتمل أن يكون مراده نفسه، فقد كان يطلق عليها السلطنة، ويسمي نفسه سلطانا، وقد سمع امرأة تزغرت على السلطان، وهو مار بالطريق، فقال لها : علي فلتزغرتي يابنت الحزينة، إذ أنا سلطان الدنيا والآخرة، وفي المرآة : أنه قال للفقراء : إذا قيل لكم من زاهدكم ؟ فقولوا سيدي عبد الكريم الفلاح. وإذا قيل لكم : من عابدكم ؟ فقولوا سيدي علي ابن ابراهيم، وإذا قيل لكم : من مجذوبكم ؟ فقولوا سيدي محمد بن داود، وإذا قيل لكم : من مائدتكم ؟ فقولوا : سيدي رحال الكوش وإذا قيل لكم : من عالمكم ؟ فقولوا : سيدي سعيد بن عبد النعيم، وإذا قيل لكم : من سلطانكم ؟ فقولوا سيدي عبد الله الغزواني انتهى. ولعل المائدة هو سيدي عبد الكريم الفلاح، والزاهد هو رحال الكوش، حسبما يأتي، وحكي لي بعض من ينتمي للفقر من الطلبة لما توفي الشيخ سيدي عبد العزيز التباع، وكان قد أطلق من أطلق من المشايخ من أصحابه في حياته، بقي الذين ترك بزاويته بعده، في فترة مدة مديدة، لا يدرون أين وارث شيخهم، وقد كان عهد إليهم في حياته، واسيدي عبد الكريم الفلاح

(116) محمد بن داود الشاوي ترجمة المؤلف تحت رقم 12.

خصوصا، أن وارثه منهم، وحاله لا يتعداهم، وكان سيدي عبد الكريم هو خديمه الخاص به، الموالي له، الموكل بطعام زاويته، والساعي في حوائج داره، فانتدب لجمع أصحاب الشيخ، وجعل يدعوهم، ويبعث في طلبهم، في نواحي مراكش، نحو الخمسة أيام، حتى اجتمعوا كلهم، وصنع لهم طعاما وأعده لهم، فقال بعض الفقراء : ما نرى سيدي عبد الكريم إلا يدعو لنفسه، ويريد أن يجمع الناس عليه، فبلغها له بعض الموالي له، فقال : ما نبالي بذلك، وما نؤاخذ إخواننا، والله يعلم سريرتنا، فلما حضر الجميع بزاوية شيخهم، واجتمعوا عن آخرهم قدم إليهم الطعام، ثم قال لهم : لا تمسوه حتى تخبرونا، فإن الشيخ عهد إلينا أن وارثه منا، وسره بيننا، ونحن لا نعرفه، فليقدم إليكم حق الشيخ لمن كان عنده وصف من أوصاف الشيخ، وورثه منه، ليخبرنا به، وقد قيل أو قال الشيخ لا سر مكتوم بين الفقراء، ولا مال مقسوم، فتكلم سيدي سعيد بن عبد النعيم، أمامه، وجعل يذكر ما الشيخ، وحال الوارث، وما سمعه في ذلك من الشيخ فقال سيدي رحال الكوش : أنا ركاب العرايس، من لم اركب عروسه لا تركب، وأنا صاحب الإغاثة في البر والبحر، ثم قال سيدي علي ابن ابراهيم ! وأنا عبدكم أسقي الليل وأصوم النهار، ثم قال سيدي سعيد بن عبد النعيم، وأنا عالمكم من احتاج إلى علم الظاهر أو الباطن فليؤمني فأنا صاحبه، وقال سيدي عبد الكريم الفلاح : وأنا مائدتكم، من أحب الطعام فليأتني، لا يبقى عن طعامي خماس ولا مراس، حتى قال كل واحد ما عنده، وسيدي عبد الله الغزواني فيهم ساكت، لا يتكلم ولم يتحرك له حال، ولعل هذه القضية كانت بعد انتقاله من فاس إلى مراكش، ويحتمل أنها قبل سكناه مراكش، ذهب زائرا إليها من فاس أو بني فزنكار، أو من قبيلته الشاوية والله أعلم فقالوا له : وأنت ياسيدي عبد الله ما الذي عندك ؟ وماذا تقول ؟ فحينئذ حركوا منه ما كان ساكنا، وأظهروا من وجده ما كان كامنا، فقال لهم : وأنا سلطانكم، وصاحب سكتكم، عندي تضرب، فمن طبعت درهمه، أو ديناره جاز، ومن لا فلا، فسكتوا استنكارا لذلك فقال لهم : مالكم سكتم ؟ استنكرتم قولي ؟ فقالوا : نعم، فأخرج يده ومدها وقال : الله، ماذا عليها، وقبض بيده قبضة في الهواء وضم أصابعه، فقال لهم : ماذا تقولون ؟ وما عند كل واحد منكم ؟ فانكروا قلوبهم، ولم يجدوا فيها شيئا، مما كانوا يعتمدون، وماكانوا يخبرون عنه، فعلموا أنه الذي استفهم[117] وأن قوله صحيح، وأنه وارث الشيخ، وأنه حاجتهم، ومطلوبهم ومددهم منه، فاذعنوا له، وخضعوا فمد يده ثانيا، وقال : الله، فرد عليهم أحوالهم، وأمرهم بالانصراف، فتفرقوا مجتمعين عليه، ثم إن سيدي رحالا الكوش، فيما يقال ظهر بمراكش، ظهورا يضاهي ظهور سيدي عبد الله الغزواني، فقال له سيدي عبد الله : إما أن تتركها لي، أو أتركها لك، وإما حنشان في غار فلا يجتمعان، فقال له

(117) أي سلبهم وأخذ ما عندهم.

سيدي رحال : أنا أخرج عنك، وأتركها لك، فخرج إلى أنماي، فذلك الذي أسكنه هنالك، إلى أن توفي رضي الله عنهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم، وفي الدوحة أن سائر المشايخ، من أصحاب الشيخ الغزواني كأبي الحجاج التليدي[118] وأبي البقاء عبد الوارث بن عبد الله[119]، وأبي الحسن علي بن عثمان[120]، وغيرهم يصرحون بقطبانية الشيخ انتهى.

وفي تحفة الإخوان : عن سيدي رضوان[121] يصف الشيخ : عليه بهاء ونور، كأني أنظر إليه، رجل عظيم البدن، تعلوه حمرة، كأنه قطعة نور، إذا رأيته قلت : هو هو انتهى، وأراني بعض الناس قلنسوة عنده بيضاء من قطن أو كتان، تعرف بالعراقية، تلبس غالبا في زمن الحر، وقال لي : إنها لسيدي عبد الله الغزواني، فرأيت قلنسوة تدل على أنه كان عظيم الهامة، قال في التحفة عن سيدي رضوان : وكان ربما سمع منه في بعض الأخبار صيحة يصيب السامع لها رعب في قلبه، وكنت أقول باترى ؟ من أي شيء يصيح ؟ قال المؤلف المرابي : وله كلام عال في المعارف والحقائق، منه : نفحات المريدين عند تلقيات السلوك والجذب، المحيط بكل أين، ولا أين له، فمن ظهر ذلك فيه عالم بالسمع الأعلى، وتنزيه الأدنى، ومطالعة أهل الكشف عن حقائق التوحيد، فهو الموصوف بخفي السر الرباني، ومنه : من خصص بتخصيص التوحيد شهد الله أنه لا إله إلا هو انتهى، وله كلام كثير في الطريق، نظما، ونثرا، إلا أنه غامض، لا يفهمه إلا من فتح عليه، وكان يقول لبعض من كان يلقيه عليه من أصحابه :

يافلان لا تنظر إلى لفظ ولا إلى معنى، وكأنه كان يمده فيه، وكتب إليه الشيخ ناصر الدين اللقاني[122] من مصر، يسأله تفسير الفاتحة على طريق القوم، فكتب إليه بشيء من ذلك، فلما انتهى إليه ما كتبه أعجب به، وأعاد الكتب إليه، بالاعتراف به، وكان سأله مع ذلك عن القطب، أين هو ؟ فكتب إليه يشير إلى نفسه، فلما بلغه الجواب، قال

---

(118) ترجمة المؤلف تحت رقم 40 وانظر ترجمته موسعة في كتاب : الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها السيد عبد القادر العافية ص : 386.

(119) ترجمة المؤلف تحت رقم 41.

(120) ترجمة المؤلف تحت رقم 42.

(121) انظر التعليق رقم 15.

(122) ناصر الدين اللقاني، ترجح أنه ابراهيم بن ابراهيم بن حسن اللقاني المصري المالكي من مؤلفاته جوهرة التوحيد، وحاشية على مختصر خليل جاء في شجرة النور أن وفاته عام 896 وقال الزركلي إن وفاته عام 1041. وله ولد كان شيخ المالكية في وقته اسمه عبد السلام بن ابراهيم وليس هو المقصود لأن الغزواني توفي عام 935، وعبد السلام ولد 971هـ.

لحاضريه : هذا صاحب الوقت، فمن أراد لقاءه فليتوجه إليه، وكان رضي الله عنه يقول لأصحابه محذرا لهم من الاغترار بكل ناعق : بافقراء اختاروا الفقراء، ويقول لهم محذرا لهم من الدخول في الفضول حاضا على الاشتغال بما يعنيهم : الدنيا بسلاطينها، والدنيا بحكامها، والدنيا بقضاتها، والدنيا بكذا، يعدد أهل الخلطة إلى أن يقول : والدنيا بفقرائها، يعني أهل الفضول، وأنتم ها، وبريهم السبحة، لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي الدوحة : حدثني الشيخ أبو عبد الله الدقاق وكان مختصا به قال لي : كان الشيخ رضي الله عنه دأبه الحركة في أسباب الحراثة واستخراج المياه، كانت الدنيا لا تنجح على يديه، طعامه المأكول بزاويته لا يزيد على الماء والملح شيئا سادجا، وكل ما يأتيه من أسباب الدنيا يرجعه لذوي الحاجات، وشأنه ملازمة الذكر والذكرى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووقعت له الإجابة في سائر أقطار المغرب، وخلف المئين من المشايخ، وكان لسان الحال لديه أفصح من لسان المقال، وقال بعد، عن سيدي عبد الله الهبطي[123] في وصفه كان يجيب بالحال أكثر مما يجيب بالمقال انتهى، وفي تحفة الإخوان : كان من عادته أن يأمر أصحابه بالحراثة والغرس، والخدمة، وحفر السواقي، فحفر مرة ساقية مع بعض إخوانه، وكان عادتهم في ذلك الوقت أن من حفر ساقية، يصنع طعاما، ويدعو الناس لأكله، فلما حفر الشيخ الساقية مع صاحبه صنع الصاحب طعاما ودعا الناس لأكله، فأكلوا وقالوا للشيخ : بقي طعامك، ياسيدي فأي وقت نأكله ؟ فقال لهم : نرجو الله أن يفتح لنا غدا من عنده، فلما كان من الغد، ونحن جلوس إذ سمعنا صياحا وضجيجا، فنظرنا أمامنا، فإذا شيء يعلوه غبار على بعد، والناس خلفه، وهو يقرب حتى دنا منا، فإذا هو واحد من بقر الوحش، فبرك أمام الشيخ، فقبضوه فأمرهم بذبحه، وصنع لهم طعاما، فأكلوه، فعلموا أنها كرامة له رضي الله عنه، قال : وكان يوما جالسا، وناس، إما من فقرائه، أو من سائر الناس أرادوا أن يجروا قضيبا من قضب المعاصر، فلم يطيقوا عليه، فأجمعوا على أن ينظروا ناسا آخرين يعينونهم، فلما أرادوا الذهاب، قام الشيخ سيدي عبدالله، وبيده قضيب، وأمر رجلين بجر القضيب، فقاما فأخذا بالحبال، وجاء الشيخ، ووقف خلف القضيب، وأخذ يضربه بالقضيب الذي بيده، وكان يقول شيئا، قال فرأينا القضيب يسير، ولم يجره إلا إثنان من الرجال، فاستغرب الناس من ذلك، وكانوا أول مرة لم يطيقوه، فعلموا أنها بركة الشيخ انتهى، ويحكي أن ناسا كانوا في

(123) عبد الله الهبطي ولد بضواحي طنجة عام 890 وطلب العلم بفاس وأخذ عن أحمد الزقاق، وأخذ التصوف عن الغزواني، وتخصص في محاربة البدع والاختلاط في الأعراس والمواسم وظاهرة الوشم وتحمل الأذى من أمراء بني راشد، كما كانت زوجته أمنة بنت محمد بن خجو تعلم النساء لترجمة المؤلف تحت رقم 52 وانظر ترجمته موسعة في كتاب الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون لعبد القادر العافية ص 367.

تدعيم دار بالخشب، فقاسوا خشبة على موضع، فوجدوها قصيرة، لا تقدر لذلك، وكان هو ينظر فأخذ الخشبة من أيديهم، وأقامها في الموضوع الذي تحتاج له، فكانت قدر الحاجة، ويحكي أنه كان مرة مع أصحابه في زيارة خارج مراكش، فقال لهم : إذا لقيتم قافلة عنب، فخذوها، فلقوها، فأخذوها، وحازوها، فإذا أهل القافلة قد لحقوا، فجعلوا يصيحون، ويخاصمون، ويقولون لهم : اصحبونا إلى الحكم، وهم لا يكترثون بهم، وجعلوا يكلمونهم ويستنزلونهم إلى أن قالوا لهم : إنها هدية لسيدي عبد الله الغزواني، فقالوا لهم : هو الذي أخذها، وها هو ذاك فاذعنوا، ومرة أخرى، لا أدري في تلك الزيارة أو في غيرها، سمع بعض أصحابه يقولون : إنهم قد اشتهوا اللحم، وكان ذلك ليلا، فقال لهم : إذا لقيتم بقرا أو غنما غدا فخذوها فلقوها، فأخذوها فجاء أربابها يفعلون فعل الأولين فلقوهم واستنزلوهم، فأخبروهم بأنها هدية لسيدي عبد الله الغزواني، فأخبروهم أيضا فأذعنوا كذلك، حدثني بهاتين الحكايتين بعض الطلبة المتفقرين، ونحو هذا، قضية سيدي عبد الرحمن المجذوب في فحل البقر، وذلك أنه كان مع أصحابه في زيارة، فمروا بقطيع بقر، فقال لهم : خذوا ذلك الفحل لفحل أراهم إياه، وقد غشيهم ظلام الليل، بحيث لا يعرفه صاحبه، فأخذوه وذبحوه، واشتغلوا به، فبينما هم كذلك، إذا بربته نفاش عليه، وتذهب يمينا وشمالا، حتى وصلت إليهم، فسألتهم عنه، وقالت لهم : والله ما بي إلا أنه عندي عدة لسيدي عبد الرحمن المجذوب، فقالوا : إن صاحبه قد أخذه، وأخبروها بقصته، وأروها إياه، فسكنت رضي الله عنهم أجمعين، وقد وصف الشيخ أبو العباس الفاسي صاحب الترجمة، بمثل ما وصف به سيدي عبد الرحمن المجذوب فقال : وكان شيخ وقته أبو محمد عبد الله الغزواني رضي الله عنه صاحب أحوال، تصدر منه أمور غامضة، لا يسلمها إلا من أيده الله، أو كان من أهلها انتهى، وسيأتي مثل هذا في وصف الشيخ المجذوب رضي الله عنه، قال في الدوحة، وكان يعني صاحب الترجمة، إذا رأى من يتحرك في حلق الذكر، أو يقصر في خدمة، ضربه بعصا لا تفارقه، وكل من يضربه يفتح الله تعالى عليه في الحال، ولقد رأيت ضربة فوق حاجب الشيخ سيدي أبي عبد الله[124] محمد الهبطي، هشمت العظم، كان ضربه إياها الشيخ الغزواني، وكانت تثور عليه إلى آخر عمره، وكان سيدي أبو محمد الهبطي يقول : كل ما فتح علي به، إنما هو من بركة سيدي أبي محمد الغزواني انتهى وقال في ترجمة سيدي عجال : إنه كان يقول قبل ظهور سيدي عبد الله : عندي ابن تركته يقرأ العلم، سيكون له شأن، وله من الاتباع عدد ما في صابت[125] الزبيب من حبوب، كبيرها حلو، وصغيرها حلو، انتهى توفي رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين وتسعمائة،

---

(124) كذا في النسختين، ولعل الصواب سيدي أبي محمد عبد الله الهبطي.

(125) الصابة هي المحصولة المنوية من البذور الفلاحية.

كما تقدم، وكان من خبر موته، على ما في التحفة، أن خرج يوما على عادته، إلى البادية، في صلح، وخرج معه أصحابه، فغابوا ما شاء الله، ثم رجعوا، فلما كان قريبا من البلد، وهو راكب على فرسه، سائر على الطريق، إذ رأوه قد مال عن فرسه فأسرعوا إليه، فإذا هو ميت، فحملوه إلى المدينة، ودفنوه بزاويته بحومة القصور، داخل مراكش، وبنوا عليه قبة حافلة، وهو مزارة عظيمة مشهورة، رضي الله عنه، ونفعنا به، وأكثر انتشار الطائفة الجزولية، وتفرع شجرتها من هذين الشيخين : سيدي عبد العزيز التباع، وارث الشيخ، ووارثه سيدي عبد الله الغزواني، حتى إن الطريقة والطائفة لتنسبان إليهما، فيقال تباعية، ويقال غزوانية.

10) الشيخ أبو محمد عبد الكريم الفلاح :

ومنهم : الشيخ أبو محمد عبد الكريم بن عمر الحاحي التيكي المراكشي المعروف بالفلاح، الجليل القدر، الكبير الشأن، خليفة الشيخ، أعني التباع عند أهل مراكش فيما حكاه في الدوحة، قال : كان معاصرا للشيخ سيدي أبي محمد الغزواني، ومواخيا له، ومساعفا لما يريد منه، كبير الشأن له فضائل جمة، ومآثر جليلة، قال : وكانت له مائدة مديدة في إطعام الطعام للوارد والصادر، مع جودته وكثرة الفواكه، وأصناف اللحوم، وأنواع الطبخ شيء يعجز عنه الوصف، وكذلك كان أصحابه من بعده حسبما نذكره إن شاء الله تعالى، وقد تواترت عند الناس كراماته، وهي كثيرة انتهى توفي بمراكش في ثاني ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة، ودفن بقبة القاضي عياض لاصقا له، داخل باب إيلان رضي الله عنهما ونفعنا بهما(126).

11) أبو العزم رحال الكوش :

ومنهم الشيخ أبو العزم رحال الكوش، دفين انماي قال في الدوحة : ومنهم أي مشايخ القرن العاشر، الرجل الأسود، المستجاب، الشيخ رحال الكوش نزيل انماي، من حوز مراكش، كان من الابدال، مستجاب الدعاء، له منه سهم صائبة وكراماته شائعة، ذائعة، اخبرني ولده أنه كان يعيش على نبات البرية، ويدخر زريعة الخردل، لقوته، لكونه تعود ذلك من سياحته، ثم قال : توفي في آخر العشر الخامسة، ودفن بزاويته، من انماي رحمة الله عليه انتهى وكانت له شهرة عظيمة في الخلق، وكان ظهر مع وجود سيدي عبد الله الغزواني وبعد صيته وكثرة أتباعه، فحرك إليه سيدي عبد الله، فلما أشرف عليه قال لهم : ارجعوا، فإن العبد قدره طاقة، ثم حرك إليه ثانية، فقضى فيه غرضه، وقد تقدم ما قال له، وما أجابه به الآخر، ويحكى أن صاحب

(126) له ترجمة مطولة للعباس بن ابراهيم في : الإعلام ج 8 ص 170.

الترجمة قصد زيارة سيدي محمد بن داود، فلما بلغ نهر أم الربيع وجده حاملا لا يعبر، فقال عليه كلاما متغنيا به فانشق النهر نصفين، وصار بينهما طريق يبس، فعبر هو وأصحابه، فكوشف بمجيئه سيدي محمد بن داود، فجاء يتلقاه متغنيا بكلام آخر رضي الله عنهما، ونفعنا ببركاتهم ومنهم(127).

12) أبو عبد الله محمد بن داود :

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن داود المذكور آنفا، من أولاد بورزق، ثم أولاد بوزيري من الشاوية، دفين أزراق من تادلا، الشهير الجذب، القوي الحب، قال في الدوحة : ومنهم أي مشايخ القرن العاشر، عروس الفضلاء الأخيار، ونخبة المحبين من الأولياء الأبرار، الشيخ أبو عبد الله محمد بن داود الشاوي، من مشايخ الصوفية، أخذ عن الشيخ عبد العزيز التباع، وانتفع الناس به، وكثر التائبون إلى الله تعالى على يده، وله مآثر جمة، ومناقب كثيرة مشهورة، تركتها اختصارا انتهى، وقد تقدم خبر بدء صحبته للشيخ التباع، في ترجمة الشيخ الغزواني، قال في المرءاة : وكان الشيخ أبو الحسن علي بن ابراهيم البوزيدي، نزيل أجرص ودفينه، شاركه في صحبة الشيخ أبي محمد عبد العزيز، ثم سلب له الإرادة، كحال البداية، وتسبب في مجيئه إلى أزراق، وسمعت أنها كانت سنة غلاء بتامسنا فلما جاء سيدي محمد بن داود فوض إليه سيدي علي جميع أموره، ووضع مفاتيح الأهداء بيده، وصار كواحد من تلامذته، ويقال إن كل واحد منهما أخبر صاحبه باقتراب أجله في شعر من الملحون متغنيا به يحفظه متفقرة أهل تلك البلاد فماتا متقاربين رضي الله عنهما(128).

13) أبو الحسن علي البوزيدي :

ومنهم الشيخ أبو الحسن علي بن ابراهيم البوزيدي المذكور آنفا، المتواصل العبادة، محب رسول الله صلى الله عليه وسلم يروي أنه بلغ من عبادته، ومواصلته للصيام، وتركه للطعام، إلى أن تروحن(129) وترك الطعام جملة، وكان إذا سجد تقلقل رأسه، وإذا رفع رأسه كذلك، ويقال إنه كان ورده كل ليلة أربعمائة ركعة، وأنه كان يلبس كل شهر قشابة صوف جديدة، فلا يتم الشهر إلا وقد تقطعت من ركبيه، وركبتيه، بكثرة السجود، قال في المرءاة : كان من مشاهير الأولياء الأكابر، وفي

---

(127) له ترجمة مطولة في الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الإعلام تأليف العباس بن ابراهيم جـ 3 ص 273.

(128) نقل صاحب الإعلام هذه الترجمة حرفياً في جـ 5 ص 128.

(129) تروحن غلبت روحُه جسمه، فابتعد عن شهوات الجسم.

الدوحة : ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى أبو الحسن علي بن ابراهيم المشهور ببسيط تادلا من بلاد قشتالة، كان من مشاهير مشايخ الصوفية، أخذ عن الشيخ أبي فارس عبد العزيز التباع، وكان مشهورا بالخير والصلاح، وظهرت عليه مخايل الولاية، وشواهد الكرامة، وشهد له أهل الدراية والفضل بالتقدم في طريق الديانة الخاصة، وله مناقب مأثورة، ولولا قصد التعريف والفرار من الاطناب الموجب للسآمة، لذكرت شيئا منها انتهى وسيأتي اختصاصه مع الشيخ أبي محمد الغزواني، في سيدي عبد الله بن ساسي، قال في المرءاة، وتوفي في شعبان سنة ست وخمسين وتسعمائة، أخبرني بذلك حفيده الفقيه أبو العباس أحمد الزقاق(130) وقيل سنة سبع والله أعلم انتهى(131).

14) أبو عثمان سعيد بن عبد النعيم الحيحي :

ومنهم الشيخ أبو عثمان سعيد بن عبد النعيم، ويقال ابن عبد المنعم الحاحي قال في الدوحة : ومنهم شيخ السنة، ومحي الديانة الشيخ أبو عثمان سعيد بن عبد المنعم الحيحي، كان من أكبر المشايخ وأشهرهم علما وعملا، وله في المعاملات الشأن الذي لا يدرك، مع شدة الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقوة الزهد، والورع، أخذ عن الشيخ أبي فارس عبد العزيز التباع، وعليه عول في الطريق، وله مشايخ أخر، وكان من شدة الدين وقوة الارادة بالمقام الذي لا ثاني له، قال لي سيدنا الامام محمد الهبطي رضي الله عنه يوما، وكان يتكلم على مقام الوراثة النبوية : ما رأيت فيمن أدركت من المشايخ من كان على الجادة، وجاء بالتربية النبوية على أصلها المعروف، من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، مع أصحابه إلا رجلين، الشيخ سيدي سعيد بن عبد النعيم في حاحة، والشيخ أحمد بن القاضي بجبل زواوة، وكانا في عصر واحد، وربما تأخر عنه الشيخ أبو عثمان، وكفى بهذه الشهادة من مثل سيدي أبي محمد رضي الله عنه لهما، ولقد رأيت في أصحاب الشيخ أبي عثمان، قوة عظيمة وشدة هائلة في طريق المعاملة، ويأتون في ذلك بأبلغ ما يكون من التعمق والتشديد في اتقان العقيدة، والطهارة، والصلاة، وغيرها من العبادات، بحيث لا يرتكبون من المذاهب إلا ما وقع الاجماع على التعبد به، أو الإباحة فيما سبيله الانتفاع به، المركب الردئ، وكل ما فيه خلاف، لا يسلكون سبله، وتوفي في العشرة الرابعة، يعني من القرن

---

(130) احمد بن علي الزقاق الامام النظار أخذ عن أبيه علي بن قاسم وحج ولقي أعلاماً وأخذ عنه ابن أخيه عبد الوهاب والبسيتني من تآليفه شرح منظومة أبيه ومختصر خليل توفي سنة 931 انظر شجرة النور ص 274.

(131) انظر ترجمة علي البوزيدي في الإعلام لابن ابراهيم جـ 9 ص 184.



العاشر، ببلاد حاحة، وقبره مزارة مشهورة انتهى والذي عند غيره، أنه توفي سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة(132).

15) أبو عثمان سعيد آمسناو :

ومنهم : الشيخ أبو عثمان سعيد آمسناو، نزيل صومعة تادلا، ودفينها قال في الدوحة : كان فاضلا زاهدا ذا شوكة وعناية، توفي في العشرة الخامسة، ودفن بزاويته، ولم يعقب رحمة الله عليه انتهى، ثم أخبرني الثقة أنه عنده بخط سيدي أحمد بن أبي القاسم الزمراني الصومعي، أن صاحب الترجمة من أصحاب سيدي محمد امسناو المذكور بعده، وكان أتباعه غاية في اتباع السنة، كما أن اتباع سيدي محمد بن عيسى الفهري آية في المحبة والأدب، فكان يقول المحبة عيساوية، والسنة مسناوية، وكان كثير الاتباع، منهم نحو الثمانمائة، أو عشر مائة، متجردين، يأكلون من عنده، من طعام زاويته، وكانوا إذا مشوا عرضوا عليه ما كان منهم بالنهار من قول، أو فعل، أو نية، أو عزم في العادات، والعبادات وإن وجد عند أحدهم ما لا يصلح، عاقبه بالقول، أو بالضرب، بعصا كانت في يده، أو بالهجران، أو بغير ذلك، مما يراه رادعا، وكفارة، ولا يتحركون لشيء إلا بإذنه وبنية صحيحة، ويذكر أنه كان لا يلد، فولد له مرة ولد، فأخبر بذلك، فذهب إلى الدار فوجدها مطبقة وأهلها في فرح وسرور، فقال لزوجه : إن كنت تفرحين بموته، كما فرحت بولادته، فنعم، وإلا فالله يعطيه ما يذهب به، فلم يمكث إلا ثلاث ليال أو نحوها، ومات، ثم لم يلد بعده، ويحكى أن سيدنا أبا الرواين المكناسي، زار سيدي ابراهيم في حياته، فلما قفل من عنده، أتى طريقه على محل سيدي سعيد المسناوي، بعد موته، فجلس يقضي حاجته في الطريق، بمنظر من الناس، فقيل له : ألا تستتر من الناس ؟ فقال : وأين الناس ؟ ما هنا إلا سيدي أبو عثمان هو ذلك راقد، هكذا حدثني بعض الناس، والله أعلم بصحة ذلك، ومثل هذا ما اتفق من سيدي عيسى بن خشان، من أصحاب سيدي الحسن بن عيسى المصباحي، وكان بهلولا، وكان عاريا دائما، لا يستتر فرآه يوما بسوق القصر، وهو ينضم وينزوي ويستتر، وقال هذا آدمي مار، فنظروا فإذا سيدي يوسف الفاسي إلا أن سيدي عيسى معلوم أنه كان ساقط التكاليف، وسيدي أبو الرواين ليس كذلك، فيما يظهر، فلعل الحكاية لم تصح عنه، أو لعله كان يحضر، ويغيب، بحيث ينقطع عن وجوده بالكلية في حال غيبته، ويغلب عليه حينئذ، فتصدر عنه أمور جبرية، لحكمة، أو أنه تستر، فلم يقلع منه السائل بما فعل، أو تستر بثيابه، ولم يبعد، فكنى السائل أو أحد الناقلين عن البعد بالتستر، فلما سأله أو أنكر عليه، رد عليه ونبهه إلى ما فقد هو والحاضرون من

---

(132) أنظر ترجمته في الإعلام لابن ابراهيم جـ 10 ص 140

الآدمية التي هي أول شيء وأولاه بالاهتمام موعظة، وإيقاظا، وترفيعا، لهم، لعل من يتذكر أو يخشى، إذ الناس ناصحون بكل حال، إلى غير هذا مما لا نفهمه ولا ندركه، ولا نحيط به من أحوالهم، وأسرارهم، رضي الله عنهم، ونفعنا بهم، وقيل لسيدي زيان الطابقي صاحب سيدي عبد الرحمن المجذوب، لم يقال لك سيدي ملكوك ؟ فقال إني أرى الناس في صورة البقر فاسلكاك[133] عليهم[134].

16) أبو عبد الله محمد امسناو :

ومنهم فيما قال لي بعضهم : الشيخ أبو عبد الله محمد امسناو المدفون بتلك البلاد، التي فيها أبو عثمان أمسناو قال : ولعل الذي قتلته آيت حبان، فقال سيدي أبو بكر الدلائي المجاطي لا أحب آيت حبان لقتلهم سيدي أمسناو.

17) أبو القاسم الزعري الجابري :

ومنهم : الشيخ أبو القاسم الزعري الجابري ثم الرتمي والد سيدي محمد الشرقي، والزعري لقب له، فقط، بل هو اسم لأبيه وجري عليه هو، وكان ظاهر الخصوصية، ذا زهد تام، وانزواء عن الدنيا، وكان مواخيا لسيدي أبي عثمان[135] أمسناو ومتعاهدا زيارته، وقيل إنه من أصحاب الشيخ أبي محمد الغزواني والمعروف الأول.

18) أبو عبد الله محمد كانون المطاعي :

ومنهم : الشيخ أبو عبد الله محمد كانون المطاعي من أولاد مطاع قبيلة من العرب بالمغرب، معروفة، وكان كبير الشأن من أهل الولاية والعرفان وتوفي سنة إحدى وثمانين وتسعمائة، عن سن عالية، قاله في المرءاة، وكذا أخوه أبو العباس قبله في تأليف له في والده.

19) أبو السداد الغازي :

ومنهم : الشيخ أبو السداد الغازي دفين الرميلة، بطرف القصور من مراكش، يحكي أن الشيخ أبا محمد عبد العزيز التباع، قال يوما لخديمه : انظر من بالباب، فخرج فلم يجد إلا يهوديا، يبيع عطره بين الديار، فرجع فأخبره، فمكث هنيهة، ثم قال له : انظر من بالباب فلم يجد إلا اليهودي، ثم في الثالثة فقال له : ايت به، فأتى به

---

(133) اندفاع البقر في فصل الربيع، إذا لدغها نوع من الذباب.

(134) انظر ترجمته في الاعلام لابن ابراهيم جـ 10 - ص 139.

(135) راجع الترجمة رقم 15.

فاسلم من حينه، وصار من أولياء الله تعالى فهو سيدي الغازي المذكور، هكذا سمى لي بعض أهل مراكش هذا الشيخ، وذكر حكايته، والفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

20) أبو الحسن علي الدكالي المشترائي :

ومنهم : الشيخ أبو الحسن علي بن أبي القاسم الدكالي المشترائي دفين سور الحجر، على مقربة من جامع الكتبيين، من مراكش، ويعرف بأبي سجدة، قال في الدوحة : لأنه كان يقطع الليل كله بسجدة واحدة انتهى، وقاله غيره أيضا : وقيل كان إذا صلى فسجد غاب، فلم يرفع رأسه، ولم يزد عليها، ولعل ذلك في صلاة الليل، وفي النافلة، لا في الفريضة، فيكون هو معنى قوله في الدوحة : يقطع الليل كله بسجدة واحدة لا يزيد عليها، فيرجمان إلى وفاق والله أعلم، ويذكر أن إخوانه، أو أخاله، قال له : إنك لتفسد الصلاة، فأريد أن أستفتي فيك، وأسأل عن أمرك، وقال له من تستفتي ؟ قال له : الفقهاء، فقال أنا لا تمشي بحلتي[136] إلى البرادعيين، ويحكى أنهم تركوه يوما حتى سجد فأتوا بالحبال وجعلوها، تحت حصيره، وجعلوا يرفعونه، فلم يقدروا وفي الدوحة : وكان كبير الشأن، عظيم القدر، وكان إذا دخل على ملوك وقته لا يزيد في تحيته شيئا على لفظ السلام، ويغلظ لهم في القول، إذا أمر بمعروف أو نهي عن منكر، أخذ عن الشيخ أبي يحيى النبار[137] من بني أمغار انتهى ولم يذكر أخذه عن الشيخ التباع، وهو المعروف عند غيره، ويقال إنه الذي غسله، قال بعضهم : توفي سنة ست وأربعين وتسعمائة، وقال سيدي العربي الفاسي فيما وجدته بخطه يوم الجمعة سادس عشر محرم سنة إحدى وخمسين وتسعمائة[138].

21) أبو الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي :

ومنهم : الشيخ أبو الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي، شيخ عارف جليل قال في المرآة : وهو من أهل غرناطة، وكان يطلب شيخا يلقي إليه قياده، فكان يقال له شيخك في العدوة، فانتقل إلى فاس، وفتح بها حانوتا في القيسارية، ثم قدم إليها من مراكش شيخ المشايخ أبو محمد عبد العزيز بن عبد الحق الحرار الشهير، ونزل

---

(136) لعله يقصد بالحلة الصلاة، شبه الصلاة في اتقانها وحسنها بالثوب النفيس المرتفع الثمن، أي لا تذهب بثيابي النفيسة إلى سوق خاص بصناعة ما يجعل على البغال والحمير، استهانة منه - رحمه الله - بآراء بعض الفقهاء.

(137) خـ : النيار.

(138) انظر الإعلام لابن ابراهيم جـ 9 ص 183.

بمدرسة العطارين، وقعد في وسط قبتها، وانحشر أهل فاس للتبرك به، وجاء الشيخ أبو الحسن في آخرهم فحين قرب من الفصيل الذي ينفذ منه إلى الصحن، قام إليه الشيخ سيدي عبد العزيز، يتخطى الناس فتلقاه وأخذ بيده، وصعدا في درج المدرسة فمكثا هنيئة ونزلا، وطلب الشيخ سيدي عبد العزيز فرسه للركوب فطلب منه الناس الاقامة، فامتنع، وقال إنما جئت لأداء أمانة كانت عندي لربها، فقد أديتها إليه، وانصرف رضي الله عنه، وكان الشيخ أبو الحسن حين جاءه نزل من حانوته، ورفع المغلاق الأسفل، فقط على نية الرجوع قريبا، فلما لقي شيخه، كان ذلك آخر عهد بالحانوت، فلم يعد إليه، وتأهل من حينه للمشيخة، واتخذ زاوية للفقراء في وادي الزيتون من عدوة الاندلس من فاس حرسها الله، وهي معروفة إلى الآن، إلى نظر حفدة الشيخ سيدي محمد الصغير السهلي، وتوفي في حياة شيخه أبي محمد عبد العزيز، وصحبه خلق ظهرت عليهم آثار الخصوصية، وتأهل كثير منهم للمشيخة، وأكثرهم أندلسيون، ودفن كثير منهم ومن تلامذتهم معه في روضة واحدة، تعرف بروضة الانوار، خارج باب الفتوح، من أبواب فاس، وبمقبرة منها إلى جهة المدينة، روضة الشيخ أبي ميمونة دراس بن اسماعيل(139)، رحمهم الله، ورضي عنهم ونفعنا ببركاتهم انتهى.

22) أبو زكريا يحيى بن علال البوخصيبي :

ومنهم : الشيخ أبو زكرياء يحيى بن علال البوخصيبي العمري ثم المالكي وهو من جلة أصحابه، وكبارهم وذوي الرسوخ، في الولاية، والعرفان، ومن أعيان الصدور، من المشايخ، وصدور الأعيان، ووصفه في الدوحة بالمتفق على فضله وصلاحه، ثم قال : كان رحمه الله سيدا، فاضلا، مرتكبا الجادة، في طريق معاملة الحق سبحانه، وكانت زاويته بموضع يقال له تيزغورين، من بلاد أزغار، وكان له مسجد حفر في محرابه قبرا إذا وجد من نفسه فترة نخل ذلك القبر، ومد نفسه فيه كالميت، ويبيت فيه يعاتب نفسه طول ليله، ولما حان أجله قال لأصحابه : يامعشر الفقراء، إنا عازمون على الرحيل، إن شاء الله تعالى فاشتغلوا بالتأهب لحمل ثقلهم، والاستعداد لظعنهم، ظنا منهم أنه يريد الرحيل الحسي بالأهل والولد، إلى غير ذلك الموضع، فحضر أجله في ذلك الوقت، وأوصى أن يدفن بباب الفتوح، من مدينة فاس، وألا يبنى على قبره، فحمله أصحابه بعد موته إلى فاس وباتوا به ليلة وصولهم، فلما أصبح الصبح، ذهبوا إلى باب الفتوح، واشتغلوا بحفر قبره، ومواراته ولم يتعرضوا لتعريف أحد، فصاح صائح بالمدينة أن الشيخ يحيى بن علال يدفن اليوم بباب الفتوح، فخرج الناس أفواجا من كل ناحية،

---

(139) أبو ميمونة دراس بن اسمعيل الفاسي الحافظ الفقيه النظار أول من أدخل مدونة سحنون إلى المغرب وبه اشتهر مذهب مالك فيه توفي عام 357 انظر شجرة النور ص 103.

نساء ورجالا، فسمع السلطان أبو العباس أحمد المريني بذلك، فركب لوقته هو وجميع أمرائه والفقهاء والصلحاء فحضروا لدفنه، وتزاحم الناس على جنازته، حتى كاد يقتل بعضهم بعضا، وتقاسموا أعواد نعشه تبركا به، لما يعلمون من فضله وصلاحه، توفي رحمه الله في أواسط العشرة الخامسة يعني من القرن العاشر انتهى، ويقال إنه قال لهم : ادفنوني بباب الفتوح، على طريق الحجاج، فدفنوه على مقربة من روضة سيدي علي[140] بن حرزهم، إلى جهة باب الفتوح، ويذكر من كراماته رضي الله عنه أنه كان مارا يوما ببركة ماء، ومعه إنسان فتكلموا في كرامات الأولياء فقال ذلك الإنسان : ما بقي ولي، ولا كرامة في هذا الزمان، أو نحو هذا فقال له الشيخ : انظر ما يموت في هذه البركة فعلى رقبتك، ثم بصق فيها فإذا هي تضطرم نارا، واحترق جميع ما فيها من حيوانات الماء، ومما حضر لي من كلامه رضي الله عنه، أن قال بعد أن حض على التجرد من كل ما يشغل القلب عن الله عز وجل ما نصه : إنما يدعى بالأسماء، كما أمر الله تعالى لإظهار الفاقة، عبودية لله عز وجل للمضطرين وأصحاب الفاقة بالأسماء اللائقة بأحوالهم، المطابقة لحوائجهم، لئلا يجهلوا عند ذلك ما يدعون به من أسماء الله، ويدعون بغيرها، فأمرهم الحق جل جلاله أن يدعوه ويسألوه بأسمائه الكريمة اللائقة بمطالبهم، في أوقات الضرورة، وطلب الحاجة، رحمة منه على عباده، دلهم بذلك على معرفة أسمائه، وكيف يسألونه على حسب أحوالهم، فقال : ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها[141] ولا يكون لهم ذلك دائما شغلا شاغلا، حتى يشغلهم ذلك عنه، وإنما الواجب الشغل بالله عن غيره، قال : من وجد الله، ما فقد شيئا، ومن فقد الله ما وجد شيئا، أي فالله غني عن كل شيء، وينبغي للشيخ أن يجمع هم المريدين على الحق، ويجنبهم من أسباب الفرق، وعن جميع المرادات والمهمات، ويكون طلبك للحق بهذا المعنى من قلبك، قال : ولا ينبغي كثرة الاهتمام بالأسماء، والدوام على ذلك حتى يشغل عن الله كما يفعله أكثر أصحاب شيوخ أهل هذا الزمان، فذلك مما يسقط به من عين الله لخساسة همته وقناعته بما دون الله، وشغله بذلك عنه، فافهم هذه المنزلة القاطعة عن الحق سبحانه وتعالى عما يشركون، وقد أشار الشيخ سيدي أبو الحسن[142] لهذا المعنى بقوله : ليس الشيخ من دلك على تعبك، وإنما الشيخ من دلك على راحتك، والراحة عندهم الشغل به، وترك ما يشغل عنه، والتعب عندهم الاهتمام بغيره، وقيل : من دلك على الدنيا فقد غشك، ومن دلك على الأعمال فقد أتعبك، يريد الأعمال التي تكون سببا في الفرق، وهو ما يشغلك عن الله عز وجل ومن دلك على

---

(140) هو أبو الحسن علي بن اسماعيل بن حرزهم الفاسي، من ولد عثمان بن عفان الشيخ، الفقيه، المحدث العالم، العامل، وعنه أخذ أبو مدين الغوث وأبو يعزى توفي سنة 559.

(141) سورة الأعراف الآية 180.

(142) انظر التعليق رقم 60.

الله فقد نصحك، وذكر أن والده سيدي علي بن موسى بن محمد بن محمد بن يحيى بن سيدي غانم من أصحاب الشيخ التباع أيضا، وسيدي غانم المذكور هو أبو خصيب المنسوب إليه وهو خصيب بوزن رغيف وهو من أصحاب سيدي أبي محمد خصيب ونسبهم مرفوع بخط صاحب الترجمة إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

23) أبو عثمان سعيد الداعي :

ومنهم : الشيخ أبو عثمان سعيد الداعي، دفين المقر مدة من حوز فاس، الولي الكبير العارف الخطير، قال في الدوحة : ومنهم ولي الله سبحانه العارف بطرق الهداية، المؤيد بالتوفيق الإلهي في البداية والنهاية، الشيخ أبو عثمان سعيد الداعي الدغوغي، كان هذا الشيخ من أهل التنوير والمقام الكبير، وله كرامات لا تحصى، ومآثر لا تستقصى، أخذ عن القطب أبي عبد الله محمد الجزولي، وتوفي على مرحلة من فاس، في أول المائة رحمة الله عليه انتهى وتقدم أن المعروف أنه من أصحاب الشيخ التباع، ويكفي من كرامات وعظم أمره، كون سيدي سعيد بن أبي بكر(143) دفين مكناسة من تلامذته، وهو من هو.

24) أبو حفص عمر الخطاب :

ومنهم : الشيخ أبو حفص عمر الخطاب، نزيل زرهون(144)، ودفينه صدر الشيوخ، وقدوة أهل الرسوخ، ذو الكرامات التي لا تعد، والمفاخر التي لا تحد، أخبر سيدي عبد الرحمن المجذوب أصحابه بقطبانيته فقال لهم : هلموا نمشي إلى سيدي عمر الخطاب، نهنيه في القطبانية، أو نحو هذا، وقال في الدوحة : لقي المشايخ، وأخذ عنهم، ويوثر عنه كرامات كثيرة، وهو من صدور المشايخ، توفي في العشرة الرابعة، والله أعلم، انتهى، يعني من المائة العاشرة ولعله يعني العشرة الخامسة. لأن الذي يظهر مما يأتي - إن شاء الله - أنه ما توفي إلا بعد وقعة بوعقبة الكائنة بين سلطان فاس، وسلطان مراكش، وقد كانت الوقعة المذكورة فيما ذكر سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة والله أعلم، وكان صاحب الترجمة هو وسيدي عبد الله الخياط ابني خالة، وكانا في صغرهما، يقرءان على مؤدب واحد في مكتب واحد، فكان بعض أهل البصائر يأتي المكتب فيقول للمعلم : عندك هنا قنديلان يضيئان، فكان لا يعرفهما، إلى أن كان من أمرهما ما كان، ولما كبرا، وصارا وليين، بعث مرة صاحب الترجمة إلى سيدي

---

(143) ترجمة المؤلف تحت رقم 73.

(144) زرهون يقع بين سهول سايس بمكناس، وهضاب زكوطة، تحيط به غابة من أشجار الزيتون، بوسطه ضريح المولى إدريس الأول، على مقربة من وليلي.

عبد الله الخياط : ان اخطب لي بنانة(145) امرأة في مدشر سيدي عبد الله، فأرسل إليه أنها ذات زوج، قد عقد عليها وهو ينظر البناء بها، فبعث إليه ثانية، وهو يأمره بخطبتها، فعجب منه سيدي عبد الله يقول له : إنها ذات زوج، ويرسل إليها في خطبتها، فلما كانت ليلة الزفاف والمرأة قد تزينت، وتهيأت، ومن عادتهم أن لا يسموا الصداق والشروط إلا ليلة الزفاف، ذهبوا يشترطون، فوقع بين الزوج ووالد الزوجة نزاع واختلاف، وعدم توافق، فحلف الولي لازوجها للزوج، وحلف الزوج لاتزوجها، فحملها أبوها، من ليلته بتلك الزينة إلى صاحب الترجمة، فعقد عليها وبنى بها، واجتمع يوما مع إنسان يدعي الشيخوخة، فكلمه الشيخ صاحب الترجمة، ونصحه، فأنف من ذلك، وقام مغضبا، يركب فرسه، فقال الشيخ لبعض الحاضرين : قم إلى تلك الفرس، قل لها : لا تتركه يركب، فقال لها ذلك، فتمنعت عليه، واستصعبت، وصارت كالكلب الكلب، حتى لم يبق لصاحبها طمع في القرب منها، ثم رجع إلى الشيخ، وأذعن له، واعترف بالحق. فقال لهم : قولوا للفرس تسكن، وتتركه يركب، فسكنت، لذلك وركبها، والتقى يوما مع سيدي سعيد بن أبي بكر، دفين مكناسة، كلاهما راكب في أصحابه فترجل سعيد عن فرسه، فسلم على سيدي عمر، ولم ينزل له سيدي عمر، فكأن أصحاب سيدي سعيد وجدوا في أنفسهم، من ذلك فعرف ذلك سيدي سعيد فقال لهم : جزى الله سيدي عمر عنا خيرا، إذ لم ينزل لنا، فلو نزل لم يمش أحد منا بكسائه، يعني : الأحوال، وأنهم يسلبونها، رضي الله عنهم، ونفعنا بهم، وسمعت من يذكر سيدي محمد المطرفي العيسوي عوض سيدي سعيد فالله أعلم، ولما قام السلطانان أبو العباس أحمد الاعرج، وأخوه أبو عبد الله محمد الشيخ، وكان بينهما وبين بني مرين من الحروب، والتقاتل ماكان، دخل الناس بينهم بالصلح، وقسمة البلاد، فوجهوا بذلك إلى السلطانين المذكورين جماعة من أعيان الوقت، ومشايخه منهم سيدي عمر بن الخطاب، وسيدي أبو الرواين، فجعلوا يوصون سيدي أبا الرواين بالسكوت، ويقولون له : إنك ياسيدي رجل ذو قلق وانزعاج، فتفسد علينا العمل، فالزم السكوت، فلما دخلوا على السلطان وتكلموا وجدوا فيهما شدة وغلظة وامتنعا من مساعفتهم، على ما أرادوا، فحلف صاحب الترجمة لا دخلوا، يعني فاس فيما يظهر ما دمت على وجه الأرض، فما دخلوها حتى مات بعد مدة فكان بعضهم يقول : لو أن بني مرين، يعرفون شيئا ما دفنوا سيدي عمر الخطاب يعني، ولتركوه في تابوت على وجه الأرض، لأنه حلف لادخلها أولئك السلاطين مادام على وجه الأرض رضي الله عنه، ونفعنا به(146).

(145) خ : فلانة بدلا من بنانة.

(146) انظر ترجمة عمر الخطاب في كتاب اتحاف أعلام الناس مؤلفه عبد الرحمن بن زيدان جـ 5 ص 494. وفي نشر المثاني جـ 1 ص 41.

25) أبو عبد الله محمد أبو عسرية :

ومنهم : الشيخ أبو عبد الله محمد المدعو بأبي عسرية بن الزبير بن الحسن بن الزبير بن طلحة بن مصباح المصباحي الزناتي الشاوي، الجليل القدر، الكبير الشأن، من سلالة الأولياء وجرثومة الأصفياء.

26) أبو عبد الله محمد منصور السفياني :

ومنهم : الشيخ أبو عبدالله محمد منصور السفياني دفين البسابس من السواحل التي بين نهري سبو ولكوس(147) الولي الكبير، قال في الدوحة : هو من أنظار أبي يشو وأبي عثمان، يعني سيدي مالك بن خدة، وسيدي سعيد بن السائح، وكان معاصرا لهما، ومشاركا لهما في الأخذ عن أشياخهما، وكان كبير الشأن. حدثني الثقات عنه بأنواع من الكرامات، وسمعت الفقيه أبا العباس الزغموري يقول : كان سيدي محمد بن منصور آية من آيات الله تعالى، لا يشك أحد في فضله، وولايته، وتوفي في العشرة الثالثة والله أعلم وقبره مشهور بجزيرة البسابس، من بلاد أولاد جلول انتهى، والمعروف نسبته للشيخ التباع، والروضة التي عليه بناها سيدي عبد الرحمن المجذوب، وحين أكملها رآه في النوم فأخذ عنه، وألبسه سيدي محمد بن منصور حلة خضراء.

27) أبو العباس أحمد بن موسى الجزولي :

ومنهم : الشيخ أبو العباس أحمد بن موسى الجزولي ثم السملالي، وفي الدوحة : الشيخ الجليل الشهير، الولي الكبير، العابد السائح المجمع على ولايته، وعلو مقامه ومكانته، ثم سماه، ثم قال : وهو أشهر من أن يذكر، ومناقبه كثيرة، وكراماته شهيرة، وكان في بداية أمره سياحا، طاف أكثر المعمور، ولقي كثيرا من الأولياء، يقال إنه بلغ إلى جبل قاف، وشاهده، وكان كثير المكاشفة، والكلام على هواجس الضمائر، وظهر له العجائب من الكرامات انتهى، ويقال : من كراماته أن السلطان أبا محمد عبد الله الغالب(148)، ما وجد البركة في مدته وملكه إلا به، وذلك أنه قال للأستاذ أبي عبد الله الترغي(149) : إني أجد في نفسي إرادة وطلبا للشيخ، فامض واطلب لي شيخا، فذهب يطوف على مشايخ المغرب، وكانوا إذ ذاك متوافرين، حتى أتى على الشيخ صاحب

---

(147) لكوس نهر ينحدر من الأطلس المتوسط ويصب في المحيط شمال مدينة العرائش.

(148) أبو محمد عبد الله بن محمد الشيخ الملقب بالغالب بالله ولد في رمضان عام 933 وبويع بعد قتل والده عام 965 بنى جامع المواسين بمراكش والمارستان وجدد المدرسة اليوسفية توفي عام 981 ودفن بإزاء والده انظر ترجمته في الإعلام لابن ابراهيم ج. 8 ص 286.

(149) نسبة إلى ترغة مرسى قديمة على نحو 40 كيلومتر من تطوان.

الترجمة، فوجدوه شيخا جليلا سنيا سنيا، متواضعا زاهدا ظاهر الورع حسن الأخلاق، باهر الكرامات، واضح الطريقة، جامعا لمحاسن الخصال والأوصاف، فرجع إليه، وجعل يصف له كل من رأى من المشايخ، بما ظهر له فيه، حتى أتى على ذكر صاحب الترجمة قال له : هو ولي، ثم ولي، سبعا، فقال له : كأنك تدلني عليه، وأنه مطلوبي وأنه المقدم على غيره، فقال له : لا أدلك عليه، ولا عندي ما أعرف به تقديمه، إلا أن هذا الذي ظهر لي فأزمع السلطان الرحيل إليه، فلما بلغ الشيخ قدوم السلطان إليه خرج يتلقاه، وقد هيأ له النزول، وما يصلحه، وأعد له ما يناسبه من الأطعمة الرفيعة النفيسة، وقدم إليه التمر الجيد، واللبن الحليب، ولما خرج أتاه بعضهم بفرس، وكان من عادته لا يركب، وإذا أتاه أحد بمركوب لا يرده عليه، بل يستصحبه معه، ويعلفه له، حتى يرجع، ففعل ذلك، وتلقى السلطان، ورجع به معه، وأنزله عنده، فمكث في ضيافته ثلاثة أيام، فطلب منه أن يتخذه وسيلة إلى الله، وسأله مع ذلك تمهيد الملك، واعتذر له بأنه لا يمكنه العيش بدونه، ولا يأمن على نفسه، ولا تأويه أرض، إن هو تخلى عنه، فقال الشيخ : أيا عرب، يا بربر، يا سهل، يا جبل، أطيعوا السلطان مولاي عبد الله، ولا تخالفوا عليه، ثم بعد ثلاثة أيام انصرف السلطان إلى بلده، فبقي مدة، وهو مسكن في عافية، ممهد الملك، ثم أتى الترك إلى بوغاز طنجة وسبتة، فخافهم وتشوش منهم كثيرا ولم يهنأ لهم عيش، فجعل أهل دائرته يهونون عليه أمرهم، فقال لهم : دعوني منكم، حتى استقي من رأس العين، فبرد بريده إلى الشيخ، فلما لحق إليه، سمعه يقول : ياترك، ارجعوا إلى بلادكم، ويامولاي عبد الله، هناك الله في بلادك بالعافية، فتقدم الرسول، فسلم عليه، وبلغه سلام السلطان، ثم انقلب من فوره، وأرخ وقت سماع الشيخ يقول ما قال، فلما بلغ إلى سيده، أخبره بما كان من الشيخ من القول، ومنه من التاريخ، ثم قعدوا ينتظرون ما يكون، فإذا بالخبر ورد عليهم، بأن الترك قد ارتحلوا وانصرفوا، وإذا بارتحالهم كان وقت قال الشيخ ما قال، ثم إن الشيخ قدم إلى مراكش زائرا من بها من أهل الله، فرغب إليه السلطان المذكور أن يدخل داره هو وأصحابه، ويصنع لهم طعاما، وشرط على نفسه أن لا يطعمهم إلا الحلال، ولا يطعمهم ما فيه شبهة، وحلف له على ذلك فساعفه، على مرغوبه، فلما حضر الطعام، جعل الشيخ يده عليه، ولم يصب منه، فلما خرج، قال له بعض الحاضرين : ما لك لم تتناول من طعام السلطان، وقد حلف أن لا يطعمكم إلا الحلال ؟ فقال له : من يأكل طعام السلطان وهو حلال أظلم قلبه أربعين يوما، ومن يأكله وفيه شبهة مات قلبه أربعين سنة، رضي الله عنه، ونفعنا به، وشكا إليه بعضهم نفسه، فقال له : مالك ولها ؟ دعها ومولاها، وسأله بعضهم : هل تعرف النحو أو تحفظ ألفية ابن مالك، فقال لا أحفظ منها إلا شطرين، أحدهما : فما أبيح افعل ودع ما لم يبح، والآخر : فما لنا إلا اتباع أحمدا، قالوا : ورأيت بخط الثقات من فقهاء حضرته وغيرهم أنه لم يكن يحفظ من الشعر إلا قول القائل :

تأمل سطور الكائنات فإنها ... من الملأ الأعلى إليك رسائل
ولا تلتفت للغير، فالكل هالك ... ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وفي المرآة : بعد ذكره : وهو من أصحاب الشيخ سيدي عبد العزيز التباع، وعلى يديه فتح له، ثم أمره بالمسير إلى الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الراشدي فأخذ عنه، ولازمه عامين، ثم أمره بالسياحة فساح[150] سنين، ثم رجع إلى مراكش سنة سبع وعشرين وتسعمائة، وهي سنة الجوع الكبير، فأقام على قبر شيخه سيدي عبد العزيز التباع سبعة أيام، وكان قد عهد إليه بذلك، وانصرف إلى بلاده من السوس الأقصى، انتهى وقبره ببلاده أشهر من أن يعرف به، وتوفي سنة إحدى وسبعين وتسعمائة.

28) أبو السرور عياد بن يعقوب :

ومنهم : والد سيدي عبد الرحمن المجذوب الشيخ الولي أبو السرور عياد بن يعقوب، دفين الربوة التي فوق القنطرة المعروفة بالمهدومة، بين فاس ومكناسة الزيتون.

29) أبو سالم إبراهيم الزواوي التونسي :

وممن أخذ عن الشيخ التباع أيضا وإن كان معتمده غيره، وغير هذه الطريق : الشيخ أبو سالم ابراهيم الزواوي التونسي دفين خارج باب الجيسة، أحد أبواب فاس، عن يسار الخارج منه، عليه روضة مبنية على صورة بيت فوق الطريق على مقربة من روضة سيدي محمد بن الحسن[151] توفي بفاس سنة إحدى وستين وتسعمائة، وهو ابن مائة سنة وست وثلاثين سنة أو نحوها، وصحب خمسة وثلاثين شيخا، منهم الشيخ ابن عروس التونسي، وتلميذه الشيخ منصور الزواوي، ومنه اكتسب صاحب الترجمة اسم الزواوي، ومنهم الشيخ ابن عقبة الحضرمي، والشيخ الزيتوني[152]، وتلميذهما

---

(150) جـ : سنتين.

(151) محمد بن الحسن البسلوتي السجلماسي الحسني الادريسي، كان من تجار الصحراء ورجع إلى فاس فأقام 17 عام صائما لا يفطر إلا في الأيام المنهي عن صيامها توفي بفاس سنة 595.
انظر ترجمته في السلوة جـ 3 ص 126 وفي التشوف ص 345.

(152) الشيخ الزيتوني من أصحاب سيدي علي صالح الأندلسي، الذي كانت له زاوية بوادي الزيتون بفاس من عدوة الأندلس، وتوفي الشيخ الزيتوني بفاس ودفن هو وشيخه الأندلسي في روضة واحدة تعرف بروضة الأنوار خارج باب فتوح، قرب روضة الشيخ أبي ميمونة دراس بن اسمعيل.

الشيخ[153] زروق. والشيخ ابن عرفة[154] القيراوني، والشيخ التباع، أخذ عنه كرامات ومآثر، منها : أنه كان يصلي العشاء مع الفقراء في مدة استيطانه القصر. وتطول إقامته بعدها معهم، فيما هم فيه من سبل الخير، فإذا رجع إلى داره، فربما وجد امرأته قد نامت فيوقظها قرعه الباب، فتقوم، وتفتح له، وربما انتظرته فأضجرها ذلك، فجاء ليلة، فلم تقم، وطال مقامه بالباب فقال لها : يابربغيث : فسقط برغوث في اذنها. لم يمكنها معه إلا القيام، فلما فتحت الباب، سقط من اذنها، وكان جماعا للخير، حريصا علي لقاء المشايخ، والأخذ عنهم، وكان من أهل الولاية، والعرفان، وجلالة القدر، وكبير الشأن، وكان قدم من تونس، وأوطن القصر الكبير سنين، ثم رحل إلى فاس فتوفي بها انتهى، ملفقا من المرءاة، وقال في المنقبة المذكورة : حضر ذلك جماعة من الفقراء، فانهم كانوا يشيعونه إلى داره، وقال في تاريخ وفاته : سمعت ذلك من الشيخ أبي المحاسن، يعني والده، ولما كان قرب وفاته جمع أصحابه، وأمرهم بالتزام سيدي عبد الرحمن المجذوب، والأخذ عنه، وأوصى سيدي عبد الرحمن عليهم، وقال لهم : الله الله فيهم، فإني ما رأيت في الغرب لمن نوصي إلا إليك، رضي الله عنهم أجمعين، وممن أخذ عن الشيخ التباع أيضا : سيدي محمد بن عيسى الفهري الكبير وسيدي عمر بن مبارك الحصيني، وسيدي سعيد بن السابح وسيأتون إن شاء الله، هؤلاء الذين حضروني، من أصحاب الشيخ سيدي عبد العزيز التباع.

30) أبو محمد أبو القرينات :

ذكر لي بعضهم أن سيدي أبا القرينات الذي بطريق سيدي أبي يعزى من أصحابه أيضا فالله أعلم، وأما أصحاب سيدي الصغير السهلي، فلا أعرف منهم سوى أبي محمد عبد الحق الزليجي.

31) أبو محمد عبد الحق الزليجي الزرهوني :

ومنهم أبو محمد عبد الحق الزليجي الزرهوني، دفين جبل زرهون، وأخذ عنه أيضا سيدي عبد الوارث بن عبد الله اليالصوتي، صحبه عشر سنين، قبل سيدي عبد الله الغزواني، وسيأتي في أصحاب سيدي عبد الله الغزواني، لشهرته به، ولقيه أيضا سيدي محمد بن عيسى، وتلميذه سيدي أبو الرواين وسيأتي ذلك.

---

(153) راجع ترجمته في التعليق رقم 26.

(154) محمد بن عرفة الورغمي التونسي من مؤلفاته الحدود، واختصار فرائض الحوفي، تولى الخطبة والامامة بالزيتونة 50 سنة ولد 716 وتوفي 803.

32) أبو عبد الله محمد بن عيسى الفهري السفياني :

وأما سيدي أحمد الحارثي فمن أصحابه : الشيخ أبو عبد الله محمد بن عيسى الكبير الفهري السفياني الأصل، ثم المختاري، نزيل مكناسة الزيتون، الولي الكبير، الجليل، الشهير، شيخ الطائفة العيساوية بالمغرب وكان آية في المحبة والأدب. كما أن العيساوية غاية في اتباع السنة كما تقدم، فكان يقال - كما تقدم - المحبة عيساوية، والسنة عيساوية، وفي الدوحة، ومنهم : أي مشايخ القرن العاشر الشيخ المربي، العارف بالله تعالى، مورد المريدين، ومفيد المسترشدين، صاحب الإفادة والتنويه، والإشادة، أبو عبد الله محمد بن عيسى المكناسي الفهري، كان رضي الله عنه من فحول المشايخ الداعين إلى حضرة الحق، أخذ عن الشيخ أبي العباس الحارثي، وسمعت بالتواتر من أهل مكناسة، أيام سكناي بها كرامات كثيرة يتحدثون بها عن الشيخ، وكان تلميذه شيخنا أبو الحجاج بن أبي المهدي يقول : سيدي ابن عيسى، هو الإكسير الذي لا نظير له، قال لي : ولقد حضرت عنده يوما، وقد جاء تلميذه الشيخ أبو الرواين، وقال له : ياسيدي إني جعلت زمام نفسي بيدك. وقد شغفت بحب النساء، فإن لم تكن لك عناية ربانية، فصاحبك يعصي الله تعالى، في هذه الليلة، يعني نفسه، ووالله حتى أفعل، فقال الشيخ : اذهب، وافعل ما شئت، فإن الله قادر على أن لا تفعل، وان تستطيع ولو أردت، بعناية الله سبحانه وتعالى قال : فلما كان من الغد جاء أبو الرواين، وهو في غاية الضعف، ووجهه مصفر، فقلنا له : مالك هكذا ؟ فقال : شاهدت العجب، البارحة فقلنا له : وما ذلك ؟ قال : ذهبت إلى امرأة عربية، وتكلمت معها، أن تبيت عندي، لما سبق من يميني بالأمس فأتت، فما كان إلا أن وصلت إلي، وهممت بمواقعتها، فإذا أنا كالمفلوج لا نستطيع تحريك عضو من أعضائي، فبقيت مستلقيا على ظهري، كالميت لا نقدر على النطق، ولا حركة، حتى إذا طلع الفجر، سمعت صوت الشيخ وهو يقول : أتتوب إلى الله ياأبا الرواين ؟ فقلت بصوت خفي : أنا تائب لله، فقال : قم إلى صلاة الصبح، فنهضت، فإذا أنا قائم كأنما انشطت من عقال، فلما دخلت على الشيخ قال : ياأبا الرواين، وأين ما فعلت ؟ فقلت : ياسيدي من يكون في رعاية مثلك، لا يخشى على نفسه غواية، فقال : الحمد لله على تأييده ورحمته، ثم قال لنا أبو الرواين : من لم يوكل على نفسه مثل هذا الشيخ، فهو في غرور، فقضينا من أمره العجب، ثم قال : أعني المؤلف : وعلى الجملة فهو أحد المشايخ الذين يقتدي بهم ويهتدي بهديهم انتهى، وحكي عن الشيخ سيدي سعيد بن أبي بكر : أنه لما حضر جنازته، أخبر أصحابه أنه ما مات حتى تقطب، وفي المرآة : أنه أخذ عن الشيخ أبي(155) العباس الحارثي، وعلى

---

(155) ط : أبي عبد الله.

يديه كان فتح له، وأخذ بعده وبأمره عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع وعلى يديه كان تكميله انتهى، وفي الاصليت[156] لأبي العباس بن أبي محلي، أن الشيخ ابن عيسى أظنه لما توفي شيخه الحارثي، ذهب لأخيه التباع، فقال له : إن أخي الحارثي قد صفى درهمك، ولكنه ما طبعه، وغير المطبوع في السوق قد لا يجوز، اذهب فقد طبعته لك، فلما مر بالسيد الصغير السهلي، وهو يرعى البقر، وكان في البادية ربما رعاها، قال له : أعد علي مقالة أخي التباع، فحكاها له، ثم دار دورة حالية : فقال له ما معناه : هلا قال الله ها أنت وربك ؟ فمن عندها امتلأ ابن عيسى مددا، حتى كان منه ما كان، سمعت هذه الحكاية بالمعنى من أستاذي رضي الله عنه.

يعني سيدي محمد بن مبارك الزعري، ولكني اختصرتها، وهي أطول من ذلك انتهى، قال في الدوحة : وتوفي رحمة الله عليه، في أول العشرة الرابعة، يعني من المائة العاشرة، وقبره مزارة مشهورة، خارج مكناسة من ناحية الغرب، رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

33) أبو حفص عمر بن مبارك الحصيني :

ومنهم : الشيخ أبو حفص عمر بن مبارك الحصيني، من قبيلة حصين، دفين خارج مكناسة، بين باب عيسى وباب الفورجة الولي الكبير، أخذ عن الشيخ الحارثي والشيخ التباع، ولا أدري لمن ينتسب منهما، ووصفه في الدوحة : بالشيخ الفقيه الزاهد ولي الله تعالى، ثم قال : وكان بمكناسة، وبها توفي في العشرة الخامسة، يعني من القرن العاشر، وكان كثير التنسك والانقطاع إلى الله تعالى، وكان ورده في كل ليلة، أن يختم القرآن العظيم ما بين العشاءين في ركعتين، يفتتح القراءة في أول ركعة بعد صلاة المغرب، ويختمها في الثانية، فإذا سلم علم الناس بدخول وقت العشاء الأخيرة، فيسمعون أذان المؤذن في الحين، وذلك في كل ليلة، لا يزيد ولا ينقص، مع أن أذان بلدهم في غاية من الاتقان من التوقيت، والآلة، وكان فصيح الصوت، يرتل القرآن ترتيلا من غير هدرمة، ولا عجلة وذلك خصوصية ربانية بلا ريب انتهى ويحكى أن إنسانا كان يبلغه ذلك فيكذب به، فجاءه يوما فسأله عن ذلك، فقال له : هات أذنك فقرأ له القرآن كله حرفا حرفا في أذنه، في أقرب زمان، ثم قال في الدوحة : وكان يزور شيخ المشايخ أبا يعزى[157] في كل سنة مرة، يمشي إليه حافيا من مكناسة إلى قبره،

---

(156) الاصليت كتاب الله احمد المعروف بأبي محلي انظر ترجمته في التعليق رقم 52.

(157) أبو يعزى بكسر العين وشد الزاي يلنور بن ميمون بن عبد الله الدكالي الهزميري كان منقطعا عن الخلق مجاب الدعوة، صادق الفراسة، حسن الخلق والخلق، أسود اللون، نحيل البدن، كثير العبادة، عمر 130 سنة ولد سنة 438 وفد إلى فاس، واستوطن بحومة البليدة، ثم خرج –

بتاغيا، مسيرة يومين للمجد، وكان يقول : من زار هذا الشيخ، وسأل الله تعالى عند قبره حاجة واحدة في كل زورة، فإنها تقضى له على القطع انتهى ويحكي أنه أشار على بعض الطلبة الآخذين عنه بقراءة دعوة ناوله إياها لتجربة الدم، وأكد عليه في حفظها، فقرأها، وحفظها، ثم إنه امتحن بالاسر عند النصارى، فلم يكن سببا لفكاكه وسراحه غيرها، عملها لبنت رئيسهم، فعالجوها، فأعياهم علاجها، ثم إنهم تنبهوا له، فسألوه هل يعرف دواء لدائها ؟ فقال لهم : نعم نداويها، واشترط عليهم شروطا من جملتها تسريحه، فداواها بشيء أظهره لهم، وترك الدعوة فبرئت، وسرح.

34) أبو عثمان سعيد بن السائح المالكي :

وممن أخذ عن الشيوخ الثلاثة : سيدي عبد العزيز التباع وسيدي الصغير السهلي وسيدي أحمد الحارثي ولا علم له لمن ينتسب منهم الشيخ أبو عثمان سعيد بن السايح المالكي، من عرب بني مالك، وصفه في الدوحة : بالشيخ الولي العارف بالله تعالى، ثم قال : كان من الرجال العارفين بالله تعالى صحب الشيخ أبا فارس عبد العزيز التباع، والشيخ أبا عبد الله محمد الصغير، والشيخ أبا العباس الحارثي، وكان له في مقام المحبة شاو لا يطار تحت جناحه، حدثني والدي رحمه الله : قال : زرت الشيخ سيدي سعيد فبينما نحن معه جالسون بعد صلاة الصبح، إذ جاءه رجل فقال : ياسيدي : أنا نازل معك في هذه الزاوية، ولي بقرة واحدة، فجاء إليها الأسد البارحة وافترسها بهذا الوادي الذي بإزائنا، فقال له الشيخ : إن الله لا يسلط الأسد على من هو بحرمه معنا، ولكن اذهب إلى بقرتك تجدها إن شاء الله، والأسد يرعاها لك، فذهب الرجل، فما كان غير بعيد، حتى رجع، وقد وجد بقرته بالوادي ترعى، والأسد رابض بإزائها، فلما رآه، ذهب عنها، فعجبنا من ذلك، ثم إن أهل الدوار أخبرونا بأن الأسد لم يجترئ قط على بهائمهم مع كثرته بتلك الأوطان، وكان شيخنا أبو الحجاج الحسني، يعني ابن أبي مهدي الفجيجي، يحدثنا عنه بعجائب من الكرامات، ويقول : إنه من كبار الأولياء العارفين، توفي رحمه الله في أول العشرة الرابعة، يعني من القرن العاشر، ودفن بموضع يقال له المرجومة من بلد أزغار، وقبره مزارة مشهورة هنالك.

35) أبو يشو مالك بن خدة :

ومنهم أي من مشايخ القرن العاشر الشيخ الولي صاحب البركات والكرامات الباهرات أبو يشو مالك بن خدة الصبيحي : من عرب صبيح، يعني بالتصغير، كان

— منها، واستوطن قرية تاغيا، من بلاد مغراوة، وتوفي بوباء سنة 572 ودفن بتاغيا وقد صنف الشيخ عبد الحي الكتاني كتاباً سماه : الاستهزا بمن زعم الشرف للشيخ أبي يعزى.

سيدا، عابدا، عالما، فاضلا من أكابر المشايخ، وله مناقب مشهورة، ومآثر في صحف المجد مذكورة، وكان شيخنا أبو الحجاج يذكره ويثني عليه، قال : وكان رجل من تلامذته يدعى بالسيد حمدان، يحضر مجلسه، فيخبر بعجائب الملكوت وأسرار المغيبات، وعظيم المكاشفات، لقي المشايخ من الصوفية، وأخذ عنهم، وعلى الجملة فهو بالفضل والصلاح مشهور، وفي جملة الأكابر مذكور، توفي رحمه الله في العشرة الثالثة، يعني من القرن العاشر، ودفن على ضفة وادي سبو على مرحلة من فاس، وقبره مزارة هنالك. ثم ذكر سيدي محمد بن منصور صاحب البسابس المتقدم، وقال : من أنظار أبي بشر وأبي عثمان، وكان معاصرا لهما ومشاركا لهما في الأخذ عن أشياخهما. فيؤخذ منه أن أشياخ هؤلاء الشيوخ الثلاثة أبي عثمان، والذين معه سواء، وقد علمت أن أشياخ أبي عثمان الشيخ التباع، وأخواه، فيكون سيدي مالك أخذ عن أحد الشيوخ الثلاثة الشيخ التباع وأخويه لا محالة، إن لم يكن أخذ عنهم كلهم، إلا أن يكون مراده أن سيدي محمد بن منصور شارك كلا من الشيخين أبي عثمان، وأبي بشر في أشياخه، ولم يشتركاهما فيما بينهما، لكن ذكر غيره أن سيدي علي اللهبي من الطائفة الجزولية، وأن أصحابه كانوا يقرؤون حزب الجزولي، وذكر بعضهم أنه أخذ عن سيدي مالك بن خدة فيكون سيدي مالك جزوليا، إما من طريق الشيوخ الثلاثة، أو من طريق الشيخ ابن طلحة إن كان جزوليا أو غيرهم، إلا أن يكون سيدي علي اللهبي يتصل بالشيخ الجزولي من غير طريق سيدي مالك فالله أعلم، ومن أشياخ سيدي مالك أيضا الشيخ ابن الحسن علي بن طلحة الذي بإزاء روضته، ومعه اتفقت له الحكاية المعلومة في ابنته التي تزوجها سيدي مالك وقالت : أبي من السيارين وزوجي من الطيارين رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا بهم.

36) الحسن أجانا :

وأما سيدي الحسن أجانا فلا أعرف فيمن أخذ عنه إلا الشيخ أبا محمد عبد الله الخياط دفين زرهون، قال في المرآة : وهو من كبار المشايخ الذي نفع الله بهم، وكثرت الهداية على أيديهم، وكان كثير الاتباع للسنة، ويحضر مجالس العلم، ويحض أصحابه على التعليم، توفي سنة تسع وثلاثين وتسعمائة، ودفن بجبل زرهون، وروضته هنالك مشهورة، أخذ أولا عن الشيخ أبي محمد الحسن بن عمر أجانا، وصحبه ثنتي عشرة سنة، ثم قال : أنا طهرت فخارتك، وسيدي أحمد بن يوسف هو الذي يعمرها، فسار إليه، فكان تكميله على يديه، واشتهرت نسبته إليه، ثم قال : وحدثني شيخنا أبو عبد الله النيجي أن شيخه أبا محمد عبد الوارث وهو شيخه الأول،

لما ظهرت بدعة الشراقية، وانتسابهم لسيدي أحمد بن يوسف(158) وقع في نفسه من ذلك شيء، فقيل له : إن سيدي عبد الله الخياط من أصحابه، فقال أنا تائب إلى الله، كفى في طهارة جانبه كون الخياط من أصحابه انتهى وقال في الدوحة : وكان من مشايخ الصوفية، وأهل التربية النبوية أخذ عن الشيخ الكبير أبي العباس أحمد بن يوسف الملياني، وكانت له أحوال سنية، وشعائر مرضية، وكانت تظهر عليه كرامات الأولياء مع سبيل الاستقامة، وله أتباع صحت أحوالهم وسمعت الثقات يحكون عنه مناقب كثيرة، توفي مسموما، ودفن بزاويته من جبل زرهون، رحمة الله عليه انتهى ومن كلامه رضي الله عنه : (واعلم بأنه لا يسمى العارف عارفا وله دعوى، ولا يسمى المحب محبا وله شكوى، ولا يسمى السالك سالكا وله اختيار، ولا يسمى المريد مريدا وله إرادة، من لم يضبط المحسوسات، لا يقدر على ضبط المحسوسات، إذا رأيت السالك لا يفرق في سلوكه بين الاستقامة والاعوجاج، فكفى بجهله دليلا على الاستدراج) وله كلام عال نفيس في الطريق يوجد عند بعض الناس رضي الله عنه ونفعنا به.

37) أبو محمد عبد الله بن حسين الحسني :

وأما أصحاب الشيخ الغزواني فمنهم : الشيخ أبو محمد، وفي الدوحة أبو محمد عبد الله بن حسين الحسني(159) من شرفاء بني أمغار، أهل عين الفطر، هكذا في الدوحة، ووجدت بخط صاحب الترجمة في مكاتبة لبعض أصحابه، وكتب عبد الله بن حسين الشريف الحسني، وسيأتي من قول صاحب المرءاة، إنه من أهل بزو(160) قبيلة تاتيفة وكأنه نشأ فيهم، وكان في عدادهم، وأصله من تيط من شرفاء بها بني أمغار، والله أعلم، وما تقدم من قوله الشريف الحسني، هو الذي في حفظي من خطه، والذي بخط الشيخ القصار : أنه وجد في رسم شرف أهل عين الفطر، مؤرخ بعام ستة وتسعين وستمائة أنهم حسينيون بالياء، ووصفه في الدوحة بأعجوبة الدهر الشيخ الولي، والمناقب التي لا تحصى كثيرة ثم قال : حدثني ولده الرضي الشيخ أبو العباس، قال لي لما مر الشيخ

---

(158) احمد بن يوسف الراشدي الملياني، الرجل الصالح تنسب إليه الطريقة اليوسفية، قال فيه صاحب لقط الفرائد : الرجل الصالح، وحاشاه أن يقول ما قيل عنه وفي الخزانة العامة كتاب في مناقبه مجهول المؤلف تحت رقم 1457د.

(159) خ : الحسيني.

(160) بزو قرية من قبيلة تاتيفة ينسب إليها سيدي عبد الله بن حسين الذي أصله من تيط أي عين الفطر من شرفاء بني أمغار راجع الموسوعة المغربية معلمة المدن والقبائل ـ ملحق 2 ص 97. وقد أطال في ترجمة هذا الشيخ العباس بن ابراهيم في الإعلام ج 8 ص 277.

أبو محمد الغزواني بضريح الشيخ أبي ابراهيم المدفون بقرية تامصلوحت، على قدر نصف مرحلة من مراكش، والقرية المذكورة خالية معطشة، لا ماء بها، ولا عمارة، وكان والدي في جملته، فالتفت إليه الشيخ، وقال له : ياعبد الله، هذا موضعك وإن الله يحيي عمرانها على يدك، فانزل بأهلك وولدك به، فقال له : ياسيدي اجعل لي سببا أستعين به على هذا الشأن، فقال له الشيخ : إن الله تعالى جعل لك الحكم على كل طير يؤذي، فلا يدعي إليك طير يؤذي إلا أجاب، وإن الله جعل لك حكمة في المرأة العقيم أنها تلد، إذا أكلت طعاما مسته يدك، فالزم مقامك بهذا المكان، فإن الله ينفع بك الناس، ثم ذكر أن الشيخ سيدي عبد الله بن حسين بعد استقراره بتامصلوحت(161) انتشر صيته، وقصدته الوفود، وظهرت على يده الخوارق التي لا تحصى، منها أن الطير المؤذي كالبرطال والجراد ونحوها، إذا نزل بفدان زرع، أو بالكرم من الجنات تكتب دعوته إلى الشيخ في رقعة، وتجعل في قصبة وتربع في الفدان، فإن الطير يرحل من حينه، قال : ولقد رأيت أهل الفدان يجعلون وظيفا على أزواجهم في الحراثة أخماسا، أو أعشارا، ثم يصرف ذلك لزاوية الشيخ، ويطعم بها، وبسبب ذلك دفع الله عنهم ضرورة الطير، فهم يفعلون ذلك إلى اليوم، وهذا شائع ذائع في تلك الأوطان كلها، ومنها أن كل امرأة لا تلد، إذا أكلت لقمة من دقيق مسه بيده فإنها تلد بقدرة الله تعالى، آلافا لا تحصى، وقد أخبرني أهل قرية تامصلوحت أن الشيخ تغير على أولاده مرة، وحلف ليرحلن، فلما خرج الشيخ راحلا إلى وادي نفيس(162) ليبر يمينه، ارتحل الحمام فوق رأسه، كأنه سحابة إلى رأسه، ولم يبق حمام بتامصلوحت، فلما رأى أهل القرية ذلك، حملوا صبيانهم ونساءهم والتحقوا بالشيخ، وقالوا له : والله لارجعنا إلى ديارنا إلا إذا رجعت معنا، فما عذرنا وفي هذا الطير معتبر، فرجع معهم، ورجع الطير وبالجملة فمناقبه كثيرة لا تحصى، ولو تتبعناها لكانت تستدعي ديوانا مستقلا، ولقد رأيت منها جملة، وكانت بيني وبين الشيخ مودة راسخة، ومحبة شامخة، ورأيت له بركات، واستفدت منه دعوات، والحمد لله، وكان الشيخ رحمه الله أصابه ارتعاش، وكان يعرج برجله اليمنى، ولولا قصد الاقتصار، وعدم الفراغ، لأفردنا له كتابا مستقلا انتهى، وسمعت من يذكر أصل حكاية ارتحال الحمام معه، وتظليله فوق رأسه، يقيه حر الشمس وزاد فيها : أنه قيل له : ياسيدي إن هذا الحمام قد تبعك، وترك فراخه فقال القائل أو غيره : ناد فيه من له أفراخ فليرجع، ولا يصحبنا إلا المتجرد، فنادى فإذا بها تتمايز، فرجع بعضها، وهو ذو الفرخ، وبقي بعضها، وهو المتجرد، إلا أنه ذكر أن ذلك وقع له في ارتحاله من مراكش إلى تامصلوحت، وأنه كان في ابتداء أمره وانتصابه

---

(161) تامصلوحت إحدى جماعات حوز مراكش وبها ضريح مولاي عبد الله بن حسين.
(162) نهر من الأنهار المتفرعة من وادي تنسيفت.

للخلق بعد شيخه بمراكش، ثم لما كثرت الجموع عليه، وقصده الناس من كل ناحية، أرسل إليه السلطان أبو محمد عبد الله الغالب، إما أن تخرج عني، أو أخرج عنك، فخرج من فوره إلى تامصلوحت، وكان وقت الحر فتبعه الحمام، فكان من أمره ما ذكر، وكان هذا الشيخ سيدي عبد الله شيخا جليلاً كبير الشأن من أهل الرسوخ في العرفان، وكان قوي الحال، ومع ذلك لا يستفزه ولا يغلبه، فكان من أهل التمكين والكمال، بهذا وصفه سيدي قدار، لما سأله عنه سيدي يوسف الفاسي، وكان سيدي قدار قد ذهب إليه بعد موت شيخه سيدي سعيد بن أبي بكر، وكان - أعني صاحب الترجمة - مقصوداً للزائرين، ومفزعا لأرباب القلوب والسالكين من المريدين، وتوفي رضي الله عنه سنة سبع وسبعين وتسعمائة، قال في المرآة : وقيدها بعضهم عند الزوال يوم الإثنين الحادي والعشرين من ربيع الأول سنة تسع وسبعين وتسعمائة، ودفن بعد العصر من يومه انتهى.

وقال صاحب الدوحة : انه توفي سنة ست وسبعين وتسعمائة، وهو بعيد لكونه تأخر بعد سيدي عبد الرحمن المجذوب، وورثه، وأرسل إلى سيدي يوسف أن يأتيه، وقد مات سيدي عبد الرحمن المجذوب ليلة عيد الأضحى من سنة ست وسبعين، وهذا لا نرتاب فيه، والذي سمعنا أن بين وفاتهما نحو الستة أشهر، والله أعلم.

38) أبو عبد الله محمد الدقاق :

ومنهم : الشيخ أبو عبد الله محمد الدقاق، دفين مراكش، قال سيدي عبد الرحمن ابن محمد الفاسي فيما وجدته بخطه : وكان من أكابرهم، وتقدم قول صاحب الدوحة وكان مختصا به.

39) أبو عبد الله محمد بن علي الهراوي :

ومنهم : الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عيسى بن محمد الهراوي(163) الزمراني المعروف بالطالب، العالم العارف الكبير الشأن، ذو المشاهدة والرؤية الروحانية، والعيان، ورفعة القدر، الواضحة البرهان، قال في الدوحة : إنه من كبار تلامذة الشيخ الغزواني، وقال غيره : إنه وارثه ثم قال في الدوحة : كان رحمه الله عبدا صالحا، وسيما، ذا سمة حسنة، وهمة عالية، يتكلم بالمواهب اللدنية، وكان يدعي رؤية الله تعالى بالبصيرة، لكنه يجعلها كرؤية البصر، ووقعت بينه وبين سيدي أبي محمد عبد الله الهبطي، مراجعات في ذلك، ولما ارتحل الشيخ سيدي أبو محمد الغزواني إلى حضرة مراكش، تركه بزاويته الكائنة بباب الفتوح من مدينة فاس، وبها

---

(163) خ : الهواري

استقر إلى أن توفي سنة أربع وستين، ودفن بها، وله أتباع يهتدون بهديه على سنن أشياخه، ويشهدون له بأنواع من الكرامات، لقيته مرارا عديدة في سنين متعددة، انتفعت به وبعلومه، كان رحمه الله على سبيل الاستقامة، وقدمت على فاس سنة وفاته، وعدته في مرضه الذي مات منه مع جماعة من الفقهاء، فلما نهضنا للقيام عنه، قال لي : اجلسوا حتى أودعكم فلعل هذا آخر العهد بكم، فجلسنا، وقلنا له : لا بأس عليك إن شاء الله طهورا، فقال : اجعلوني في حل، فإني أرى أني راحل عنكم، فطلبنا منه الدعاء بالخير، فدعا لنا، وانصرفنا عنه، فما أتى علينا ثالث ذلك اليوم حتى نعي إلينا رحمة الله عليه، وفي المرآة : أنه توفي سنة خمس وستين وتسعمائة، وما أشار إليه من المراجعات الواقعة بين الشيخين المذكورين رضي الله عنهما، فيما ذكر قد طال بينهما الكلام في ذلك، ووقع من الشيخ الهبطي في ذلك تغليظ في القول، ومبالغة في جانب صاحب الترجمة، وهو يتلطف له، ويذكر ما ظهر له من العلم الظاهر، دليلا على ما ترجم عنه من حاله الباطن، فلما رآه لا يقبل منه شيئا، وجعل يزيد في الإبجاع، والقول الشنيع، سكت عنه، حسبما ذكر لي من طالع كلامهما. وهو موجود بأيدي الناس إلا أني لم أطالعه، وقد ذكر صاحب الدوحة في ترجمة سيدي يوسف التليدي أيضا، أن سيدي عبد الله الهبطي، كان ينكر عليه، ما كان يصدر منه من الكتب للنواحي يأمر الناس بالتوبة، ويشوقهم في الاطلاع على الكرامات، ويشير إلى مقام الأفراد من الأولياء، وكأنه يغبطهم بذلك في الرجوع إلى الله، والدخول في طريق الله، والانحياش إلى جانب الله، ويشوقهم بذكر نتائج ذلك، مما يحصل من الكرامات، وما يتحلى به من سني الحالات، ورفيع المقامات، والعمل على ذلك، وإن كان مدخولا، لكنه كما قيل لابد المريض من منسأته(١٦٤) ولا يفعل ذلك إلا عن إذن وبصيرة، وكان يشير بمقام الأفراد إلى نفسه، إرشادا المكتوب إليهم، وتقريبا عليهم، وأخذا بأيديهم، وجمعا لهم، ورحمة بهم، تحدثا بنعمة الله، وقوة الفيض، وغلبة حال الغني بالله، فذكر أنه كان ينكر عليه تلك الدعاوي، وينهاه عن إفشائها، وهو مستمر على شأنه، وذلك لأنه على بينة من ربه، وجلية من أمره.

وصدور ذلك منه عن حال غالب، ووقت طالب، ولسان مأمور، وقلب مغمور، وسبب ما كان يقع للشيخ الهبطي تغمده الله برحمته في الإنكار على هذين الشيخين، وأمثالهما، هو ما كان وقع له مع شيخه الغزواني رضي الله عنه، مما هو معلوم، مما أنكر من نفسه ما كان يجد من الأحوال والأذواق، بعد أن كان حصل له حظ كبير من طريق أهل الله، وكان من أهل الأذواق العالية، وحين فقد ذلك أكب على العلم الظاهر، وتعلق بالرسوم، والإنسان تحكم عليه حالته الراهنة، فصار ينكر عليهم بمبلغ علمه،

(١٦٤) منسأته أي عصاه التي يتوكأ عليها.

ونيته وحاله في الوقت، وعلى حسب وجدانه وسلوكه، وقد علم كل أناس مشربهم(165)، تسقى بماء واحد(166) الآية والزهر ألوان وما منا إلا له مقام معلوم(167) وكانوا هم أهل أحوال صحيحة، صادقة فياضة، ومقامات عالية، وطريقة مستقيمة، وعلى بينه من الله وإذن وبصيرة، وماؤهم جار مطلق عليهم، فكلهم على هدى، وكانوا يعذرونه في حاله ويغضون عنه، ويتلطفون له، ويراعون له حقه، ولو ذكرنا كتاب سيدي عبد الله الغزواني له شاهدا بما ذكرنا من شأنه، وكذا كتاب سيدي أحمد منصور الحيحي له، وكتابه هو للشيخ الخروبي، يتملق له، ويستعطفه، ويشكو إليه الحجاب، وما قاله معاصره سيدي أبو عمر القسطلي المراكشي في شأنه لطال الكلام في ذلك ولسنا بصدده، وإنما دعانا إلى هذا النزر منه، الإشارة إلى بيان موجب الإنكار، فيعذر المنكر، ويظهر حق من أنكر عليه، وبيان رتبة المنكر في العلم الظاهر والباطن، لينزل منزلته إذا قال شيئا. وذكر ما القوم في المسألة المراجع فيها بالتعيين، حسبما يأتي قريبا، مما أدانا إليه فهمنا القاصر قال بعضهم : ولما لم يتقن(168) يعني الشيخ أبا محمد الهبطي علم الظاهر على الشيوخ، ولم يأخذ فيه إلا بعد أن كبر، وقع بسبب ذلك في أمور منكرة، من ذلك حكمه على قبائل البربر بالعقوبة، بالمال. فكتب لنيف وأربعين قبيلة أن من فعل كذا من المناكر يعطي كذا لمتولي البلاد، ومن فعل كذا، يعطي كذا حتى ذكر أمورا متعددة، وكان يقول فيما اشتهر عنه، ووجدته بخط ولده الأكبر : أن من امتنع من جميع ما ذكر يجب قتاله، وقتله، وجهاده، على كافة أهل الإسلام، ولم يجيء هذا في سنة، ولا قاله أحد من علماء الأمة، ولا مرية في أن ذلك بدعة شنيعة، ومن لا أصلحته السنة، لا أصلحه الله، ومن ذلك تفريقه بين النساء والرجال بسبب عدم اتفاقهم، لتقرير عقائد الإيمان، وما أجاب به الإمام ابن مرزوق(169) معلوم ومن ذلك مسألة الهيللة.

فإنه لم يقل أحد بمقالته، فيها، من تقريره المثل ثم نفيه بل في كلام الغزالي، ما يشير إلى أن ذلك شرك انتهى باختصار، وأكثره بالمعنى، وأما المسألة المراجع فيها المذكورة فمن مصطلح أهل الطريق رضي الله عنهم، الذي أطبقوا عليه، إطلاق لفظ المشاهدة،

---

(165) الآية 60 من سورة البقرة، الأعراف 160 بإسقاط الواو.

(166) الآية 4 من سورة الرعد.

(167) الآية 164 من سورة الصافات.

(168) ح : يتيقن.

(169) هو محمد بن أحمد بن مرزوق الإمام المتبحر في العلوم، له ثلاثة شروح على البردة، ورجزان في علوم الحديث، وأراجيز في فنون كثيرة له شرح البخاري لم يكمل وأجوبة وفتاوي في أنواع من العلم ولد سنة 766 وتوفي سنة 842.

ويقولون إنهم يشاهدون فعل الله، وصفاته، وذاته والمشاهدة والشهود هي الرؤية بالبصر، أو بالبصيرة، إلا أنهم خصوها برؤية البصيرة، بحيث لا إبهام عندهم في إطلاقها، وقالوا في حقيقة المشاهدة : إنها انفتاح عين البصيرة لرؤية الحقيقة حتى يصير الأمر في الكشف والبيان في معد العيان، بحيث يصير صاحبها كأنه ينظر بباصره ما وراء ببصيرته حتى لو كشف عنه ما ازداد يقينا، وهي ترجع إلى الاستغراق، والانغماس في النور، وخصت المشاهدة أيضا بما معه شعور بالوارد، فإن لم يبق شعور بالكلية سمي رؤية ومعاينة، ولأجل أنها مع عدم الشعور بل مع استهلاك واستغراق كان صاحبها لا التذاذ له، بخلاف الحالة الأخرى، وتقدم من كلام سيدي عبد الرحمن الفاسي في ترجمة سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنهما، أن اليقين والمشاهدة دون مرتبة الاستغراق والفناء عن الشعور بالكلية، وهذا كله منصوص للقوم، معلوم عندهم، وقال الشيخ زروق رضي الله عنه في أحد شروحه على الحكم، بعد أن تكلم على الرؤية البصرية في الآخرة : فأما الرؤية القلبية فهي ثابتة في الدنيا، ولا مانع منها إلا العيوب العارضة التي أصولها الغفلات، والشهوات، والمعاصي، فإذا ذهبت هذه الحجب، صار البيان في معد العيان وانتقل التحقيق عن اليقين إلى طمأنينة، دون احتياج إلى برهان، كما قال الشاذلي رضي الله عنه : إنا لننظر إلى الله ببصر الإيمان والإيقان، فأغنانا ذلك عن إقامة الدليل والبرهان، ونستدل به على الخلق هل في الوجود شيء سوى الملك الحق، فلا نراهم، وإن كان ولابد، فنراهم كالهباء في الهواء إن فتشتهم، لم تجدهم شيئا، وفي ذلك يقول قائلهم،

كبر العيان علي حتى إنـــه صار اليقين من العيان توهما

انتهى وقال على قوله : فسبب العذاب وجود الحجاب، وإتمام النعيم بالنظر إلى وجه الله الكريم، وجود الحجاب في هذه الدار على البصيرة وفي تلك الدار على البصر، والنظر في هذه الدار بالبصيرة، وفي تلك الدار بالبصر انتهى.

وقال بعضهم : لو كلفت أن أرى غيره لم أستطع، فإنه لا غير معه، وقال الشاعر :

مذ عرفت الإله لم أر غيـــرا وكذا الغير عندنا ممنـــــوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقـا فأنا اليوم واصل مجمـــــوع

ذكره الشيخ ابن عباد(170) والشيخ زروق رضي الله عنهما، وقيل لبعضهم : هل رأيت ربك، فقال : لم أكن أعبد ربا لم أره، وقال سيدي عبد الجليل القصري رضي الله

---

(170) محمد بن ابراهيم الرندي النفزي المعروف بابن عباد، شيخ العلماء والزهاد، تنقل بين فاس وتلمسان ومراكش وسلا وطنجة، ثم استقر خطيباً للقرويين بفاس، من تآليفه شرح الحكم، والرسائل الكبرى والصغرى، وشرح الأسماء الحسنى ولد سنة 733 وتوفي سنة 792.

عنه في أجوبته : وحقيقة المعرفة الخاصة أن يتعرف الله عز وجل لعبده بنفسه فيشهده الله عز وجل نفسه، على ما هو عليه، ويطلبه جل وعز لمجالسته ويكشف له عنه، حتى يعرفه وينظر إليه، بعد أن جذبه، واجتباه ثم قال : وقد اتفق الجميع وأطبق الخبر، وصحيح النظر، أنه ليس شيء أرفع من النظر إلى الله، والنظر بالعلم والمعرفة في الدنيا، وفي الآخرة بالعلم والبصر معا، والنظر بالبصر في الظاهر في الآخرة تابع للعلم، لابد، ولا محالة ما أدركه العلم أدركه البصر، ولا تجوز مخالفته، فإن العلم يدرك الباري، لا في جهة ولا بمقابلة، وكذلك البصر يدركه كذلك، ولو أدركه البصر على خلاف ما وصفه له العلم لم يكن إلا متوهما ومحدودا، والبصر أيضا ضرب من العلم، ومدارك الحواس الخمس مقدمات العلوم، فافهم، فهذا بين لا مدفع فيه انتهى، وله مثله في الشعب، وقال سيدي محمد بن سليمان الجزولي، سيد هذه الطائفة الموضوع التي هذا التأليف فيها، وإمامها وقدوتها، رضي الله عنه : كيف تستحيل رؤيته سبحانه، وهو الذي خلقك، وسواك، وجعلك كما ترى ؟ وكيف تستحيل رؤيته وهو تعالى يقول : وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة[171] ؟ وإياك يا مسكين من مذهب المعتزلة، الذين أحالوا الرؤية في الدنيا والآخرة، الدنيا مخلوقة، والآخرة مخلوقة، ليس هنالك بينهما فرق، إلا في الطهارة، أهل الجنة طاهرون، وكذلك الأولياء رضي الله عنهم طهرهم الله في الدنيا، من كل صفة مذمومة، وأفاض عليهم كل صفة محمودة، الأولياء رضي الله عنهم، نظروا إلى السماوات والأرض بقلوبهم، فوجدوها فانية، فرفضوها، ورجعوا إلى أسمائه فوجدوها باقية، فلما نظر إليهم مولاهم، فلم يجد في قلوبهم سواه نظر إليهم بعين الفضل والافضال، فتجلى لهم بنوره، وسره، فرأوه بأنواره، وأسراره، لا بأجسامهم وصفاتهم، ثم قال : لولا رؤيته ما تنورت القلوب بمعرفته، ولا درجت العقول في أسمائه، ولا تنورت البلاد بأنوار أوليائه، وقال : كيف لا أشاهده وأنا اغترف من بحر صفاته، واستمد من أسمائه، واشتغل بذكره، آناء الليل وأطراف النهار ؟ ولقد سألت قلبي عن رؤية الحق سبحانه وتعالى، فقال لي : رؤيته جائزة بصفاته وأسمائه، وذاته، ثم قال : إن رأيته بقلبك ونورك، كنت من الصالحين الواصلين، وإن رأيته في عبادتك كنت من أهل الحظوظ، ثم قال : ورؤيته سبحانه لا يحملها إلا قلوب العارفين، ثم قال : ما فضل بني آدم على الملائكة إلا برؤيته، ثم قال : فإذا رسخ في قلبك نور اليقين، ونور الاخلاص، كيف لا تراه، وكيف لا تتلذذ بمناجاته ؟ وقال أيضا : يرى سبحانه من كل جهة ومكان، وبكل جارحة إنسان، يرى في الدنيا والآخرة، لولا رؤية الدنيا ما كانت رؤية الآخرة، ورؤيته في الدنيا لا ينالها إلا من ترك جميع الحظوظ والمقامات والمعاني وجميع الأسباب الظاهرة والباطنة، رؤيته لا تنال بالتعليم[172]، ولا بالمواهب، ولكن تنال

(171) سورة القيامة الآية 23.

(172) خ : التعلم.

بالعلم به والسر سبحانه، ثم قال : رؤيته سبحانه تكون بجميع الجوارح، فلا يرى العبد مولاه حتى يلقي عليه أنوار العز، وأنوار الشرف، وأنوار السر، وأنوار القلب، وأنوار الفناء، فإذا كان على هذه الصفة فإنه يراه في الدنيا والآخرة، ومن لم يفرق بين هذه الأنوار، وهذه المقامات، فإنه لا يراه في الدنيا، ولا في الآخرة، انتهى. ويقولون ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله، وبعده، أو فيه، أو معه، أو عنده، إلا أن هذه الرؤية رؤية في مظهر، ومن مصطلحهم رؤية القلب ورؤية الروح ومعاينة عين القلب، ومعاينة بعين الروح ومن كلام سيدنا علي كرم الله وجهه فيما روي عنه ولم ينكر.

رأيـت ربـي بعيـن قلبــــي فقلت : لاشك أنت أنـــت(173)

وقال عبد الله(174) بن عمر : لعروة بن الزبير(175) رضي الله عنهم، وقد كلمه عروة في أمر، وهما في الطواف، فلم يكلمه، إنا كنا نتراءى الله بين أعيننا، ثم الخلاف في وقوع الرؤية بالبصر في الدنيا لغير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الأنبياء، وكذا الأولياء معلوم، وقد نقل بعضهم عن طبقات السبكي الكبرى، أنه ذكر في ضمن حكاية، وتشتمل على تحقيق التجلي، كلاما حاصله : أن الشيخ قطب الدين الأردبيلي، قال في الفرق بين رؤية الله بالبصر في الدنيا، وبين الرؤية في الآخرة، إنه في الآخرة معلوم الوقوع للمؤمنين وفي الدنيا لم يثبت وقوعه إلا للنبي صلى الله عليه وسلم، ولبعض ذوي المقامات العلية، هذه عبارته، ذكر ذلك في ترجمة أبي تراب النخشبي(176) إلا أن الذي نقل غيره عن الأردبيلي في الأنوار أنه قال : ولو قال إني أرى الله عيانا في الدنيا ويكلمني شفاها، كفر، نحوه نقل عن الكواشي(177) في تفسيره في

---

(173) هـ : نظرت.

(174) عبد الله بن عمر بن الخطاب، صحابي جليل نشأ في الإسلام، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وشهد فتح مكة، أفتى الناس ستين سنة، غزى إفريقية مرتين، كف بصره في آخر حياته بلغت عدد الأحاديث التي رواها 2630 وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة، ولد في السنة العاشرة قبل الهجرة، وتوفي سنة 73.

(175) عروة بن الزبير بن العوام، الأسدي القرشي، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان عالما كريما صالحا، لم يدخل في شيء من الفتن، انتقل إلى البصرة ثم إلى مصر، فتزوج وأقام بها سبع سنين، وعاد إلى المدينة فتوفي بها، وهو أخو عبد الله بن الزبير، وتوفي سنة 94 وقال البخاري عام 99.

(176) هو عسكر بن الحصين النخشبي أبو تراب شيخ عصره، في الزهد والتصوف اشتهر بكنيته، أخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل، وآخرون وقف 55 وقفة بعرفة ومات بالبادية سنة 245.

(177) أحمد بن يوسف بن الحسن الموصلي الكواشي شافعي، كان يزوره الملك فلا يقوم ولا يعبأ به من مؤلفاته تفسير القرآن، المعروف بتفسير الكواشي كف بصره لما بلغ السبعين ولد عام 590 وتوفي عام 680هـ.

سورة النجم والمهدوي المفسر، قيل : وقد نقل جماعة الاجماع على أنها لا تحصل للاولياء في الدنيا وقال ابن الصلاح(178) وأبو شامة :(179) إنه لا يصدق مدعي الرؤية في الدنيا يقظة، وقال الشيخ أبو بكر الكلاباذي في التعريف : إن المشايخ أطبقوا على تضليل مدعيها، وتكذيبه، وصنفوا في ذلك كتبا ورسائل، وزعموا أن من ادعى ذلك لم يعرف الله تعالى، وأقره العلاء القونوي(180) في شرحه على ذلك وقال : وإن صح عن أحد من المعتبرين وقوع ذلك، فيمكن تأويله، وذلك لأن غلبات الأحوال تجعل الغائب كالشاهد، حتى إذا كثر اشتغال السر بشيء واستحضاره يصير كأنه حاضر بين يديه، وهذا معلوم لكل أحد، وعلى هذا يحمل قول ابن عمر رضي الله عنهما في الحكاية المنقولة عنه كنا نتراءى الله في ذلك المكان، وهذا يدل على أنه قد يتفق ذلك في زمان دون زمان، ومكان دون مكان انتهى. وحكاية مريد أبي تراب النخشبي الذي ادعى رؤية الله عز وجل، فلما رأى أبا يزيد البسطامي(181) رضي الله عنهم، صعق فمات معلومة، وقال أبو يزيد لأبي تراب كان صاحبك صادقا واستكن في قلبه سر، لم يكشف له بوصفه، فلما رآنا انكشف له سر قلبه، فضاق عن حمله، لأنه في مقام ضعفاء المريدين، فقتله ذلك، وحكاية الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني(182) رضي الله عنه مع بعض مريديه مشهورة وذلك أنه قيل له : إن فلانا لبعض مريديه يقول : إنه يرى الله عز وجل بعيني رأسه. فاستدعى به، وسأله عن ذلك. فقال : نعم، فانتهره، ونهاه عن هذا القول، وأخذ عليه ألا يعود إليه، فقيل امحق هوام مبطل ؟ قال : هو محق ملبس عليه، وذلك أنه شهد ببصيرته نور الجمال، ثم خرق من بصيرته إلى بصره، فنفذ، فرأى بصره ببصيرته، وبصيرته يتصل شعاعها بنور شهوده، فظن أن بصره رأى ما شاهدته بصيرته، وإنما رأى بصره ببصيرته فحسب. قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان(183)، وإن الله تعالى يبعث بمشيئته على يد ألطافه أنوار

---

(178) عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري من المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال ولاه الملك الاشرف التدريس بدار الحديث بدمشق من مؤلفاته المطبوعة : معرفة أنواع علم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، والامالي والفتاوى، وشرح الوسيط في فقه الشافعية، ولد عام 577 وتوفي عام 643.

(179) أبو شامة إبراهيم المشتراني، ولد سنة 910.

(180) علي بن إسمعيل القونوي فقيه من الشافعية ولد بقونية ونزل بدمشق، وانتقل إلى القاهرة فتصوف وتلقى علوم الأدب والفقه ثم ولي القضاء في الشام وبها توفي ولد سنة 668 وتوفي سنة 727.

(181) طيفور بن عيسى البسطامي زاهد مشهور، ومن المستشرقين من يرى أنه كان يقول بوحدة الوجود، ولد سنة 188 وتوفي سنة 262.

(182) انظر التعليق رقم 59.

(183) سورة الرحمن الآية 20.

جماله، وجلاله إلى قلوب عباده فيأخذ منها ما يأخذ الصور من الصور ولا صور، ومن وراء ذلك رداء كبريائه، الذي لا سبيل إلى اختراقه انتهى، قال سيدي عبد الرحمن الفاسي رضي الله عنه : وهو محمل ما يشاكلها من الإطلاقات، وفيه كشف عن غور فروض التجليات، والله أعلم انتهى. وفي شرح البكي على الحاجبية بعد تكلمه على جواز الرؤية، ثم بعد جواز الرؤية اتفقوا على الوقوع في الجنة، واختلفوا هل الوقوع مخصوص بالآخرة وهو قول جماعة، وأحد قولي الأشعري(184)، وظاهر قول مالك، أو غير مخصوص بل يقع في الدنيا، وهو قول الكثير من السلف والخلف، من أهل الحديث والتصوف، والنظر، وإذا قلنا بأنه غير مخصوص بالآخرة، فهل هو مخصوص بالأنبياء أو غير مخصوص، بل يجوز الولي، قولان للأشعري، وعلى أنه مخصوص بالأنبياء فهل هو مخصوص بنبينا صلى الله عليه وسلم، أو غير خاص، بناء على أن موسى عليه السلام رأى ربه أم لا، ثم قال : والحق أنه عليه السلام رآه، وإن ذلك مخصوص به، دون سائر الأنبياء، ثم هل يجوز ذلك لأولياء أمته على سبيل الكرامة، وطريق التبعية في ذلك قولان للأشعري، وأكثر أهل التصوف، خصوصا المتأخرين على أن ذلك يجوز كرامة، وكرامات أولياء أمته معجزة له صلى الله عليه وسلم، وإلى لطيف هذه الكرامة أشار الأشياخ رضي الله عنهم، بالروزنة، والكوخة، والباب، وقاب قوسين، أو أدنى، إلى غير ذلك كما هو في إشارتهم، انتهى. وقال الشيخ زروق في شرح قواعد العقائد : إن قول الأشعري بإثبات الوقوع في الدنيا ونفيه حكاهما القشيري(185)، ولم يوجد القول بإثبات الوقوع لغيره، فيحتمل أن يكون النفي رجوعا عنه، والحديث يعني حديث مسلم (وإن أحدا منكم، لن يرى ربه حتى يموت)(186) نص فلا يعدل إلى غيره، واختار عياض(187) وغيره في حقه عليه السلام الوقف لعدم القاطع

---

(184) هو علي بن اسمعيل ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري، مؤسس مذهب الأشاعرة، كان من الأئمة المجتهدين، ولد بالبصرة وتلقى اراء المعتزلة وبرع في مذهبهم ثم جاهر بخلافهم بلغت مصنفاته نحو من 300 ولد سنة 260 وتوفي سنة 334.

(185) عبد الكريم بن هوازن القشيري الشافعي ولد سنة 376 وتوفي 465 بنيابور، ودفن قرب شيخه الحسن النيابوري المعروف بالدقاق، قرأ الأدب في صباه ثم اختلف إلى شيوخ التصوف والفقه والأصول والحديث حتى صار إماما فيها من كتبه : الرسالة القشيرية وقد شرحها زكريا الانصاري.

(186) الحديث رواه الامام مسلم في باب الفتن.

(187) أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم، وأيامهم، ولي قضاء سبتة وغرناطة ودخل فاس وسكن دار الفرديس بحي زنقة حجامة، وكان إماما بمسجد درب حجر النار بفاس، وفيه ألف كتاب الشفاء، وتوفي بمراكش وقبره مشهور هنالك. ولد سنة 476 وتوفي 544 من كتبه : ترتيب المدارك الذي طبعته وزارة الأوقاف وألف المقري كتاب : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض الذي طبع أخيرا في خمسة أجزاء.

انتهى، ثم إن الرؤية معلوم أنه ليس لها محل مخصوص عقلا، وإن جرت العادة بخلقها في العين، ولم تسم رؤية لأنها في العين إذ لو خلقت في الجبهة لكانت رؤية، بل لأنها غاية في الكشف، وقد حمل على رؤية القلب رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه تعالى ليلة الاسراء، وجمع به أيضا بين قول من نفى رؤيته لربه سبحانه وتعالى، وقول من أثبتها. ثم إن المعرفة والمشاهدة التي في الدنيا، هي التي تنقلب رؤية بالبصر في الآخرة، ولا تنال في رؤية الآخرة، ولا في الاعتقاد والمعرفة الاستدلالية في الدنيا، ولو امتنع في حق الحادث رؤية القديم، بلا مثال، كما حكي عن الشيخ الهبطي، لامتنع في الدنيا والآخرة، وفي اليقظة والمنام، إذ ما بالحقيقة لا يختلف، والروح المدركة هي هي، ولم ينحصر الأمر في المثال في رؤياه تعالى في المنام، ولم يرد توقيف بالتفرقة، في ذلك بين الدنيا والآخرة وإنما ورد بها في الرؤية البصرية، فتقع في الآخرة لا في الدنيا، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن أحدكم لن يرى ربه حتى يموت، وإذا لم تنتف إلا رؤية البصر في الدنيا بقي ما عداها على أصل الجواز ، وفي كلام منقول عن سيدي يوسف الفاسي، رضي الله عنه : كل ما يتجلى للعبد إذا وقع بينه وبينه حجاب، يبقى له شيء ما من التمثيل في صدره إلا الله تبارك وتعالى فإنه إذا تجلى العبد، ثم إنه تعالى أوقع الحجاب على العبد لم يبق له تمثيل البتة، ولو في رؤية دار النعيم انتهى، وظاهره أنه منطبق على تجلي الدنيا والآخرة، ولذلك أغيا بقوله : ولو في رؤية دار النعيم، فيشمل غيرها الدنيا والموقف، ولو كانت رؤية الدنيا بالمثال، لبقي لها تمثيل والله أعلم، وقال الشيخ سيدي عبد العزيز القسمطيني(188) رضي الله عنه في مراسلاته : وما ذكرت أن الحق لا يرى إلا في مظهر، فهو تحكم، لأن المظهر يشعر بالجهة، وبالحد والمكان، وغير ذلك، وتلزم هذا لوازم يطول ذكرها انتهى، وما بعده فيه تصحيف في النسخة فتركته، ثم لو صح الحصر ، وأنه لا يرى في مثال، لكان إطلاق القول بأن رائي المثال بقلبه رأى الله به صحيحا، لا حرج فيه، ولا درك على صاحبه، لكونه متداولا بين أهل الطريق فحمله معلوم عندهم، فلا ابهام فيه، وقد ورد النقل بإطلاق الرؤية على رؤية المثال، وصحح ذلك النقل، وهو على طريق التشبيه، أي كأنه رأى الله، انظر النفخ والتسوية لحجة الاسلام الغزالي(189) رضي الله عنه، وفي المواهب

---

(188) هـ : القسنطيني بالنون عوضاً عن الميم.

(189) حجة الاسلام أبو حامد محمد الغزالي ولد في طوس 450 وأخذ عن إمام الحرمين الجويني بنيسابور فبرع في جميع العلوم وعلى رأسها المنطق والفلسفة، وناظر العلماء فأفحمهم، وانقطع للعبادة واعتزل ثم عاد التدريس والوعظ في خانقاه للصوفية، وتلاوة القرآن وإدامة العبادة توفي 505 ألف أكثر من 46 كتابا منها إحياء علوم الدين والمنقذ من الضلال.

اللدنية للشهاب القسطلاني(190) بعد أن ذكر قصة مريد أبي تراب النخشبي(191) الذي كان يدعي رؤية الحق سبحانه، وتجليه تعالى له، في كل يوم مرات، وشهادة أبي يزيد له بالصدق، في ذلك رضي الله عنهم، واصطلاح أهل الطريق في التجلي معروف، وحاصله رتبة من المعرفة جلية علية، ولم يكونوا يعنون بالتجلي رؤية البصر التي قيل فيها لموسى عليه الصلاة والسلام على خصوصيته لن تراني، والتي قيل فيها على العموم، لا تدركه الأبصار، وإذا فهمت أن مرادهم الذي أثبتوه غير المعنى الذي حصل منه الناس على اليأس في الدنيا، ووعد به الخواص في الآخرة فلا ضير بعد ذلك عليك، ولا طريق لسوء الظن بالقوم إليك، والله يتولى السرائر انتهى، ملخصا هذا لفظه. هذا ما تيسر من نصوص القوم وذكر اصطلاحهم في المسألة، وما ظهر لي في ذلك، والله أعلم، ثم جلالة الشيخ الهبطي رضي الله عنه، مع ما ذكر لا تنكر، وفضله وجده في الدين، لا يجهل، ولا وقع منه ما وقع في ذلك إلا شدة في الدين وغيرة عليه، وحماية له، وإنقاذاً لأخيه، على حسب مبلغ علمه، ونيته، ولا يكلف الله نفسا إلا ما أتاها، وإنما الأعمال بالنيات، وما اتفق له مع شيخه، ليس بسلب، قطعا، والله يعاملنا بما هو أهله من العفو والغفران، ولا يعاملنا بما نحن أهله من العقاب والخسران، بمنه وكرمه، ورأيت لصاحب الترجمة سيدي محمد الطالب رضي الله عنه شرحا على تائية الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ونفعنا به، وله غير ذلك.

40) أبو الحجاج يوسف بن الحسن التليدي

ومنهم : الشيخ أبو الحجاج، وأبو يعقوب يوسف بن الحسن التليدي الشيخ الكامل، الجامع الرباني، وقيل : انه وارث الشيخ الغزواني قال في الدوحة : كانت له شهرة عظيمة، وزاويته حيث ضريحه، بقبيلة بني تليد من قبائل غمارة، على مسيرة نصف يوم من مدينة شفشاون، من ناحية الغرب، كانت ترد عليه الوفود والآلاف من الزوار والمريدين، ويطعم كلا على حسب شهوته، وذلك في كل ليلة، وكان له قبول عظيم، في قلوب الخلق، رأيته مرة وهو بشفشاون وقد خرج يشيعه الناس، وفيهم الوزير أبو سالم إبراهيم بن راشد يعني الشريف العلمي السلامي، والقاضي ابن الحاج، وغيرهم من رؤوس الناس، ومساكينهم، وهو يذكر الله تعالى مع تلامذته جهرا، بالمناوبة، على عادة الفقراء، والوزير والقاضي ومن معهما حفاة، ورؤوسهم مكشوفة، أدبا مع الشيخ والمريدين، لهم شهيق وزفرات، وكانت القبائل تفد عليه، رجالا ونساء، وكان رحمه الله كثير الكتب للنواحي يأمر الناس بالتوبة، ويشوقهم في الاطلاع على الكرامات،

(190) أحمد بن محمد القسطلاني المصري الشافعي ولد سنة 851 وأخذ عن الشهاب العبادي وغيره حج وجاور بمكة توفي 923 من مؤلفاته المواهب اللدنية وشرح البخاري.

(191) انظر التعليق 176.

ويشير كثيرا إلى مقام الافراد من الأولياء، ثم قال : رأيته رحمه الله وأنا دون البلوغ، فدعا لي بخير، وكان يحفظ كتاب الله تعالى، وتوغل في طريق التصوف وله كرامات، أخبرني بالكثير منها رجال صالحون من أكابر أصحابه، منهم أبو علي الحاج منصور ابن عبد المنعم(192)، وأبو الحسن علي المعروف بالشلي الشريف(193)، وأبو عبد الله محمد بن الحسين الفزنكاري(194)، وأبو عبد الله محمد الأندلسي(195)، وأبو العباس أحمد بن عمر الأندلسي(196) وكان رحمه الله ممن وضع له القبول في الأرض، وتوفي في حدود الخمسين، يعني من القرن العاشر، ودفن بزاويته، ولم يعقب، وحبس جميع أملاكه على الفقراء والمساكين، وترك الألاف من تلامذته انتهى. وذكره المشار إليه الذي كان يذكره مع تلامذته جهرا بالمناوبة هو : لا إله إلا الله على ما بلغنا، وأنه الذي أورث ذكرها. والاكثار منها، بتلك النواحي، على طبوعها المعهود هناك، ووجد بخطه رضي الله عنه : يوسف بن الحسن بن عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان إلى آخر نسب سيدي محمد بن سليمان الجزولي، فظن بعض الناس من بني عمه من بني تايد أنه شريف، فصار ينتسب للشرف، وإنما مراده بعبد الله الغزواني، وبعبد العزيز التباع، وبمحمد بعده سيدي محمد بن سليمان الجزولي، ثم ذهب ذلك مع نسبه الطيني لكونه متصلا، ولم يذهب مع النسب الديني لما فيه من الانقطاع في مواضع، وذكر والده الحسن للتعريف، فهو بمثابة قولك التليدي، ومن كلامه رضي الله عنه ماه الفقير إلا صوفي.. ويكون تابع للسني، ويكون زاهد في الدنيي، هذاك هو مولى عيني.. بكسر نون السني، وياء الدنيي.. والمراد السنة والدنيا، على لغة بلاده في كسر الحرف المفتوح آخر الكلمة.

41) أبو محمد عبد الوارث اليلصوتي(*)

ومنهم : الشيخ أبو البقاء وأبو محمد عبد الوارث بن عبد الله هكذا في الدوحة والمرءاة وغيرهما، وفي التحفة ابن موسى بدل ابن عبد الله اليلصوتي الامام العالم السني العارف الجامع لأوصاف المشيخة، قال في الدوحة : أصله من بني يلصو من قبائل غمارة، على مقربة من قرية شفشاون، ويقال أن يلصو هذا جده هو يلصو بن عبد الله ابن ابان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم ذكر أنه صحب صاحب الترجمة سبع

---

(192) ترجمه المؤلف تحت رقم 115.
(193) ترجمه المؤلف تحت رقم 108.
(194) ترجمه المؤلف تحت رقم 111.
(195) ترجمه المؤلف تحت رقم 149.
(196) ترجمه المؤلف تحت رقم 113.
(*) انظر الملحق الثالث.

سنين، ونيفا، وقرأ عليه رسالة ابن أبي زيد، وأرجوزة ابن سينا، والمباحث الأصلية، ورائية الشريشي، وعلم المعاملات ثم قال : وكان رحمه الله كبير الشأن، غزير المعرفة، ألف في طريق القوم تآليف عديدة، وشرح المباحث الأصلية شرحا عجيبا، أخذ عن شيوخ عدة، وكان اعتماده في طريق الفتح على الشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني، فإنه أخذ عنه، وكان من كبار أصحابه، ثم قال : وكان له أتباع ظهرت عليهم دلائل النجاح، وكان رحمه الله غاية في طريق التربية، ولقد رأيت واحدا من أصحابه، وقد زجره عن الكلام، وأمره بالسمت فالتزم الصمت، ولم يتكلم إلى أن مات، ومن كلامه في هذا الغرض قوله :

فمن سرى سره في سر تلميـــــذه ... ها ذاك هو، فلا تبغي به بدلا(197)

وظهرت له رحمه الله ورضي عنه كرامات كثيرة، وكان الغالب عليه الخمول، وقد استدعاه السلطان للقائه في جملة المشايخ من الفقهاء والفقراء سنة ست وخمسين من القرن، فتخلف، ولم يحضر معهم، واستمر على حاله في ترك ملاقاة الأمراء، ولم يرفع إليهم حاجة من حوائجه وحوائج غيره، إلى أن توفي رحمه الله، لأنه كان يرى أن الفساد في لقائهم أكثر من الصلاح، ولذلك لم يتعرض لهم بشيء، وإذا قدم لفاس طلب الخفاء في دور أصحابه من الفقراء، حتى يقضي أربه، وينصرف إلى بلاده، وكان رحمه الله ينشد في هذا الغرض كثيرا قوله :

قسمت يمينا لا أكفر بعدهــــا ... لغير أبي حفص لم يرض بدولــة
ولــــن يــــات إلا ظـــالـــم ... وليس يزيد الأمر إلا في شدة(198)

توفي رحمه الله، ورضي عنه في حدود السبعين من القرن، وقبره معروف بموضع يقال له بني دركول(199)، على مقربة من نهر ورغة، وقد نيف على تسعين سنة انتهى.

وفي المرآة : أخبرني شيخنا أبو عبد الله النيجي، أنه ولد سنة ثمان وثمانين وثمانمائة، وتوفي سنة إحدى وسبعين وتسعمائة بتازروت(200) وبها قبره يزار ويتبرك به، أخذ عن الشيخ أبي النجا سالم الرداني الشاوي، والشيخ أبي عبد الله الصغير السهلي، والشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني، وأما الشيخ أبو النجا فقرأ عليه وانتفع به في أول أمره، وكان الشيخ أبو النجا إماما بمسجد تلا وغراس(201)، وهو الذي أقام

(197) بيت مكسور الوزن، وورد في النسختين كذلك.
(198) بيتان مكسوران واردان في النسختين هكذا.
(199) بني دركول من فخذة أولاد قاسم ببني زروال.
(200) خ : بتامزررت.
(201) تلا وغراس من المداشر المهمة بفخذة أولاد قاسم بقبيلة بني زروال وبه يوجد ضريح سيدي محمد النيجي.

الجمعة به، وكان كتابه في الفقه المدونة، وكان أولا يقرأ في المدرسة العنانية، فلما نزل الشاوية الغرب، خرج من فاس خائفا وذلك في أيام الحفيد، وأخذ عن الشيخ سيدي مالك بن خدة، ولم يحضرني الآن سنده، ثم قال : وأما الشيخ أبو عبد الله الصغير السهلي، فصحبه بعد الشيخ أبي النجاء عشرين سنة إلى أن مات، ثم ذكر أن صحبته للشيخ الغزواني كانت عند قدومه إلى فاس، عن أمر السلطان محمد البرتقالي الوطاسي، وكان سيدي عبد الوارث إذ ذاك ساكنا بفاس، وقد تقدم لفظه في ترجمة الشيخ الغزواني رضي الله عنهم ونفعنا بهم.

42) أبو الحسن علي بن عثمان البروثني :

ومنهم : الشيخ أبو الحسن علي بن عثمان البروثني قال في المرءاة : هو من كبار أصحاب الشيخ أبي محمد الغزواني، وفي الدوحة الشيخ العميد، الولي الشهيد، صاحب السر المكنون، المدد من عالم الأمر الذي مدده من قوله : «كن فيكون» أبو الحسن بن عثمان الشاوي، نزيل بني بروثن كان رحمه الله من الأولياء، وظهرت على يده خوارق وكرامات أخذ عن الشيخ سيدي أبي محمد عبد الله الغزواني، وكان الشيخ يسميه بشمس الضحى، وكان له صوت عجيب إذا تلا القرآن أو ذكر الله تعالى، لا يتمالك من سمعه، استشهد رضي الله عنه في وقعة الحومر، التي كانت في حدود الأربعين، بين النصارى، والقائد عبد الواحد بن طلحة العروسي[202]، على مقربة من أصيلا[203]، حدثني غير واحد ممن يوثق به ممن حضر الوقعة، وبعضهم يصدق بعضا، قالوا لما هزم الناس، استقبل الشيخ أبو الحسن النصارى وسيفه في يده، وهو يتلو البردة بردة البوصيري[204]، فكان ذلك آخر العهد به، ولما رجع الناس من الغد، ليحملوا قتلاهم، لم يوقف له أحد على عين، ولا على أثر، وإنما وجد غنباز[205] زمن لباسه عند النصارى، وفيه أثر طعنة في صدره انتهى.

وقال سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي فيما وجدته بخطه بعد تسميته : وقد قتل

---

(202) العروسي من أمراء بني عبد الحميد العروسيين أصحاب قصر كتامة. وكانت لهم رياسة وسياسة وجهاد في العدو إلى أن انقرض أمرهم أعوام الخمسين وتسعمائة ذكره في الاستقصاء جـ 4 صفحة 152 ورجح أن الوقعة كانت سنة خمس وعشرين وتسعمائة.

(203) مدينة على الشاطئ الاطلنتكي بين طنجة والعرائش احتلها البرتغال، ثم الأسبان، وحررها المولى اسمعيل ولازالت بها عدة آثار إسلامية، وبرتغالية.

(204) محمد بن سعيد الصنهاجي البوصيري، شاعر مصري وأصله من المغرب وفاته بالاسكندرية له ديوان شعر وأشهر شعره البردة والهمزية، وعارض بانت سعاد بقصيدة مطلعها، إلى متى أنت باللذات مشغول ولد عام 608 وتوفي 696.

(205) غنباز ثوب مغربي من صوف.

شهيداء ورفع، وأمره شهير انتهى وفي المرآة : ومات في حياة شيخه شهيدا في الجهاد سنة خمس وعشرين وتسعمائة انتهى وفي التحفة بعد ذكره : بلغ الكثير من الصلاح، وكان له تباعة عظيمة انتهى وفي الدوحة(206) أعجوبة اتفقت له مع تلميذه أبي علي، الحسن السريفي، وذلك أن السريفي المذكور أخذ عنه، وأقام في خدمته مدة من السنين، إلى أن اشتهر حاله، وانتشر صيته، وكثر أتباعه، فانتقل إلى موضع يقال له أبو بين فعمر سوقه، وشاع في المغرب خبره، وظهرت على يده كرامات لا تحصى، فرأى أنه أبلغ من شيخه، وأنف من الانتساب إليه، وذهب إلى مراكش مع تلامذته، للأخذ عن شيخ شيخه سيدي أبي محمد الغزواني، فلقيه وانتسب إليه، وترك النسبة إلى شيخه أبي الحسن، ولما رجع إلى بلاده، أقام الشيخ أبو الحسن مدة ينتظر زيارته له، فلم يأته، فقال لأصحابه : اعزموا على السفر إلى زيارة الشيخ أبي محمد عبد السلام بن مشيش، بجبل العلم، ويكون جوازنا على صاحبنا أبي علي، فلما جازوا عليه نزل الشيخ أبو الحسن بالمسجد الأعلى من مساجد المدشر، وبعث إليه فلم يأته، وبعث إليه بالطعام، فقال الشيخ أبو الحسن لأصحابه : قوموا بنا، ولا تأكلوا شيئا من هذا الطعام، إنما جئنا للأمانة التي كانت لنا ها هنا، وقد حملناها، فانصرفوا، ثم رأى السريفي فيما يرى النائم أن قمرا خرج من صدره، وصعد إلى السماء، وكان ذلك سبب سلب الحكمة عنه، فما اجتمع إليه بعدها اثنان، وبقي على ذلك إلى أن مات، ولما بلغ ذلك الشيخ سيدي أبا محمد الغزواني، قال : ذلك جزاء من يكفر بإحسان صاحبه انتهى، ومثل هذا ما وقع لسيدي أبي عمر المراكشي، مع رجل آخر من شفيرن، قبيلة من البربر، وذكر لي بعضهم أن اسمه سعيد، وآخر، أنه ابن سعيد، وكان بفشتالة وكان خدمه، وظهرت عليه بركته واشتهر ذكره، ثم إن الشيخ بعث إلى أصحابه بتلك النواحي، أن يجمع من عندهم ما يصلح الدار من زرع وغيره، فأعطى كل ما يسر له وامتنع هذا سعيد، أو ابن سعيد، وقال : هذا الذي عندي متاع الله، لا متاع سيدي أبي عمر، ثم ذهب بعيث الشيخ إليه بما جمع، فجعل الشيخ يسأله عن كل واحد، وما أعطى، وهو يخبره، حتى بلغ سعيدا فأخبره بامتناعه، وبما قال، ووافق ذلك منه أن كانت بيده زوادة مال، أتاه بها من عند سيدي أبي بكر المجاطي الدلائي، وهو ينكثها، فجعل ينكثها، وينفضها، ويقول : ها هو سعيد، هكذا اعمل له، فسلب والعياذ بالله، ولم يبق عليه أثر خير، وذهبت الشهرة، وبقي كذلك إلى أن مات، وفي الحكاية رواية أخرى، وحاصلها من معنى هذه، من أنه أنكر إحسان شيخه، وفضله عليه، فاستفه، وتركه فارغا، وسوقه خالية، وكان رجلان أخوان من علماء فاس وأعيانها يصحبان سيدي يوسف الفاسي، ويترددان إلى زاويته،

---

(206) ح ا وفي المرآة.

من جملة أصحابه، فاتفق أن أتاه غريم، يستعينه على قضاء دينه، وكان يقصد لأداء الديون، وفكاك المأسورين، ونحو ذلك، فبعث رجلاً من يخدمه إلى ناس من أصحابه، ذوي يسار يعطونه، ما يستعين به الرجل على دينه، فذهب إليهم فأعطى كل ما قيل له، وأمر به، حتى أتى على أحد الأخوين، فلما أقبل عليه فرح، ورحب به، فلما قال له : إن الشيخ يأمرك أن تعطي دينارا ليعين من أتاه، يستعينه على دينه، قال له : أنا لا أعطي دينارا وامتنع، وأظهر الكراهية لذلك فانصرف عنه ثم مر بأخيه، فسأله من أين أتى ؟ فأخبره بقصة المدين، واستعانته بالشيخ، وأن الشيخ عين له الذين يذهب إليهم، ومن جملتهم أخوه، وأن أخاه امتنع من إعطائه دينارا فقال له : فأنا أعطي ذلك الدينار، فأعطاه أياه، ثم ذهب إلى الشيخ، فجعل يسأله عن خبر كل من بعثه إليه، حتى أتى على ذكر الفقيه المذكور، فأخبره بامتناعه من الإعطاء، وباعطاء أخيه فقال له : ونحن نطلق فلانا يعني الممتنع، ونمسك فلانا يعني المعطي، فما دخل الممتنع زاويته قط، وما انقطع المعطي عنه قط إلى أن ماتا، وكان رجلان آخران يصحبان سيدي يوسف الفاسي، أيضا فبلغه أن لهما دعاوي عريضة في طريق القوم، فنهاهما عن ذلك، وزجرهما فلم يرتجعا، وبقيا على حالهما، فقال لهما : إن لم تسمعا ما أقول لكما ففارقاني، ولا تعودا تأتياني، فقالا له : أين نذهب ؟ وقد وجدنا الكيمياء، فقال لهما : أنتما اللذان تأتيان، ثم قال لهما : إذا وجدتما ما تجيئان به بعد هذا اليوم، فاعلما أن هذه اللحية - وقبض على لحيته - نبتت على الخلاء، وقال لهما : والله لولا أني أحن منكما لصيرتكما نصرانيين، فما أتيا زاويته، بعد ذلك اليوم قط، ولا استطاعا ذلك، وكان أحدهما يبعث إليه، ويتقدم إليه الله أن يتركه يموت مسلما، وكان بعض الفقهاء الأساتيذ، يتردد إلى الشيخ أبي محمد بن عبد الله الهباج[207]، ويجلس إليه مع أصحابه بمسجد القرويين، فكان يثقل عليه، فأمر الشيخ يوما بعض أصحابه أن يذهب إلى ذلك الأستاذ يعطيه دينارا، فذهب إليه، فدق عليه الباب، فخرج، فلما وجده وعرفه من قبل الشيخ رحب به غاية، وسأله عن الشيخ، وكيف حاله، فقال له : إن الشيخ يقول لك : اعطني دينارا، فتبدل الفقيه، وجعل يقول : حتى إلى هنا، وأنا أضرر حتى أعطي دينارا، إنكارا لذلك، وأغلق الباب في وجه الرجل بمرة، ودخل داره، فذهب الرجل إلى الشيخ، فبمجرد ما أشرف عليه، جعل الشيخ يضحك، وكأنه كان حاضرا معهما، فأخبره الرجل بما كان، فقال له : قد استرحنا منه، فما أتاه بعد، والحكايات في هذا المعنى كثيرة، يطول سردها، ولم ينقطع سيدي عبد الرحمن الفاسي عنه فقيها، كان يأتيه، فيثقل عليه إلا بسؤاله إياه عن خبر من أخبار أهل المدينة، ماذا يصنعون ؟ وكانت مدينة فاس إذذاك في فتنة، وشر، وهرج شديد، فما عاد إليه بعد، وكان من المنكرين لأمره

---

(207) ترجمه المؤلف تحت رقم 110 باسم أبي محمد عبد الله بن احمد الهباج الصبيحي.

إلى أن مات، وكان يحكي الحكاية، ويفتخر بانقطاعه عنه، ويقول ما للولي والسؤال عن مثل هذا ؟ فمن سأل عن ذلك فليس بولي عنده، ولم يعلم بأن أهل الله خلفاء على الخلق، وشفعاء لهم، والخلق عيالهم، ورعيتهم، فهم يهتمون بأمورهم ومصالحهم ويبحثون عنها لذلك.

43) أبو العباس أحمد بن منصور الحيحي

ومنهم : الشيخ أبو العباس أحمد بن منصور الحيحي، مستوطن القصر الكبير، ودفينه بالموضع المعروف بالزاوية، وكان من أهل الولاية والعرفان، وشهد له شيخه في مكاتبة بخطه، سمى فيها جملة من أعيان أصحابه بأنه القطب الخامس، قال سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي :(208) وكان آية في التجريد لم يبت قط على معهود، مع كونه ذا عيال انتهى. ومما يؤثر عنه، أنه رأى إنسانا بكرة، يتهادى قاصدا حانوته، وقد علم أنه ما صلى الصبح إلا بعد طلوع الشمس، فقال له : ما رأيت أقوى منك عناية يا فلان، فقال له : بأي شيء ؟ فقال له : نعم، ما رأيت أقوى منك عناية، فسأله ثانية، فقال له : الناس يتعنون على ناس مثلهم، وأنت تتعنى على الله، وجاءه أنسان يزوره فجعل يكلمه متماوتا بصوت خفي، وهو مطرق الرأس متقنعه، فلا يسمعه فيستفهمه، ويستعيده الكلام، ثم لا يسمعه، فمد الشيخ يده إلى رأسه، فأزال عنه القناع، وقال له : اكشف رأسك، وارفع صوتك، ولا تكن هكذا، فقال له : هذه النفس فيك ياسيدي أحمد ما أقواها ! فقال له : هي التي تتمكن فيك.

44) أبو محمد عبد الله بن ساسي البوسبعي

ومنهم : الشيخ أبو محمد عبد الله بن ساسي البوسبعي بفتح الباء، وهي اللغة المنحرفة في السبع بضمها، قال في المرآة : كان من أكابر المشايخ الأعيان، وجلة المشاهير من أهل هذا الشأن، صحب الشيخ أبا محمد عبد الله الغزواني، وعول عليه، وانتسب إليه، واختصم فيه الشيخان أبو محمد الغزواني(209)، وأبو الحسن علي بن ابراهيم البوزيدي(210)، فقال الشيخ أبو الحسن : أنا أحق به، فقد عينته، وهو في بطن أمه، فقال له الشيخ أبو محمد : أنا أحق به، فقد عينته، وهو في صلب أبيه فاستحقه انتهى. وقال في الدوحة : كان من أهل الخير والفضل والصلاح، له مآثر جمة وأحوال سنية حسنة، وكانت النصارى أسرته بمدينة أزمور (211)، وافتكه المسلمون انتهى، قال

(208) ترجمه المؤلف تحت رقم 160 . وانظر التعليق رقم 77.
(209) ترجمه المؤلف تحت رقم 9.
(210) ترجمه المؤلف تحت رقم 13.
(211) انظر التعليق رقم 18.

في المزواة : وتوفي رضي الله عنه ليلة الجمعة السادس والعشرين من شعبان سنة إحدى وستين وتسعمائة انتهى. وفي الدوحة : ودفن بزاويته على ضفة وادي تانسيفت[212] بمقربة من مراكش وقبره مزارة مشهورة هنالك.

45) أبو زيد عبد الرحمن بن عيسى العلمي المعروف بابن ريسون

ومنهم : الشيخ أبو زيد عبد الرحمن[213] بن عيسى بن عبد الرحمن بن الحسن الشريف الحسني العلمي عرف بابن ريسون، وهي أمه، الولي الجليل، قال في الدوحة : كان ورعا زاهدا، عالما، وغلب عليه التبتل والانقطاع، وظهرت له كرامات، وعرض عليه أمراء بني راشد[214]، يعني شرفاء شفشاون العلميين السلاميين[215]، بناتهم للتزوج بلا تكلف، فلم يقبل منهم، وكان الناس يأتونه بالأموال الكثيرة والحوائج النفيسة، فلا يقبل من أحد شيئا، ويترك الناس الحوائج بفناء بيته، فلا يتعرض لرفعها، ولا لإعطائها، ثم ذكر أنه استوحش من الخلق، حتى لا يراه قريب ولا بعيد، وبيته مغلق عليه أبدا، وفراشه قشور شجر البلوط، ثم ذكر أنه لم يشعر أحد بوفاته، غير أنه هاجت الريح ذات ليلة، في فصل الصيف، واشتد الظلام، وأرعدت الرعود، وترادف البرق، من كل ناحية. ونزلت الصواعق، فخاف الناس بتازروت، وخرجوا إلى المسجد وقالوا : لو افتقدنا هذا السيد، عسى أن يكون حدث به أمر، فجاؤوا إلى البيت، وهو مغلق، فنادوا به، فلم يجبهم أحد، فحاولوا فتحه فلم يستطيعوا، حتى كسروا الباب، فوجدوه على شقه الأيمن ميتا، وهو متوجه إلى القبلة، كأنه نائم رحمه الله عليه، ولما دخلوا عليه سكنت الريح، وهدئت الرعود، توفي في حدود الخمسين، يعني من القرن العاشر، ودفن بجبانة تازروت حوز جبل العلم من بلاد غمارة انتهى.

46) أبو الحسن علي بن عيسى :

ومنهم : أخوه شقيقه السيد أبو الحسن علي بن عيسى، ذكره فيهم حفيده السيد أبو محمد الحسن بن محمد بن علي، وذكر له كرامات، قال في الدوحة : توفي في حدود ثلاثة وستين وتسعمائة، ودفن بجوار قبر أخيه، رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم.

---

(212) تنسيفت نهر عظيم من أنهار المغرب، يسقي حوز مراكش، يصب في الأطلنتكي بين آسفي والصويرة.

(213) خـ : عبد الرحمن بن الحسن بن عيسى.

(214) بنو راشد شرفاء علميون أسسوا الشاون وكانوا أمراءها من سنة 876 إلى سنة 969 وأولهم علي بن راشد ومنهم الأمير ابراهيم امه الى زهرة الاسبانية المسلمة عرف بالذكاء والوفاء والجهاد ومنهم اخته ست الحرة حاكمة تطوان.

(215) خـ : السلمانيين.

47) أبو حفص عمر بن عيسى بن عبد الوهاب

ومنهم : الشيخ أبو حفص عمر بن عيسى بن عبد الوهاب، السيد الشريف العالم العامل، أحد أحفاد القطب الكبير سيدي عبد السلام بن مشيش، منبع طريق الشاذلية، وكان متين الدين، صلبا في الحق، لا يخاف في الله لومة لائم، وصفه الشيخ أبو عبد الله الجزولي في شرح صلاة سيدي عبد السلام، بالسيد العابد الصالح، الزاهد، سني الطريقة، الباحث على تحقيق رسوم الحقيقة، الجبل الثابت البحر الطامث[216].

48) أبو حفص عمر اللواح :

ومنهم : الشيخ أبو حفص عمر اللواح السريفي الولي الكبير، قال سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي، فيما وجدته بخطه : إنه من جلة أصحاب الشيخ الغزواني انتهى. ولعله توفي في أوائل العشرة الثامنة من المائة العاشرة، لكون سيدي عبد الرحمن المجذوب ورثه في آخر أمره، والله أعلم.

49) أبو محمد عبد الله الجابري

ومنهم : الشيخ أبو محمد عبد الله الجابري، قال في التحفة : إنه من الأكابر، وعده في أصحاب الشيخ الغزواني، وفي الدوحة : الشيخ الولي أبو محمد عبد الله الجابري، نزيل قبيلة رهونة [217] وبها قبره، وزاويته، إلى أن توفي في العشرة الثالثة والله أعلم، يعني من القرن العاشر، وكان هذا الرجل من عجائب الدهور، وغرائب الأمور، يلبس كساء صوف، لا يلبس سواه، وعصا بيده، ويمشي حافيا، إذا توجه إلى أمر انفعل له، بقدرة الله تعالى، وكراماته منقولة بالتواتر، وكان رحمه الله إذا هاجت الفتن بالقبائل، يخرج فيدعو الناس إلى العافية، فمن تأبى عنه، أظهر الله فيه اعتبارا بقدرته في الحال، ولم تقم له قائمة بعد، ولما اشتهر بذلك انقاد له الخلائق، فلا يقدر أحد مخالفة أمره، أو رد شفاعته، وكانت إجابة دعوته كفلق الصبح، وكان مع ذلك زاهدا، ورعا، متواضعا، دائب المسكنة، والتقشف، والتبري، من الدعاوي، والركون إلى الله في جميع الأحوال، نادرة من نوادر الأزمان، حدثني عنه غير واحد من الفقهاء والفقراء بعجائب وغرائب كثيرة لا تحصى انتهى.

50) أبو محمد الحسن الجزولي :

ومنهم : الشيخ أبو محمد الحسن الجزولي دفين خارج باب الفتوح، من أبواب

(216) خ : الصامت.

(217) قبيلة بنواحي وزان.

فاس، قال فيه في التحفة : في تعداد أصحاب الشيخ الغزواني : والشيخ الصالح المعاصر لنا، المقيم بين أظهرنا سيدنا أبو محمد الحسن بن عيسى الجزولي، إمام أئمة وقته، ثم قال : وكان راعي دواب الشيخ، فيما أخبرنا بنفسه انتهى. وقال في الدوحة : ومنهم : الشيخ الفاضل الزاهد، المنقطع إلى جانب الله المتجرد عن الدنيا إلى عبادة الله، أبو علي الحسن بن عبد الله الجزولي من أصحاب الشيخ أبي فارس عبد العزيز التباع، ولقي عدة من المشايخ، وكان رجلاً صالحا من أهل الصلاح، والولاية، الخاصة، لقيته بفاس غير ما مرة، وانتفعت به، وكان متخليا عن الدنيا، وصحبة أهلها انتهى. قال بعض الفقهاء : توفي ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شوال، عام اثنين وتسعين وتسعمائة، وقد جاوز المائة انتهى. وذكر وفاته في الدوحة في العشرة السادسة من القرن العاشر، فأخطأ فيها كما يقع له ذلك كثيرا، فلهذا أترك نقل تاريخه في كثير من تراجمه، ولعله أخطأ أيضا في قوله إنه من أصحاب التباع، أما كونه من أصحاب الغزواني فلاشك فيه.

51) أبو الشتاء الشاوي

ومنهم : الشيخ أبو الشتاء دفين آمركو، من بلاد قشتالة التي بقرب نهر ورغة، بينه وبين نهر سبو، ويقال إن اسمه محمد بن موسى، وأنه شاوي النسب، وكان أسمر اللون، وهو من كبار أهل الأحوال الربانية، والجذب ودوام الغيبة، وكان كثير التلاميذ وخرج منه كثير من البهاليل، وأهل الأحوال، وكان وقته كثير البهاليل، فكان يقال إن أكثرهم مستدون منه، لقوة حاله، التي شهد بها مشايخ عصره، فمن بعدهم قال في المرآة : ولم يكن رضي الله عنه يتحدث مع الناس حديثا متصلا، إنما يلتقطون من كلامه كلمات، بعضها يحمل على ظاهره، وبعضها على الإشارة. انتهى. وقيل له رضي الله عنه : من شيخك ؟ ولمن تنتسب ؟ فقال كان عندي الغزواني، يعني كان شيخه، فيما مضى، وأما في زمان السؤال، فلا، يعني أنه طار عن التقيد به غيبة في الحق واستغراقا، وجمعا عليه وحده، ولم تطل صحبته للشيخ الغزواني، فيقال إنه ما لقيه إلا مرة واحدة، بقبيلتهما الشاوية فعينه، ومكنه، فهام على وجهه، فيقال انه دخل طنجة(218) أو سبتة(219) لا

---

(218) تقع طنجة في رأس بوغاز جبل طارق بين البحر الاطلنتكي، والمتوسط، في مقابلة الشاطئ الأسباني، يفصلها عنه 17 كيلومترا، وإليها التجأ المولى إدريس أولا، وعرفت الاستعمار الاسباني والبرتغالي والانجليزي ثم تحررت على عهد المولى إسماعيل وتضم المدينة مآثر تاريخية كثيرة مثل ضريح ابن بطوطة وكهوف هرقل، والقصبة.

(219) سبتة مدينة فينيقية الأصل استوطنها القرطاجيون ثم الرومان ثم الوندال ثم القوطيون ثم العرب وهي ميناء على شاطئ البحر المتوسط في مواجهة جبل طارق في رأس داخل البحر، ومنها توجهت الحملات العربية لفتح الأندلس وقامت بها إمارات بني عصام ثم إمارة بني

أدري، أخذ أسيرا، أو دخلها اختيارا، لغيبته قال، فكان النصارى يكرمونه، ويأتونه بما يأكل، ولا يكلفونه عملا، وإنه دخل فاس، فخمس[220] على سيدي علي حماموش، في حرثه خمس سنين، ثم قال له : حاجتك عند سيدي عبد الوارث، فذهب إليه، وخدمه حتى كان منه ما كان، وأن سيدي عبد الوارث أعطاه عند مسافطته أثاثا، وهي مقص، وإبرة، وحلقة خياطة، وقال إن هذه أمانة تؤديها لصاحبها، يشير إلى ما كان لحفيده سيدي أحمد بن محمد بن سيدي عبد الوارث على يد أبي الشتاء والله أعلم، بما كان من ذلك كله، وثبت أنه كان عند سيدي عبد الرحمن بن ريسون بتازروت من جبل العلم، وأنه عنده كنى بأبي الشتاء في الحكاية المشار إليها فيما يأتي، ولعل ذلك مع دخوله طنجة، كان قبل إتيانه فاس إن ثبت ذلك، ومن كلامه : أوه أوه[221]، حتى يمشي كل شيء لي أوه، الذي بقي داب يتيموا، أو قال يلحقوا أو نحوه، صل صلاتك مرهرة، ويكون قلبك مع الله، والعيب لا تفعلوا، أو قال لا تعلموا، وله البركات الشهيرة التي لا تحصى، والكرامات الكثيرة التي لا تستقصى، ويذكر شائعا أنه ما كنى بأبي الشتاء إلا بسبب أن الناس احتاجوا إلى الشتاء فلجأوا إليه فامطروا في الحال، إلا أن الرواية في ذلك اختلفت، وهذا حاصلها، ومن كراماته : أنه كان يوما جالسا بموضع جلوسه المعروف هنالك، وفرسه بربطه المعروف به هنالك، وإذا به يحمحم فقال لأصحابه : انظروا ما به، فنظروا فلم يجدوا شيئا، ثم جعل يحمحم ثانية، فقال لهم : انظروا فلم يجدوا شيئا ثم ثالثا فقال لهم : انظروا ما بهذا الفرس ؟ فإنه يشكو إلي، فنظروا فوجدوا عنده فلوس دجاج، فأخرجوه وأخبروه فقال : أما يخشى هذا الفلوس عقابا يختطفه، فما تم كلامه حتى انقض عليه عقاب فاختطفه، وهم ينظرون، فصعد به الهواء، فقال : إن هذه لجرأة عظيمة، أيختطفه من قدامي ؟ فإذا به قد أطلقه، فسقط الفلوس إلى الأرض سالما، وشكت إليه ابنته، وهي صغيرة ولدا لبعض أصحابه، كان يضربها ويقهرها، وهو صغير مثلها، فقال لوالده يافلان، ألا تحكم ولدك ؟ وتحجزه عن ابنتي، فإنه خرج في إثرها، فقال له ما أفعل له ياسيدي ؟ فقال له ارمه في الوادي، فما كان بأسرع من قيامه إليه، فاختطفه وذهب إلى وادي ورغة وهو حامل[222] فرمى به فيه وأتى، فقال له الشيخ : ما فعلت بولدك ؟ فقال له رميت به في الوادي، فأخرجه له من تحت جناحه، وقال له أهو هذا ؟ وإذا هو لا بأس عليه، وكان يوما جالسا، فجاءه بعض المدعين الفقر، والمشيخة في أصحابه، وجعل يدعي ذلك بحضرته، ويظهره، فقال له : ادخل رأسك ها هنا،

= المغربي، ونبغ فيها كثير من العلماء مثل القاضي عياض، والشريف الادريسي استولى عليها البرتغال سنة 818 هجرية ثم احتلها الإسبان بعد ذلك ولا تزال بيدهم.

(220) خمس في العرف المغربي عمل في حرث الأرض مقابل خمس الإنتاج.

(221) في ط : أواه، أواه، أواه، ثلاث مرات.

(222) حامل، أي فائض ماؤه.

فأدخل رأسه تحت جناح الشيخ، ثم قال له الشيخ : ما ذاك الذي ترى ؟ فقال خيمتي، فقال : وما ذاك فيها ؟ فقال له زوجتي، فقال له : فما تفعل ؟ فأخبره، وكانت تزني مع شخص، وهو ينظر إليها، وحسبنا الله ونعم الوكيل، فقال له : لم تحض(223) خيمتك، فكيف تحوط أولاد الرجال ؟ قال في المرواة، وكانت وفاته سنة سبع وتسعين وتسعمائة رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

52) أبو محمد عبد الله بن محمد الطنجي المعروف بالهبطي

ومنهم : الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد الطنجي(224) المعروف بالهبطي، أصله من صنهاجة طنجة من قبيلة متنة وكان سلفه بطنجة، إلى أن أخذت سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، فخرجوا منها، وهو من أهل العلم، والعرفان، ورفعة القدر، الواضحة البرهان، وكانت له معرفة تامة بعلوم القوم، وقصد في أول أمره الشيخ أبا عبد الله محمد ابن عبد الرحيم بن يجبش(225) بتازا(226)، فوجده في مرض موته، فأخذ عنه، ثم توفي سنة عشرين وتسعمائة، فتردد بعده في قصد الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف بمليانة، أو الشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني بفاس، وكان يستخير الله تعالى في ذلك، فيسر له قصد الثاني، فقصده بفاس وصحبه، واعتمده، وفتح له على يديه، وكان من أمره ما هو مشهور، فهو شيخه في طريق الفتح، وله معه قضايا وعجائب يستدعي استيعابها أسفارا، وكان مع ذلك شديد التعظيم لسيدي أحمد بن يوسف، وكان الشيخ الغزواني كثيرا ما يحتج بكلام صاحب الترجمة، ويستشهد بنثره ونظمه، لأنه كان أعلم منه بعلم الظاهر، وأبسط عبارة، ومع ذلك، كان صاحب الترجمة يقول : كل ما منحني الله تعالى من العلم ورزقني من الفتح، فهو من بركة سيدي أبي محمد الغزواني، وكانت لصاحب الترجمة مكاتبة، ومراسلة للشيخ أبي عبد الله الخروبي، وكان إذا

---

(223) كلمة عامية معناها تحرس.

(224) خ : أبو محمد عبد الله بن محمد الهبطي المعروف بالطنجي.

(225) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم او ابن عبد الكريم التازي الشهير بابن يجبش أصله من عين الحوت بنواحي تلمسان ومنها قدم سلفه إلى تسول أخذ عن عمه علي، وعن محمد بن عبد الله الزيتوني والقسمطيني توفي سنة 920 وقد ألف أبو بكر الغسيبي كتاباً عنه طبع أخيراً.

(226) تازة مدينة من أقدم المدن المغربية تقع وسط قبيلة غياثة في موقع جبلي، ممتاز بين الأطلس المتوسط وجبال الريف في ممر استراتيجي عظيم أسست سنة 529 في عهد الأمير عبد المومن بن علي الموحدي، قامت بأدوار مهمة في تاريخ المغرب في سائر العصور، وكانت عاصمة أبي حمارة في أوائل القرن الحالي، تقع فوق هضبة مرتفعة نحو 600م تحيط بها الوديان والحقول والبساتين وغابات الزيتون، وتضم عدة مآثر من العصر الموحدي، والمريني، تبعد عن فاس ب 120 كيلومترا، شرقا.

ذكره يثني عليه بالخير، وكان - أعني صاحب الترجمة - آية من آيات الله تعالى في أرضه وعباده، قائما على قدم الجد في الزهد، واتباع السنة، والانزواء عن الدنيا، وتعليم العلم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكانت تلك الجبال التي كان بها وهي جبال غمارة كثيرة الجهل، وشرب الخمر، وغير ذلك من المناكر فبذل الوسع في تقرير التوحيد، وتعليم العقائد، وكان مع ذلك ينصر قول من يرى صحة إيمان المقلد، ويستحسنه غاية، واستفرغ مجهوده في تغيير المناكر، وخاطب في ذلك ولاة البلاد وأشياخ القبائل، ومن له كلمة مسموعة فيهم، ووعظ، وذكر، وبلغ الغاية في الاجتهاد في ذلك، فنفع الله به نفعا عظيما، وهدى به عالما لا يحصى، وحسن حال البلاد وأهلها، وكان أحرص الناس على تعليم عباد الله، ويأمر من لقي بتعليم الأهل والأولاد، والعبيد والإماء، والخدام، ويحض كثيرا على فهم مدلول الشهادتين بل اتخذ ذلك هجيرا وديدنا، لما رأى من استيلاء الجهل على الخلق، وكان لا يترك أحدا من أهله وبنيه، وأصحابه يخرج عن التقشف ويتنطع في الدنيا، ولا يرى أحد من الرجال والنساء بزاويته إلا تاليا، أو ذاكرا، أو متعلما، وكانت سيرته الذكر والذكرى وبذل النصيحة لكافة الورى، وطريقته الخاصة مع خواص أصحابه على المشاهدة والعلوم اللدنية، وكان الغالب عليه الشوق إلى حضرة القدس، يذهب فيه مذهب ابن الفارض، ويستحسن كلامه، سيما تائيته(227) الكبرى فإنها كانت هجيراه انتهى. ممزوجا من الدوحة والمرآة، ثم ذكر صاحب الدوحة أن الشيخ كان يوما جالسا مع جماعة من خواص أصحابه، وكان هو أعني صاحب الدوحة في بيت آخر فيه خزانة كتب، كان يطالعها على أسئلة فقهية قال : فبينما هو كذلك، إذ جاءه أحدهم، وقال له : إن الشيخ يقول لك دع الكتب، وتعال تخترق لك الحجب، قال : فبادرت إليه، فوجدته معهم، وقد ظهر من سر الجمال ما تضيق عنه العبارة، ثم ذكر عن الشيخ سيدي عبد الوارث أنه كان يقول : إن سيدي عبد الله الهبطي، ارتقى إلى أعلى الغاية، وتفجج في العلوم الملكوتية، ولما رجع إلى الخلق، لم يجد مع من يتكلم فيها، فعاد يتكلم في العلوم التي في أيديهم، فظنوا أن ذلك غايته، وله تآليف عديدة، بين منظوم ومنثور، ووجدت في تقييد منسوب إليه مكاتبة، كتبها لأهل دار شيخه، يقول فيها : الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله محمد الكريم، سلام الله الأتم، ورضوانه المبارك الأعم، على من احتوت عليه دار سيدي

---

(227) التائية الكبرى لابن الفارض المسماة بنظم السلوك مطلعها :

سقتني حميا الحب راحة مقلتي ... وكأسي محيا مَنْ عن الحسن جلت

وعدد أبياتها 762. وابن الفارض هو الشيخ أبو حفص عمر بن مرشد بن علي الحموي الأصل المصري، المولد، والدار والوفاة كان جميلا نبيلا حسن الهيئة، حسن العشرة، رقيق الطبع، فصيح العبارة، جوادا، يعشق الجمال، ويحب مشاهدة البحر، قال الذهبي عنه : انه سيد شعراء عصره، وشيخ الاتحادية ولد سنة 576 وتوفي سنة 632.

عبد الله بن محمد الفزواني، من النساء، والأولاد، والخدام، وبعد، مازلت أنهض إلى ما هو واجب علينا من زيارتكم، ولم نجد إلى ذلك سبيلا، لما بنا من كرامة المرض، ولقد هممت في هذا العام بذلك، حتى وصلت إلى فاس، ولم تسمح بذلك المقادر، مع ما بنا من كرامة المرض، ولكن بانساء سيدي، ومن معهن من الخدام شدوا أرواحكم في طاعة الله وتقواه، وخالفوا مراد الطبع وهواه، تظفروا بقرب الله ورضاه، ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره[228] وأنشدكم راغبا من الله في هدايتكم :

وما العيش في الدنيا وإن مر في الهنا — إلا مثل ما يراه الرائي في نومـــة
هنيئــا لمــن لــم يغتــرر بالتخيــل — وأمسى مجدا في مصالح أمـــره
يتوب إلى مولاه في كل لحظــــة — تجديدا وتطهيرا لحلة قلبــة

وكتب مسلما عليكم، وداعيا لنفسه ولكم بخير الخيرين، في كلتا الدارين خديمكم، ووصيفكم عبد الله بن محمد الهيطي انتهى. وفي التقييد نفسه قصيدة له يرثي فيها شيخه يقول فيها :

ألا إنها الأقدار ارمت بنبلهـــا — مقاتل قلبي من قريب بشـدة[229]
ولم تخط من تلك المقاتل مقتـــلا — ولكن أتت على الجميع بسرعــة
فما عيش من منه المقاتل أنفذت — فيا حسرتي ويا عظيم مصيبتي
وما حال من يبقى غريبا بلا أهل — إذا ارتحل الأحباب نحو الأحبة
فمن بعد ما نهواه ناولني الضنا — فكيف وقد نوى بدار بعيدة
بحيث الوصال لا يكون كما نبغي — إلا بعد سكرات الوفاة الصعبية
فيا معشر الاخوان جلت مصائب — بنا خيمت خيامها واستقرت
ودارت جيوش الحزن من كل جانب — فليس لنا منها فرار بحيلة
وقد عسكرت عساكر الهم إذ أتت — حتى نزلت بنا بقوم غليظة
ومن كل فج، أقبلت تركض بلا — فتور لمدة الجنود الكثيـــرة
وقد ضاقت أقطار الفؤاد لما رأى — به من كروب قائمات غزيرة
وعن قلبنا السلوان صار بمعزل — وفي كل جزء منه أعظم كبـــة
وقد أينعت أرض النفوس ينابعا — من الحزن غرقت أسراري وجنتي
كما أمطرت سحائب فوقنـــا — في الدهش وابلا ممزوجا بحيرة
وفي الروح نوح نائح قائلا — بلا سكوت به أيالها من رزية

---

(228) الآيتان 2-3 من سورة الطلاق.

(229) هكذا في النسختين معا، ويلاحظ كسر في أكثرها وكذا الأبيات الثلاثة قبلها.

وفي السر سار أمر يعظم كلما ... تقدم ذكره من هول وفتنة
فيا من بذا قضى وأبرم أمره ... فهب لي القوى لطفا بقدر القضية
وجد بالرضا والصبر يا خير حاكم ... وحسن عزانا في كريم المكانة
مننت بسيدي الغزواني علينا، باكر ... يم، فاحيا منا كل القبيلة
أضاءت بشمس منك شمس فؤاد ... فمدت كواكبا بنور الهداية
أقام بها كما علمت مصافحا ... إليك دعا الناس في خير مدة
وحين حكمت بالغروب لقرصها ... فابق ضياها في النجوم الصقيلة
فمن شيخه الحرار كان خليفة ... فقام مقامه على خير سيرة
ولما قبضته إليك كرامة ... وأنقلته فضلا : إلى خير حضرة
فاظهر لنا من كان منه خليفة ... ونعظمه أو زعير(230) في كل حالة
وأوقف علامه، ومكن رسوخه ... وعامله سر مدا بكل كريمة

انتهى كما وجدته بلحنها، وكسرها، وتصحيفها، وتحريفها، وتوفي رضي الله عنه سنة ثلاث وستين وتسعمائة، قال في الدوحة : وقد نيف على الثمانين سنة، وقال في المراة : قال والده أبو عبد الله محمد الصغير : سألته يعني والده الشيخ أبا محمد سنة ثلاث وستين وتسعمائة عن سنه، فقال لي بلغت السبعين، قال : وفي ذي القعدة من هذه السنة، توفي غدوة الثلاثاء، ودفن يوم الأربعاء، ولم يؤرخ أيام الشهر، وقبره مشهور، بإزاء زاويته بمنزل يعرف بمعاتب، وقد سماه هو، مواهب بحوز شفشاون.

53) أبو النعيم رضوان الجنوي :

ومنهم : الشيخ أبو النعيم وأبو الرضا، رضوان بن عبد الله الجنوي، إمام أهل الزهد، والورع، والعلم، والعمل، على سنن السلف الصالح وحفظ الحديث، وروايته في وقته، ولم يشتهر من أصحاب الشيخ الغزواني من الفاسيين غيره، وكان رضي الله عنه شديد الخشوع، والخشية، كثير البكاء، فكان شيخه أبو محمد عبد الرحمن سقين(231) يسميه رضوان البكاء، وكانت تصدر منه في بعض الأوقات إذا كان في القراءة أو غيرها صيحة تكاد القلوب تنفطر من عظمها لغلبة الوجد عليه، وصفتها : آه، ثم لا يرى بعدها تغير في بشرته، كأنه على حاله، وكان إذا رأيته في مجلسه، قلت إنه شبه النائم،

---

(230) كذا في النسختين ولم نهتد إلى معناها.

(231) هو عبد الرحمن بن علي القنطري السفياني الفاسي المعروف بسقين الفقيه الامام المحدث الراوي المحقق أخذ عن ابن غازي وزروق ورحل إلى مصر والسودان وأخذ علم الحديث عن أصحاب ابن حجر ورجع لفاس وعكف على رواية الحديث وتولى الخطابة والفتوى ولد سنة 873 وتوفي 956.

مما هو فيه من السكينة، والوقار، والهيبة، ومع ذلك لا ترقد منه شعرة، حتى إنه لو غير أحد من أصحابه حرفا أو حركة، تفطن له من حينه، وتكلم عليه متيقظا في دينه، لا يغفل، ولا يفتر، مراعيا لأوقاته، شديد الاتباع للسنة، والمحافظة على آدابها، واستعمال أذكارها، ودعواتها المختلفة باختلاف الأحوال، معمور الأوقات بالذكر، والتلاوة، والصلاة والمطالعة، ويقول : أوقاتنا والحمد لله كلها عامرة، لو قيل لي غدا تموت، لم أزد مستزادا على ما بقي على بالي، من التحفة، شديد الورع في تصرفاته وأحواله، كثير التحرز من الغيبة، ويقول أرجو الله أن صحيفتنا إن شاء الله خالية من الغيبة، على ما في حفظي من التحفة، لا يذكر غائبا، ولا يذكر بحضرته إلا بما اقتضاه العلم بعيدا من الرخص، مقبلا على الجد، مدبرا عن الدنيا، وأهلها، زاهدا فيها متزويا عنها، غير متوسع فيها، ظاهر الهداية مقبول الولاية بريا من الدعوى **(لا يترك أحدا يقبل يده، ويقول ما جزاء من يمد الركبة إلا قطع الرقبة، ويقول : ما يمد يده إلى التقبيل إلا أحد ثلاثة، مأذون، أو مجنون، أو طرمون، ولست بواحد منهم)** ويتبرأ من دعوى الشيخوخة، ويقول لأصحابه المجتمعين عليه : إنما نتعاون على الدين فقط، ولست لكم بشيخ، ويخاطبهم يا أصحابي، ويا إخواني، صادقا في أحواله كلها : إذا فعل فعلا أو قال قولا، فلم يظهر لأصحابه وجهه، سألوه عنه، فأخبرهم، لعلمهم أنه لا يتحرك، ولا يسكن إلا بوجه صحيح، وبالجملة فأوصافه الحميدة لا تحصى، وسيرته السديدة لا تستقصى، وصدق الشيخ أبو عبد الله القصار[232] رحمه الله حيث قال : سيدي رضوان الرجل الصالح، لو أدركه أبو نعيم، لجعله في صدر حليته، أو قال مع أويس القرني[233]، لقي الشيخ أبا محمد الغزواني في صغره، فرشه بغرفة من ماء، فزرعت فيه الخير، وأنبتت فيه خصال البر، وكان ذلك بزاوية باب القليعة[234] ثم إنه انتقل إلى مراكش، فبقي صاحب الترجمة متشوقا إلى رؤيته، متطلعا إلى صحبته، متشوقا إلى زيارته، فلما كبر تهيأ له ذلك في رفقة من زواره، فذهب إليه، وانجمع بهمة عليه، وكان لا يرى غيره، ولا يؤمل إلا خيره، خالي السر من كل شيء سواه، مشغوفا بمحبته وهواه، وقدمه الشيخ للصلاة به، وبقي معه على ذلك نحو الأربعة أشهر، ثم قضى الشيخ نحبه، وبلغ أجله، فبقي بعده بمراكش نحو العام، يقرأ ويطلب العلم، ثم عاد إلى فاس، فوجد الشيخ أبا عبد الله الطالب قد اجتمع عليه الفقراء بزاوية شيخه بباب القليعة، على مقربة من ضريح سيدي علي أبي غالب، فصحبه ولازمه وأقام في الصحبة، مقام شيخه

---

(232) انظر التعليق رقم 10.

(233) أويس بن عامر القرني، أحد النساك العباد من سادات التابعين، أصله من اليمن، يسكن القفار والرمال، أدرك حياة النبي ولم يره، وفد على عمر بن الخطاب وسكن الكوفة وشهد وقعة صفين مع علي توفي سنة 37.

(234) حومة توجد بعدوة الأندلس بفاس تسمى اليوم : راس القليعة.

زمانا طويلا، وفي ملازمته إياه كانت شدة مجاهدته وخدمته، ثم اشتغل بالقراءة، وطلب العلم على شيخه سقين وغيره، وزار في خلال ذلك الشيخ الحاج أبا عبد الله محمد بن علي الشطيبي[235] بموضعه بتازغدرة[236] وأخذ عنه، وكان إذا ذكره يعظم أمره، ويجل قدره، ويكتب فيه شيخنا، وطلبه في النصيحة عند إرادة الانصراف عنه فقال له : الله، الله، في الله، وأخذ أيضا عن الشيخ أبي عبد الله الخروبي الجزائري، وكان يكاتبه بأسئلة في التصوف، فيجيبه عليها، وزار الولي الصالح الشيخ الفقيه أبا عبد الله محمد بن الشيخ أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن محمد بن بكار[237] المعروف بالكبير أعني الشيخ أبا عبد الله بموضعه بالجبل الذي يسمى به، وتوفي الشيخ صاحب الترجمة بمنزله من زنقة العنوز[238] من عدوة الأندلس، من فاس عند العشاء أو قربها من ليلة الخميس ثالث عشر أو الرابع عشر من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وتسعمائة وصلى عليه من الغد لصلاة الظهر بجامع الأندلس، صلى عليه الفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد بن الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني[239]، ودفن خارج باب الفتوح، بأعلى مطرح الجنة وحضر أهل فاس البالي والجديد رجالا ونساء وأمير الدولة، ولم يدفن إلا بعد ما صلى العصر، بعد مشقة عظيمة من الازدحام، ولم يرجع جل الناس من جنازته إلى أن غاب القرص، رحم الله الجميع بمنه، وكرمه، وكانت ولادته سنة اثنتي عشرة وتسعمائة[240] وقد ألف فيه تلميذه أبو العباس المرابي تحفة الإخوان، ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان.

54) أبو العباس أحمد الحداد

ومنهم : الشيخ أبو العباس أحمد الحداد، وصفه في الدوحة : بالرجل الصالح الولي المتواضع، في ذات الله تعالى، الفقيه، ثم قال : كان يحترف صناعة الحديد، وكان

---

(235) هو محمد بن علي بن محمد الشطيبي الأندلسي المعروف بالحاج الشطيبي من مؤلفاته : الإشارة السنية في شرح أرجوزة ابن البناء في التصوف . توفي 963.

(236) تازغدرة قرية قريبة من مدينة شفشاون الموجودة بعمالة تاونات يحيط بها غابات الزيتون والكروم.

(237) خ : البكاري.

(238) زنقة العنوز من أحياء فاس القديمة مازالت تحمل هذا الاسم. قريبة من مسجد الأندلس.

(239) هو محمد بن جلال التلمساني نزيل فاس ومفتيها الفقيه المشارك الخطيب كان ذا تؤدة وسكون وسخاء ولد سنة 908 وتوفي بفاس 981.

(240) في خ : وقيل سنة عشر وتسعمائة.

إماما بمسجد الشرافات من قبيلة بني فلواط(241)، وكان رحمه الله على الغاية في الزهد، والورع، وقيام الليل، والاجتهاد، دخلت منزله سنة خمس وخمسين من القرن، مع شيخنا أبي الحجاج، وجماعة من الفضلاء، فرحب بنا وقرب إلينا كل ما أمكنه من أنواع الطعام، وكان يخدمنا بنفسه، فلما أردنا الخروج إلى المسجد سبقنا إلى باب داره، وقال إني عاهدت الله تعالى على أن لا يخرج أحد ممن دخل منزلي من أهل الخير، حتى يجعل قدمه على خدي، فاستعظمنا ذلك، فعزم علينا، قال الشيخ أبو الحجاج : ساعدوه على مراده، فإنما مراده استصغار النفس والتواضع في ذات الله تعالى، فجعل رأسه على الأرض، وجعل كل منا قدمه على خده، ثم انصرفنا إلى مسجد الشرافات، وهو على ما يقال أحد المساجد التي بناها طارق بن زياد(242) عند الفتح الأول، فلما وصلنا قرب إلينا رجل طعاما، وقد طبخ معه ثوما، فأكلناه، ولم يأكل معنا، واعتذر بأنه لا يأكل الثوم، فلما دخل المسجد، سألناه عن امتناعه عن أكل الثوم، فقال : إني أتيت ليلة في جوف الليل إلى هذا المسجد، فدخلت على هذا الباب القبلية، التي عن يسار محراب الداخل، وكنت أكلت الثوم، في تلك الليلة فلما دخلت وجدت رجلين من الأولياء يصليان، ونورهما قد ملأ المسجد، فلما سلما، قاما يمشيان حتى خرجا من هذا الباب الشرقي، فخرجت خلفهما فلما أحسا بي : وقفا ها هنا، ونعت المكان، فأتيت أقبل أيديهما، وأطلب منهما الدعاء، فقال لي أحدهما، الذي يريد لقاء الرجال، ويدخل المساجد، لا يأكل الثوم، فقلت ياسيدي أتوب إلى الله، أن لا آكل الثوم أبدا، فسلما علي، وانصرفا. فمن ذلك الوقت لم آكلها أبدا، جلست معه رحمه الله مرة بشفشاون(243) وصرت أتكلم معه في التصوف وطريق المواهب، وكنت كثير الحفظ، أقول له : قال الشيخ فلان، وروي عن الشيخ فلان، فقال لي : إلى متى من قال فلان ؟ وروي عن فلان ؟ فماذا أقول أنا وأنت ؟ فقلت ياسيدي : ادع لي، فقال رزقني الله وإياك الفهم عنه، وعلمني وإياك العلم النافع، ثم قال : وله كرامات شائعة مجاب الدعوة، أخذ عن

---

(241) بنو فلواط بالأخماس، شمال المغرب.

(242) طارق بن زياد الليثي بالولاء فاتح الأندلس، بربري الأصل، أسلم على يد موسى بن نصير، فكان من أشد رجاله، ولاه موسى عاملا على طنجة سنة 89 فأقام فيها إلى أوائل 92 ثم جهز موسى جيشا، وولى قيادته طارقا، فعبر بهم البحر، واستولى على جبل طارق، وتداخل في أرض الأندلس، وفتح كثيرا من مواضعها بعد أن أحرق السفن التي حملت جيشه، ولد سنة 50 وتوفي سنة 102.

(243) شفشاون مدينة تقع في سفح جبل شفشاون ويعني شفشاون بالأمازيغية القرن أو المكان الذي يجتمع فيه الناس، على ارتفاع ألف متر، بين هضاب ووهاد، شرع في تأسيسها الشريف الفقيه الحسن بن محمد المعروف بابن وجمة ومات شهيدا، وقام بعده ابن عمه علي بن موسى ابن راشد فشرع في تخطيط شفشاون في عدوة أخرى بقصد تحصين القبائل المجاورة من أطماع نصارى سبتة.

الشيخ أبي محمد الغزواني، وعن الشيخ أبي محمد الهبطي، توفي رحمه الله في حدود اثنين وستين، ودفن بإزاء جامع الشرافات من بني فلواط انتهى.

وما وقع للجماعة المذكورة مع هذا السيد من عزمه عليهم أن يضعوا أقدامهم على خده، وقع مثله لجماعة من العلماء، والسادات، منهم سيدي عبد العزيز القسمطيني، وإمام جامع الزيتونة بتونس، زاروا سيدي محمد زيتون لفضله، فوضع عنقه، وقال للحاضرين، كلكم يضع قدمه على عنقي، ففعلوا ذلك ولم يتخلف إلا شخص واحد والله أعلم بنيته، وما وقع للمؤلف المذكور معه، من قوله له : إلى متى من قال فلان وروي من فلان ؟ أنه لم يزل ذلك دأب المشايخ الناصحين، قديما وحديثا تربية للمريدين، وترقيما لهممهم، وكان شيخ المشايخ سيدي بومدين(244) رضي الله عنه يقول لمن ينقل من أصحابه كلام الغير : لا تطعمونا القديد، قيل : يعني وأتوني بفتحكم الجديد، رضي الله عنهم أجمعين.

55) أبو عبد الله محمد الحداد الزياتي

ومنهم : الشيخ أبو عبد الله محمد الحداد الزياتي، قال في التحفة : كان من المجذوبين، وعده في أصحاب الشيخ الغزواني، الآخذين عنه بلا واسطة، وفي الدوحة : ومنهم الرجل الصالح المنقطع إلى الله تعالى : أبو عبد الله محمد الحداد الزياتي، كان هذا الرجل غائبا في مقام المشاهدة، حتى لا يرى غير الحق سبحانه، وكان في بداية أمره بطلا، شهما، متلصصا، وله معرفة بالشيخ سيدي أبي محمد الهبطي، في حال السيبة، فلما كان من أمر الشيخ ما كان، ورجع إلى بلاده غمارة(245)، عن شيخه سيدي أبي محمد الغزواني من مراكش، ووصل إلى قبيلة بني زيات، من عمل ترغة، سمع بخبره أبو عبد الله الحداد، فجاء للسلام عليه، وكان أشد الناس فرارا من أهل الديانة، فلما رأى ما هو عليه الشيخ وأصحابه، أراد أن ينصرف، فقال له الشيخ : لابد من مبيتك عندنا هذه الليلة، فقال : على شرط أن لا تلزمني شيئا مما يعمل هؤلاء من الذكر والأذكار والصلاة والتهجد والتواجد، فقال الشيخ : نعم، وإنما عليك النظر إليهم فقط، فلما كان نصف الليل اعتراه اختلاج في جسده، وضربان في قلبه، فخرج هاربا لكي لا يراه أحد، وحاله، وهو يثبت نفسه، ويفر إلى الخلوات، فما زال كذلك إلى أن غلب عليه الحال، وافتضح شأنه، فرجع إلى الشيخ، ولازمه فغابت عليه المشاهدة والتوحيد

(244) شعيب بن الحسن الأندلسي، سيد العارفين وقدوة السالكين، جمع الله له بين الشريعة والحقيقة حافظا للحديث خصوصا سنن الترمذي، ملازما لكتاب الاحياء، قرأ بفاس بعد قدومه من الأندلس على الشيخ ابن حرزهم، توفي سنة 594.

(245) قبيلة معروفة بشمال المغرب وإليها ينتسب الشيخ أبو الحسن الشاذلي.

الخاص، وبقي ملازما للشيخ إلى أن توفي، فانتقل إلى بني زيات[246]، وبقي منفردا لا يأوي إلى أحد إلى أن قضى نحبه، في أواسط العشرة السابعة، وقد نيف على الثمانين رحمة الله عليه.

كنت اجتمع به عند الشيخ فيقول لي : إني لا أتكلم مع أحد سوى هذا الرجل الذي هو يعرف ما نقول، يعني الشيخ، وإذا مات قبلي لا يسمع أحد كلامي أبدا لئلا يكفرني ثم ينشد :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده   ولا الصبابة إلا من يعانيها

وكان لا يجلس مع الشيخ إلا إذا كان وحده، أو يكون معه من هو واسع المعرفة من خواص أصحابه، الذين يعرفهم رحمة الله عليه انتهى.

56) أبو حفص عمر الزياتي

ومنهم : الشيخ أبو حفص عمر الزياتي قال في التحفة : بعد أن عده في أصحاب الشيخ الغزواني، كان من الأفراد، وقال في الدوحة : كان من الفضلاء الأخيار أخذ عن الشيخ سيدي أبي محمد الغزواني، وصحب الشيخ سيدي أبا محمد الهبطي، وكان زاهدا، ورعا، فاضلا، خيرا، من الأولياء، توفي رحمة الله في العشرة السادسة ودفن بزاويته من بلاد غمارة، وقبره هناك مزارة انتهى.

57) أبو إسحاق إبراهيم أبو الفتح

ومنهم : أبو إسحاق إبراهيم، ويكنى بأبي الفتح، قال في التحفة : كان من الخواص عند الشيخ، بلغ في الجد، والاجتهاد، والاستقامة الحد، وبذل في ذلك الجهد.

58) أبو عبد الله محمد الشكيوي العوفي

ومنهم : الشيخ أبو عبد الله محمد الشكيوي العوفي، الغزواني.

59) أبو الحجاج يوسف الفكيكي

وممن أخذ عن الشيخ الغزواني، الشيخ أبو الحجاج يوسف بن أبي مهدي عيسى الشريف الفجيجي، إلا أنه أخذ عنه، وعن الشيخ ابن عيسى، ولا ندري لمن ينتسب منهما، بدأ به صاحب الدوحة كتابه، ووصفه : بالشيخ الولي، ذي الأنوار الزاهرة،

---

(246) بنو زيات قبيلة غمارية من قراها : سيدي أحمد الغزالي، وتارغا، واغيل منوس والثريا وتيغيساس.

والكرامات الظاهرة، ثم ذكر صحبته إياه مدة، وانتفاعه به، ثم قال : ورأيت له كرامات كثيرة، وله في علم الأحوال والمعاملات وأسرار الذكر الخاص الشأو الذي لا يدرك، وكان الغالب عليه الخمول، أقام بمكة شرفها الله حاجا، ومعتمرا، ست عشرة سنة، أخذ عن مشايخ جلة، منهم سيدي أبو محمد عبد الله الغزواني، والشيخ ابن عيسى الفهري، والشيخ الحطاب، بمكة وغيرهم، توجه رضي الله عنه إلى المشرق سنة سبع وخمسين، وقد نيف على الثمانين سنة، فوصل مكة والمدينة، على ساكنها السلام فكان ذلك آخر العهد به ولم ندر حيث كانت وفاته رحمة الله عليه، ورضوانه، أخذت عليه طريق القوم، بالعهد، والصحبة، وكان أكسير الحكمة، ومغناطيس الأرواح، من صحبه ساعة أنهضه حاله ودله على الله مقاله انتهى.

60) أبو علي الحسين المصمودي

ومنهم : الشيخ أبو علي الحسن المصمودي من المصامدة، الشيخ الإمام العالم، المشارك، الورع، الخير الصالح، مستوطن القصر الكبير، ودفينه، قال في الدوحة : لقي الشيخ أبا محمد سيدي عبد الله الغزواني، والشيخ سيدي أبا محمد الهبطي، وكثيرا من مشايخ فاس، ورد عليه مرة أصحاب الشيخ سيدي أبي محمد الغزواني، فأمر امرأته بالانصراف إلى أهلها، وأدخلهم الدار، وأراهم القمح والسمن والخليع[247] وسائر ما في الدار من المتاع، وقال لهم : دونكم والدار ما فيها، فهي لكم، وذهب إلى المسجد، فأقاموا فيها أياما يأكلون، ويتصرفون تصرف المالك في ملكه، إلى أن انصرفوا، وكان رحمه الله شديد الدين، وكان السلطان أبو عبد الله الشيخ الشريف يجله ويعظمه كثيرا انتهى.

61) أم أحمد عائشة بنت أحمد

ومنهم : والدة صاحب الدوحة السيدة الجليلة أم أحمد عائشة بنت أحمد بن عبد الله ابن علي بن محمد بن أحمد بن عمران بن عبد الله على ما ذكره ولدها. قال في حقها : كانت من عباد الله الصالحين، ذات اجتهاد في الصيام، وقيام الليل، ودوام الذكر، فلا تأكل من أيام الدهر إلا القليل، عظيمة الرجاء في الله تعالى، مجابة الدعوة، أخذت عن الشيخ سيدي أبي محمد الغزواني[248] ولقيت المشايخ سيدي أبا محمد الهبطي[249]،

(247) الخليع قديد مطبوخ بالزيت والشحم والملح والثوم والكمون، بعد أن ينشر القديد في الشمس حتى ييبس، ومن عادة المغاربة أن يتخذوه ذخيرة هو والسمن والقمح خوفاً من انقطاع السبل بالثورات والفتن والاضطرابات.

(248) ترجمه المؤلف تحت رقم 9.

(249) ترجمه المؤلف تحت رقم 52.

والشيخ أبا البقاء عبد الوارث بن عبد الله[250]، والشيخ أبا الحسن بن عثمان الشاوي، وأبا الحسن علي بن عيسى الشريف[251]، وأخاه أبا زيد عبد الرحمان[252]، وأبا الحسن، الحاج الاغزاوي، وأبا الحجاج يوسف بن الحسن التليدي[253]، وأبا الحجاج يوسف بن عيسى الشريف الفجيجي[254]، وأبا القاسم بن خجو وغيرهم، وكان الشيخ سيدي أبو محمد الغزواني كثيرا ما يسأل عنها الفقراء الواردين عليه بمراكش من الغرب، ويأمرهم بزيارتها، وكان والد سيدي أبي محمد الغزواني واسمه عجال بضم العين المهملة وفتح الجيم، وهو من الأولياء، يضع يده على رأسها، وهي صبية صغيرة، ويقول إن هذه الصبية يكون لها شأن عظيم، وكانت رحمة الله عليها حسنة الخلق، تدعو إلى الله بحالها ومقالها، فهدى الله على يديها خلقا كثيرا، وكان الناس يتحامون حماها، ولا يقدر واحد على رَدّ شفاعتها، لما يعلمون من بركتها وصدق أحوالها مع الله تعالى، ثم ذكر لها كرامات متعددة، ثم قال : وكانت رحمة الله عليها إذا تفلت على عاهة برئت من حينها، وإذا وضعت يدها المباركة على عليل شفاه الله بقدرته، شاهدت كثيرا من كراماتها، وانتفعنا والحمد لله بدعائها، توفيت رحمة الله عليها يوم الأربعاء الثاني عشر من ذي القعدة، من عام تسعة وستين، ودفنت خارج باب سبتة، أحد أبواب القصر، وقبرها هنالك مشهور، والناس يستشفون بترابه انتهى. وقوله إن سيدي عجال والد سيدي عبد الله الغزواني، هكذا عنده هنا وفي ترجمة سيدي عبد الله، وترجمة سيدي عجال، والذي في المرآة أنه عبد الله بن محمد، وكذا في مكاتبة سيدي أبي عبد الله الهبطي المتقدمة في ترجمته.

وفي التحفة : عبد الله بن محمد بن عجل وضبطه بفتح الجيم بالترجمة، وفتح العين بالقلم، وكتبه بغير مد، فيما رأيته بخطه، هذا ما حضرني من أصحاب الشيخ سيدي أبي محمد الغزواني رضي الله عنه.

62) أبو عبد الله محمد الفضلي

ومن أصحابه أيضا فيما ذكر لي : سيدي محمد الفضلي دفين القصر الكبير قصر كتامة.

(250) ترجمه المؤلف تحت رقم 41.
(251) ترجمه المؤلف تحت رقم 46.
(252) ترجمه المؤلف تحت رقم 45.
(253) ترجمه المؤلف تحت رقم 40.
(254) ترجمه المؤلف تحت رقم 59.

63) أبو عبد الله محمد بن حدو

وكذا سيدي محمد بن حدو دفين حوزة، على وادي مضى[255]، والله أعلم بصحة ذلك.

64) أبو عمر بن احمد القسطلي الأندلسي المراكشي

وأما أصحاب إخوته، وحفدة أعمامه فمنهم : الشيخ أبو عمر، قال في الدوحة بفتح العين المهملة والميم بن أحمد بن أبي قاسم القسطلي الأندلسي المراكشي، من حضرة مراكش، وأعيانهم، وذوي الحسب، والأصالة، والوجاهة فيهم، وقال أبو العباس بن أبي محلي : إنه من ذرية ابن الدراج القسطلي الأندلسي، المشهور في ذخيرة ابن بسام[256] وغيرها، صحب الشيخ أبا محمد عبد الكريم الفلاح، وانتسب إليه، وعول في شأنه عليه، ولقي أيضا أبا محمد الغزواني، وكان أعني صاحب الترجمة كبير الشأن، جليل القدر، شهير الذكر، في سائر البلاد المغربية، شهرة عظيمة، فياض المدد، قوي الحال، عظيم الكشف، كثير الخوارق، عريض الدعوى، في مقامات الأولياء، فكان يدعي أنه القطب، وأنه صاحب الوقت، وأنه السلطان، وله في معنى ذلك قصيدة تائية يقول فيها :

ومن معدن التحقيق كان نصيبنا ... وجملة أنواع اليقين في قبضتي
وكل بحور العلم طرا ورثتها ... وأنواع أحكام الطريقة حرفتي
وأقطاب كل الأرض مادتهم منا ... والأفراد والأجراس تحت إمارتي
والأوتاد والابدال[257] أمموا بابنا ... بذل وفقر واحتقار وفاقتي
فكل رجال الله قالوا بعزنا ... وإنظفارنا بأعلى كل ولاية
أقروا بأنني وحيد زماننا ... وقدوة كلهم، وهم لي فئتي
بأرواحهم أعني أقروا بملكنا ... وأعناقهم طرا أناخوا لرتبتي
ولو بدا بعض ما شهدته من عجائب ... لأقطاب وقتنا، لذاقوا المنية
وشاهدت غيب الغيب عينا وعينة ... وأبصرت أنوار الجمال بنظرتي
وعيلي عينه وأمري بأمره ... وسري سر خير كل البرية
مريدي حيث كان شرقا ومغربا ... رجوفا وقبلة في حرز حمايتي
وإن أمنى في البعد كنت إمامه ... وكنت له حصنا حصينا وجنة[258]

---

(255) وادي مضى يوجد بناحية القصر الكبير، بجانبه قرية الدهادح.

(256) أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني الأندلسي من الكتاب الوزراء نسبة إلى شنترين في البرتغال اشتهر بكتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، في ثمان مجلدات تشتمل على 134 ترجمة لاعيان الأدب والسياسة ممن عاصرهم أو تقدمه (أعلام الزركلي ج 4 ص 266).

(257) خ : الاقطاب عوضا عن الأبدال.

(258) كذا وردت القصيدة مكسورة في أغلب أبياتها.

وكانت الملوك تتشوش من قوله : إنه السلطان، وصاحب الوقت، مع شهرته، وبعد صيته، وانتشار ذكره، وكثرة اتباعه، فكانوا يهمون به، ويمتحنونه، وسجنوه مرة في داره، فيما ذكر لي بعضهم، وطبعوا عليه بابه، فكان يظهر فيهم الاعتبار، ويخرج منهم بواضح الحجة، فيعودون إليه بالاذعان، والانقياد، والاعتراف بالولاية، ويتحامون حماه، ويطلبون بركته ورضاه. هذا السلطان أبو محمد عبد الله الغالب كان يعظمه، ويحترمه، ويعتقد له مزية لا يعتقدها لغيره، وكانت عنده مظلته من سعف الدوم، ولم تزل عنده، يتوقى بها الحر، إلى أن توفي، وكان يقول له : ما وجد البركة في دولته ومدته إلا له، ولما مات حضر جنازته، وبعث إليه مرة يقول له : إذا مت من يرث منك هذا السر، فقال للرسول : قل له : إذا كان ذلك بالعناية، فالسلطان هو الذي يرثه، وإن كان بالقرابة فمحمد ولدي، وإذا كان بالأخلاق الحسنة فيذهب على الشربة، لرجل من أصحابه الفاسيين، قل له : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وذهب مرة إلى سلطان آخر أظنه عم هذا أبا العباس أحمد الأعرج، فأغلظ له الشيخ، وواجهه بما يكره، فلما خرج من عنده لامه بعض أقاربه، وقال له : ألا تخاف السلطان، حيث تواجهه بما واجهته به ؟ فقال له : أأخاف من المذبوح، والله إني لأرى الذبحة في عنقه من الأذن إلى الأذن، والله إن لم أرفع أنا فريسته لم يرفعها أحد، قالوا : فكان الأمر كذلك، وكان السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ قتله جماعة من الأتراك كانت في جنده، فغدروه بموضع يقال له أكلاكل، بإزاء جبل درن، على طريق تارودانت[259] وهو قاصد إليها وحزوا رأسه، وذهبوا به وقتل معه الفقيه مفتي مراكش أبو الحسن علي بن أبي بكر السكتاني[260] والكاتب أبو عمران الدجاني وذهب خدام السلطان المقتول، فدخلوا على أخيه أبي العباس الأعرج في سجنه، وكان أخوه انتزع الملك منه، وسجنه، وذلك سنة ست وأربعين وتسعمائة والله أعلم فقتلوه هو ومن معه من أولاده، مخافة أن يخرجه الناس فيبايعوه، وكان ابن سيدهم أبو محمد عبد الله الغالب نائبا بفاس، إذ كان ولي عهد أبيه بها، وذلك كله في آخر ذي الحجة من عام أربعة وستين وتسعمائة، فلعل أولئك الذين كانوا بالسجن بقوا بلا دفن، لم يتجرأ أحد على دفنهم، حتى احتملهم سيدي أبو عمر ودفنهم، وأنكر عليه بعض الناس تقبيل الناس يده، فقال له : أنت رأيتهم يقبلون يدي، فقال له : نعم ليس الخبر كالمعاينة، فقال له : إن كانوا يقبلون يدي، فالله يقطعها

---

(259) تارودانت من المدن المغربية القديمة احتلها المرابطون وحاصروها عند قدومهم من الصحراء واتخذها محمد الشيخ السعدي عاصمة له، واستقر بها عدد من الملوك، تقع على مقربة من وادي سوس، اشتهرت قديماً بذوب الرصاص، والنحاس، والفضة وصنع الأسلحة، وسك النقود، ودبغ الجلود.

(260) هو علي بن أبي بكر السكتاني كان عالما جليلا تخرج على يده جماعة من العلماء، ولي القضاء بمراكش توفي شهيدا أواخر 964 ولم يبلغ الستين.

مائة قطعة بالنار، يا مرغوب، إنهم ليسوا يقبلون يدي إنما يقبلون فضل الله، والله لولا أن أنشب الناس في أكثر مما انتشبوا لا خرجت لهم قصبة من الحائط، ومن قبلها قضى حاجته، وكان صاحبه الأستاذ أبو عبد الله الوزروالي(261) وكان ممن رحل إلى الحجاز، وجاور بمكة، يخبر أنه رأى شيخه سيدي أبا عمر في الطواف مرارا، ولقيه مشافهة هنالك، ولم يكن الشيخ أبو عمر سافر إلى الحجاز، وكان يذكر ذلك بحضرته، فلا ينكر عليه، بل يتبجح بذلك، حكاه في الدوحة، وكان مع ذلك يقول لأصحابه : إذا قال لكم أحد أبو عمر طرمون، فقولوا له : أنت عرفته، وإذا قال لكم أبو عمر مجنون، فقولوا له : أنت عرفته، وإذا قال لكم : أبو عمر مجنون، فقولوا له : أنت عرفته، وإذا قالوا لكم : أبو عمر كذاب، فقولوا له : أنت عرفته، وإذا قال لكم : أحمق، فقولوا له : أنت عرفته، ويعدد نحو هذا يحضهم على الإقبال على شأنهم، والاشتغال بما يعنيهم، وترك محاججة الناس والطمع في استصلاحهم، وجمعهم على الهدى، أو يعرفهم أن الطريق طريق الغيرة، وأن الصاحب الحقيقي، لا يجب أن يشاركه في مصحوبه أحد، بل يغار عليه أن عرفه غيره، أو أنه ينبغي أن يكون عنده في أعز مكان، وأرفع مكانة فلا يهينه بعرضه على من يعرض عنه، ويكذبه بل يجازي إعراضه بالإعراض والصد، أو لما في ذلك من ظلم الحكمة بإتيانها غير أهلها، أو لما في ذلك من التعزز بالطريق، والميل إلى الشهوة، فدلهم على الخفاء، والخمول المطلوب في الطريق، أو لما فيه من الانتصار للنفس وإقامة جاهها، وعزها والطريق مبنية على إسقاط الجاه، وعلى الذل حتى يأتي الله بالعز من عنده، أو قال ذلك اختبارا لصدق المخاطب في محبته، هل يقف مع ظاهر الكلام، أو ينفذ لما وراءه، ولا يقبل أن يصير لسماع القول فيه، أو قال ذلك تواضعا واعترافا بنقص نفسه، وأن تلك الأوصاف أوصافه لولا رحمة الله وستره والله أعلم ويؤثر عنه أنه كان إذا قرأ القرآن ربما فتح عليه في الآية الواحدة بأربعمائة تأويل، ومات إمام مسجد حومته فجاءه أهل الحومة فقالوا : إن إمامنا قد مات، وإنا لم نرتض لديننا غيرك، تكون إمامنا في هذا المسجد، فقال لهم : والله لأن التقط الحب على تلك البدوزة يعني السباطة، كالديك أهون من أكل الحبس، ومناقبه رضي الله عنه كثيرة وبركاته شهيرة وفضائله لا تزال على الأيام مسطورة، ومآثره على الدوام مأثورة، وأتباعه في البلاد منثورة، ويقال إنه تداركه الجذب في صغره، وإنه بقي نحو السبع عشرة سنة مولها، وفي الدوحة :

---

(261) الوزروالي هو شريف فقيه مشهور بالعمل بالسنة وهو من تلامذة الولي الصالح سيدي أبي عمر المراكشي، له منازلات مع الحطاب المالكي، وله صحبة مع الشيخ الشطيبي، وقد كان رحمة الله عليه جامعا لقراءات الطرق العشر، قدم لحضرة فاس بعد وفاة شيخه، أبي عمر ثم شرق، وجاور بمكة حتى توفي بها ترجمه المؤلف تحت رقم 126.

وكانت له همة رفيعة في إطعام الطعام، فلا يدخل أحد زاويته إلا بادر الخدام له بإحضار الطعام على قدر طبقته، فسائر الناس يأكلون خبز الشعير، وما وجد من الفاكهة معها، وفي الصبح الدشيش[262]، وفي المساء الكسكس[263]، ومن هو أعلى مرتبة يأكل خبز البر، وخلاصة التمر والعسل، واللحم، والبريد[264] والدجاج، ومن هو أعلى قدرا من الطبقتين، يقربون له الحسو المتخذ من لباب خبز الخالص، وفصوص البيض، مقوها بالقرفة، والزعفران، ولحم الضأن المطبوخ بالمري واللفت السلجم وأنواع الفواكه، التي لا توجد في خزائن الملوك ولقد قضى أرباب الملك العجب من جودة طعامه، وكثرته، بحيث لا يوجد له نظير، ومن يتأمل ذلك، يعلم أنه لا يقدر أحد من تلك الكفاية إلا من ينفق عليها بيوت الأموال، أو تكون له مادة ملكوتية، ولما حضرته الوفاة، أوصى بنيه، وقال لهم : ابنوا باب الرباط، ولا تتعرضوا لما كنت أنا متعرضا إليه، فذلك سر إلهي، لا يقدر عليه إلا من أذن له فيه انتهى : قال في المرآة : وتوفي في أواخر رمضان سنة أربع وسبعين وتسعمائة انتهى ويقال إن عمره اثنتان وستون سنة، قال في الدوحة : وقبره مزارة عظيمة عند أهل مراكش، وعليه قبة في غاية الاحتفال، على مقربة من ضريح الشيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي، برياض العروس رحمة الله عليه.

65) أبو محمد عبد الله المعروف بالكوش

ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الله المعروف بالكوش، من أهل مراكش، من أكابر أصحاب الشيخ أبي محمد عبد الكريم، الفلاح، وهو والد السيدة الزهراء بنت الكوش، الشهيرة ببلد مراكش ونواحيها، قال في الدوحة : وكان له عقل، ودهاء وديانة، وكان على مطبخة الشيخ عبد الكريم، ووكيله على إطعام الطعام، فلما آلت المشيخة له، كان ذلك أفضل القرب عنده. فكان له في ذلك ما هو خارج عن طور العادة، حدثني بعض الفضلاء من أصحابه : أن كل واحدة من قدوره ومطبخته الكبرى، يطبخ فيها الثور والثوران في مرة، ويذبح في كل يوم البقر، والغنم، والإبل، وعنده بلاط واسع، مجصص يبرد فيه الكسكس بالألواح، كما يفعل بصابة الزرع، عند التذرية والتصفية، والعجب أن له على كل نوع من أنواع الطعام وليا مخصوصا، فإذا قال على بفلان، يأتيه في الحين بكل ما يكون من ذلك النوع، إما مشويا، أو مطبوخا، أو فاكهة، أو عسلا، أو سكرا،

---

(262) دقيق الشعير مطبوخ بالماء والفول والادام والفلفل.

(263) أكلة مغربية تتكون من دقيق مفتول أو من سميد القمح ومن اللحم أو الدجاج والزبيب والحمص وأحيانا يضاف لذلك بعض الخضر.

(264) لعله الثريد.

على جميع أنواع الطبخ، وذلك في كل وقت، من ليل، أو نهار، على الدوام انتهى، وكان الشرفاء لما دخلوا الملك، أخذوا دار النصارى، بسوس من يد النصارى، وأخرجوهم منها، فلما رأى النصارى ذلك، أخلوا أصيلا، وزمور فسارع إلى أزمور جماعة من الفقراء، منهم صاحب الترجمة، وسيدي عبد الله بن ساسي، فقعدوا بها يحرسونها، حتى يأتي مدد المسلمين، ومن يسكنها، منهم، مخافة أن يرجع إليها العدو، فإذا بالعدو رجع إليها، فدخلوا عليهم، فأسروهم، حتى افتكهم المسلمون(265) فلما افتدى صاحب الترجمة، وعزم على الخروج، وكان أسيرا عند امرأة من النصارى ناولته كتبا، وقالت له : هذه كتب عندي من كتب المسلمين، ولا حاجة لي فيها، فخذها إليك، فخرج بها في قفة على رأسه، فكان من جملتها كتاب تنبيه الأنام، المعروف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فكان ذلك أول دخوله هذه البلاد، على يد صاحب الترجمة، رضي الله عنه، ثم قال صاحب الدوحة إثر ما تقدم عنه : ولما بعد صيته، وكثر اتباعه، وتحدث الناس بالكرامات عنه، وقع في نفس السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ، منه شيء حذرا على الملك، فأمر بإخلاء الزاوية، ورحل الشيخ إلى فاس، فوصلها، وسكن في دار ملاصقة لمسجد القرويين، وكان لا يرى الصلاة فيه، لانحراف محرابه، على أدلة القبلة، وكان يقول لأصحابه : إن الله يخرج هذا السلطان من داره في هذه السنة، كما أخرجني من داري، ثم كان خروج السلطان المذكور من ملكه بفاس في تلك السنة، وهي سنة ستين، في شهر المحرم منها مزعجا بسبب حركة أبي حسون المريني إليه، مع صاحب الجزائر صالح باشا التركماني، ولما دخل أبو حسون إلى فاس، قال أصحاب الشيخ : الآن نذهب إلى مراكش مع سيدنا، فقال لهم : أما أنتم فتمشون إليها، عن قريب، وأما أنا فمقيم بفاس، فبعد سبعة أيام، تطهر، ولبس ثيابه، وركب فرسا له، وخرج على باب البلد إلى ناحية المستقى، على قدر ثلاثة أميال من فاس، ولم يترك أحدا من أصحابه يمشي معه، سوى رجلين، حتى وصل المستقى، فنزل إلى الأرض وقعد وإذا بجملة فرسان من محاربي عرب أنكاد، وصلوا إليه، وقالوا له : انزع ثيابك، وهم لا يعرفونه، فجرد ثيابه وطرحها، ولم يبق إلا السراويل، فقال له أحدهم : انزع السراويل، فقال : إن الله نهى عن كشف العورة، فطعنه برمح في بطنه، كانت منيته، منه، ولما حمل جريحا إلى داره، قيل له : لأي شيء ركبت إلى ذلك الموضع ؟ فقال : الشهادة التي أمرت بالنهوض إليها، وتوفي رحمه الله في السنة المذكورة، في أول صفر منها، وقبره بجبل العرض، لقيته بفاس، وتكلمت معه، وطلبت منه الدعاء، فدعا لي بخير، وكان أسود اللون، ضخما، نظيفا، رحمة الله عليه، انتهى وجبل العرض هو

---

(265) قال متويل : كان فداء الشيخين عبد الله الكوش وعبد الله بن ساسي بألفي ريال ومائتي ريال بالنسبة فيهما انظر الاستقصا جـ 5 ص 20 طبعة دار الكتاب عام 1955.

جبل الزعفران خارج باب الجيسة، المدفون فيه الشيخ أبو جبل يعلى(266) وكان دخول أبي حسون(267) لفاس في السنة المذكورة، وهي سنة ستين وتسعمائة، ثم حرك إليه السلطان محمد الشيخ، فكانت الكائنة على أبي حسون في ذي القعدة سنة، ستين، وقتل بها.

هذا كله على ما عند صاحب الدوحة، والذي عند غيره، أن خروج السلطان محمد الشيخ من فاس كان يوم الأحد ثالث صفر عام واحد وستين، وفي يوم الإثنين بعده، دخلها أبو الحسن المعروف بأبي حسون البادسي بن الشيخ بن أبي بكر المريني الوطاسي، مع الترك، وفي يوم السبت الرابع والعشرين من شوال عام واحد وستين، كانت الواقعة بينه وبين محمد الشيخ في مسلمة فقتل أبو حسون، ودخل محمد الشيخ الدخلة الثانية، وفي دخلة محمد الشيخ هذه لفاس، أمر بقتل خطيب مكناسة الزيتون، أبي علي حرزوز(268) لكلام بلغه عنه، وذلك في ذي القعدة المذكورة على ما عند صاحب الدوحة، ثم أمر بقتل قاضي فاس أبي محمد عبد الوهاب(269) الزقاق لاتهامه بالميل إلى أبي حسون، وذلك بذي القعدة من عام أحد وستين وتسعمائة، وقبل دخلته الأولى، أمر جماعة من المتلصصين بفاس، وهو محاصر لها أن يأتوه بالشيخ أبي محمد عبد الواحد الونشريسي(270)، محبوساً، لمحلته، وكانوا قالوا له لما تصعبت عليه فاس:

---

(266) هو الفقيه العارف الزاهد، أبو جبل سيدي يعلى من أهل مدينة فاس لقي بمصر عبد الله الجوهري، وكان جزاراً بفاس، أسمر اللون، مليح الوجه، نقي القلب، كثير السياحة في الأرض توفي سنة 530 ودفن خارج باب عجيسة بفاس، وبفاس درب يسمى درب سيدي يعلى بالطالعة الكبرى.

(267) أبو الحسن علي بن محمد الشيخ الوطاسي بويع بفاس سنة 932 بعد وفاة أخيه أبي عبد الله البرتغالي، ثم قبض عليه ولد أخيه أحمد، وخلعه في السنة التي بويع فيها.

(268) هو الشيخ أبو علي حرزوز المكناسي الفقيه، الخطيب، بمكناسة الزيتون، وقد كان رحمه الله عليه من كبار العلماء، في وقته قتله الأمير أبو عبد الله الشيخ سنة 961 لأنه كان يحذر الناس في خطابه من الانقياد إليه. انظر التعليق رقم 65.

(269) هو عبد الوهاب بن محمد بن علي الزقاق الفاسي قاضي الجماعة بها العلامة المتقن كان آية في الحفظ والفهم، أخذ عن سقين والونشريسي، وأخذ عنه المنجور، ولد سنة 905 وقتل سنة 961. انظر التعليق رقم 35.

(270) هو عبد الواحد بن الشيخ أبي العباس أحمد الونشريسي الفاسي قاضيها ومفتيها كان عالما متفننا عمدة محققا فهامة، خطيبا فصيحا، ناظما ناثرا مع الورع والدين المتين أخذ عن والده، وابن غازي وانتفع به، والحباك، والهبطي، وابن زكريا السوسي، وابن هارون، وجماعة، وعنه المنجور وعبد الوهاب الزقاق، والبسيتني، وغيرهم، له خطب بليغة، وفتاوي محررة، ونظم كثيراً من مسائل الفقه، كشهادة السماع، ومفوتات البيوع الفاسدة، وما يفوته حوالة الأسواق، وموانع الإقالة ونظم قواعد أبيه، وله شرح على ابن الحاجب الفرعي، وشرح الرسالة، ونظم تلخيص ابن البناء في الحساب، وتعليق على البخاري لم يكمله ولد سنة 880 ومات قتيلا سنة 955 بباب جامع القرويين انظر تفصيل ذلك عند صاحب الاستقصا ج 5 ص 22-23.

لا سبيل لك إليها ولا يبايعك أهلها، إلا إذا بايعك ابن الونشريسي فبعث إليه ورغبه، فقال : بيعة هذا السلطان، يعني أبا العباس أحمد بن محمد الوطاسي في رقبتي، ولا يحل لي خلع ربقتها إلا بموجب شرعي، وهو غير موجود، وكانوا قبل ذلك ـ أعني أعيان الوقت من الفقهاء، والفضلاء، عقدوا الصلح بين السلطانين المذكورين المريني، والدرعي، وكتبوا به سجلا، وكان الكاتب له الشيخ الونشريسي ـ فلما بعث إليه محمد الشيخ بما ذكر فامتنع أمر الجماعة المتلصصة بما ذكر، فلما امتنع من الذهاب معهم قتلوه، وذلك بباب مسجد القرويين، في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وتسعمائة، رحمة الله عليه، وعلى الفقهاء الثلاثة ورضوانه.

66) أبو عبد الله محمد بن وسعدون السكتاني

ومنهم : الشيخ أبو عبد الله محمد بن وسعدون السكتاني بقبة جبل درن[271] ترد الوفود عليه آلافا، ويقترح كل واحد منهم ما اشتهى من الطعام، فإذا وصلوا إليه أخرج لكل واحد ما اشتهى، على أن الموضع الذي هو به لا زرع به، ولا حراثة، ويؤثر عنه بالاستفاضة أنواع من الكرامات والمكاشفات، أخذ عن الشيخ الفلاح، ولحق الشيخ التباع انتهى، من الدوحة، وقال[272] إنه سنة خمس وثمانين وتسعمائة في قيد الحياة، ناهز الثمانين سنة، وأخبرني بعض طلبة تلك البلاد أن في طعام زاويته إلى عصرنا هذا بركة عظيمة ظاهرة، حتى إن الصاع من الطعام تملأ منه أواني كثيرة، يأكل منها خلائق كثيرون، ويصدرون عنه ويتركونه آية ظاهرة، وحجة باهرة.

67) أبو العباس أحمد العروسي

ومنهم : الشيخ أبو العباس أحمد العروسي، من أصحاب سيدي رحال الكوش، وكان صاحب حال، وشهرة في الناس، وله كلام على وزن كلام سيدي عبد الرحمن المجذوب، يخبر فيه بالمغيبات يحفظ الناس منه.

68) أبو القاسم الجراري

ومنهم : الشيخ أبو القاسم الجراري الولي الصالح من أصحاب الشيخ أبي الحسن علي بن إبراهيم البوزيدي.

---

(271) جبل درن جبل من جبال الأطلس بقرب مراكش، وهو من المعاقل الحصينة التي كان يتحصن بها الثوار.

(272) كذا في النسختين ولعل الصواب : زيادة كان قبل كلمة سنة.

69) أبو سالم إبراهيم بن علي

ومنهم : الشيخ أبو سالم إبراهيم بن علي الأصنعي، الأدوازكي[273] الإمام العالم الولي الجليل، لقي الشيخ أبا عثمان سعيد بن عبد النعيم[274] فأخذ عنه وأمره بالمسير إلى الشيخ أبي العباس أحمد بن موسى الجزولي السملالي[275] وكان من شأنه أن يدل عليه، فأخذ عنه أيضا، وسئل عمن أخذت، فقال : سيدي سعيد بن عبد النعيم ظهر آنيتي، وسيدي أحمد بن موسى ملأها عسلا، أخبرني بهذا الشيخ وما ذكر فيه، بعض من سلك بلاده من الطلبة المعتنين بهذا الشأن.

70) أبو العباس أحمد قاسم الشرقي الأندلسي

ومنهم : أهل روضة الأنوار، كالشيخ العارف أبي العباس أحمد قاسم الشرقي الأندلسي.

71) أبو العباس أحمد الحساني

ومنهم : الشيخ الولي أبي العباس أحمد الحساني.

72) سيدي جناح

ومنهم : سيدي جناح : أصحاب سيدي علي بن محمد صالح الأندلسي[276].

73) أبو عثمان سعيد المشنزائي

ومنهم : الشيخ أبو عثمان سعيد بن أبي بكر المشنزائي، دفين خارج مكناسة الزيتون، الولي العارف الكبير الكامل الراسخ الشهير قال في المرآة : وكان من أكابر الأولياء ومشاهير المشايخ، وذوي الهمم العالية، وقال في محل آخر : وشهرته بالولاية والبركة بلغت الغاية انتهى وسأله بعض الناس عن مقامه، وناشده على ذلك الله، فقال

---

(273) خـ : أبو سالم بن علي الأصنعي الأدوازكي، بتشديد نون الأصنعي.

(274) سعيد بن عبد النعيم شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متمسك بالسنة، توفي في العشرة الرابعة من القرن العاشر ببلاد حاحة. ترجمه المؤلف تحت رقم 14.

(275) أحمد بن موسى الجزولي من أهل السوس الأقصى، عرف بالسياحة، والتجول، في أكثر بلاد المعمور، ولقاء العلماء والأولياء، توفي في أول العشرة السابعة من القرن العاشر.

(276) علي بن صالح الأندلسي، من أصحاب سيد عبد العزيز التباع أصله من غرناطة ولقيه في قصة طويلة ذكرها الحضيكي في طبقاته ج 2 من ص 258 توفي في حياة شيخه، ودفن بفاس خارج باب فتوح. ترجمه المؤلف تحت رقم 21.

له : وتد يا مزغوب، قيل، لقطب بعد ذلك **(ومن كلامه هرولوا بالأقطاب تنالوا حكمتي، ها سري سر الوجود ممكن في ذاتي، المشرق والمغرب في طي قبضتي)** وكان تلميذه سيدي قدار، يتكلم يوما مع سيدي يوسف الفاسي في الأحوال والمشايخ، ومن يغلب الحال، ومن يغلبه الحال، فسأل سيدي يوسف، سيدي قدار عن سيدي أبي عمر، وسيدي عبد الله بن حسين، إذ كان رآهما فأخبره عن حال كل واحد منها، ثم سأل سيدي قدار سيدي يوسف قائلا وأنت ياسيدي يوسف، أرأيت سيدي سعيد ؟ فقال له : نعم، فقال له : كيف هو ؟ فقال : هو رجل مسكين، ففهم مراده بالمسكنة، وما أشار إليه بها، فقال له موافقا له : إيه، يعني نعم، إذا تراه تقول هو نبي، أو قال : فرخ نبي، وفي الدوحة : كان من عباد الله الصالحين، وأوليائه المتقين، متواضعا، زاهدا، متقشفا، كثير الخشية، لا يفتر عن ذكر الله تعالى يطعم الطعام، ويكفل الضعفاء والأيتام، لا يلبس سوى مرقعة خشنة، وقلنسوة كذلك من الصوف، كثير الصمت والفكرة، وله موضع بزاويته، يلازم الجلوس به، فلا يرى قائما إلا إلى الصلاة، لا يرى له سبب ولا حراثة، وترد زاويته الوفود في كل يوم وليلة، ونعم الله تشمل جميعهم، وتعمهم، ولقد حدثني بعض الأخيار من أصحابه، ممن كان يباشر خدمة زاويته، قال : كان الشيخ يوصي صاحب خزانته وراعي بهائمه، ويقول لهما : لا تحسبا داخلا ولا خارجا، فكل ذلك من باب الفتح والله يبسط الرزق لمن يشاء[277] قال : فكنا ندخل بعض الأحيان لمخازن الزرع، فلا نجد فيها شيئا، فيأتي الخازن إليه، ويخبره بذلك، فيقول له : ارجع وحقق البحث والنظر، لعل الزرع باق هنالك، فيرجع الخازن، فيجد الزرع في المخازن وكذلك الراعي : إذا فرغت البهائم، يخبره بذلك، فيأتي الله بها في ذلك اليوم، فكانت البركة ظاهرة للعيان في جميع أسبابه، وكان يكاشف أصحابه وغيرهم، بما يفعلون في كل حين، ومن كراماته الشائعة الذائعة، ما اتفق له مع الوزير أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي العباس أحمد المريني، لما استوزره أبوه وولاه على مكناسة، وكان بها، فغضب على أحد المشاورين[278] فهرب المشاوري إلى الزاوية، فبعث الوزير إلى الشيخ بالأمان عليه، وأن يبعثه إليه، فقال له الشيخ : إن شئت أن تذهب إلى ضيفك يعني سيدك، فافعل، فقال المشاوري : يا سيدي أخاف أن يقتلني، فقال الشيخ : إن قتلك يقتله الله، فذهب المشاوري إلى الوزير وبقي عنده ليلتين، وفي الثالثة قتله، ولم يظهر له أثر، فجاءت أمه إلى الشيخ، وقالت ياسيدي : إن ولدي قد قتله الوزير، فقال لها : سبق ذلك في سابق علم الله وأن الآخر سيلحقه الآن، يعني الوزير، فوعك الوزير في تلك الليلة، وتسلط عليه أكال في جسمه، فتمزق لحمه، وتقطع قطعا شيئا فشيئا،

(277) سورة الرعد الآية 26.

(278) المشاوري في العرف المغربي هو الذي يشاور الأمير فيمن يريد لقاءه.

حتى تمزق لحمه، ومات لأيام قلائل، فاعتبر الناس والسلطان من ذلك، ومن ذلك الوقت زاد الأمراء وغيرهم في احترام زاوية الشيخ، حتى إن الذي يفعل ما عسى أن يفعل من عظائم الجنايات، ويلجأ إلى ساحة الزاوية لا يتبعه أحد، وحد الحرم من ناحية البلد الساقية الجارية بالماء، وهي إلى البلد أقرب منها إلى الزاوية، وقد رأيت الحكام يتبعون الجاني حتى إذا وصلوا الساقية، رجعوا عنه، وعندهم بالتجربة المتكررة أن الذي يتخطى الساقية تصيبه عاهة في جسمه، وما رأيت بزوايا المغرب ومصارع الأولياء، حرما مثل حرم زاوية هذا الشيخ، وأن الأمراء يتحامون حماها احترازا من وقوع العاهات بهم في العاجل، توفي رحمة الله عليه في أواسط العشرة السادسة، بل في آخرها، ودفن بزاويته، ومن كراماته الشائعة، أن سلطان الوقت نزل بظاهر مكناسة قريبا من زاوية الشيخ، وكانت له هنالك إقامة، فجاءه بعض أصحاب السلطان يزوره، وكان بصومعة زاويته فقال له : يا سيدي سعيد، أوما علمت بكون السلطان هنا، ولم لم تلقه ؟ فقال له الشيخ : وأخرج ذراعه، ومدها : السلطان هو الذي عرفته أنا فأخذت الصومعة تضطرب، وتتحرك كالغصن، ففزع صاحب السلطان، ولجأ إلى الشيخ، وأمسك برجليه، وجعل يضرع إليه، إلى أن سكن حاله، وسكنت الصومعة، فلما ذكر ذلك للسلطان قال له : أي شيء دعاك إلى ذلك حتى أحرجت الشيخ ؟ وقال ما قال، ومن كراماته أيضا أنه لما ولي الشرفاء الملك بالمغرب، أتاه خديمهم يطلب عنده ما استودع عنده بنو مرين من أمتعتهم، فوجده جالسا بناحية من زاويته يضفر الدوم، فجلس، وإذا بطائر لعله البلورج(279)، سلح أمامه، فما رفع الشيخ بصره حتى سقط الطائر ميتا، متطاير الريش فلما رأى خديم الملك فزع، وولى هاربا، ومنها : أن سيدي أحمد الشريف نزيل بني سليمان من جبل لمطة، وكان صاحب حال، وله قدم في الطريق، وقعت له وحشة في باطنه، بينه وبين سلطان الوقت، وهو أبو عبد الله محمد الشيخ المهدي، أدى ذلك إلى أن صرف همته لإهلاكه، فدخل عليه في الغيب، ليوقع به بشاقور في يده، أو ورد عليه بذلك وارد جبري، فإذا بالشيخ صاحب الترجمة قائم عليه، ويده على رأسه، كالحافظ له، فلم يكن إلا أن التفت إليه، وقال له كالمنكر عليه : إلى هاهنا ؟ اذهب، فمالك إلى ذلك من سبيل، فرجع، وهذا الذي اتفق له كذلك وقع في الخارج، وحاله كان صحيحا، فإن الترك قطعوا رأس السلطان المذكور بشاقور، إلا أن الوقت كان متأخرا، وهذا الشيخ كان أكبر منه، فأدبه لجرءته عليه، فكان ذلك سببا لتخليه، وانحطاطه، وإحساسه بالنقص في حاله، وما كان يعتاده من شأنه، وظهر أثر ذلك عليه في الظاهر، فتفرق الناس عنه، وتعطلت الزاوية، فبينما هو في بعض الأحيان في مسجد القرويين، إذ التقى بسيدي قدار، وهو من أصحاب الشيخ

(279) البلورج هو طائر اسمه بالعربية اللقلاق ويعرف بالدارجة المغربية ببلارج.

سيدي سعيد، فلما رآه أنكر حاله، لأنه كان يعرفه قبل، فإذا به مكشوف، سيء البال، فقال له : ما شأنه يا فلان ؟ فقص عليه شأنه، وما وقع له مع الشيخ، وقال له : أريد منك أن تتوسط لي عند الشيخ، فساعده على مطلوبه فذهبا حتى قدما منزل الشيخ، فقال : لسيدي قدار، أو ذهبنا إلى سيدي فلان لاحد كبراء أصحاب الشيخ، فنستعين به على هذا الأمر، فذهبا إليه، فتفاوضا معه على أمرهما ذلك، فقال لهما : أمهلا، حتى إذا كان يوم الجمعة قصدنا الشيخ، لأن الفقراء مجتمعون، ويذكرون فيهتز الشيخ لذلك، ويتواجد، ففعلوا ذلك، وذهبا به يقدمانه، وهو وراءهما، فلما مثلوا بين يدي الشيخ، عرفه، وقال له : أنت هذا ؟ قال : نعم ياسيدي، فأخذوا يقبلون رجليه، ويعطفونه عليه، فما زالوا به حتى قبله ورضي عنه، وأمره بالانصراف، فقال له : إلى أين ياسيدي ؟ فقال له : إلى موضعك، فرجع وانجبر حاله، وعاد إلى ما كان عليه، أو أحسن وكان سيدي قدار، يقول كان سيدي سعيد ضابطا لي بهمته، وبقي على بالي أني سمعت عنه أنه كان يقول : كان سيدي سعيد من أتى بصحبته، وهو مع نفسه، أمسك عنه نفسه، وأطلقه، وكان صاحب للشيخ له بهائم، وكأنها كانت تشغله، فقال له الشيخ : **(قلبي هائم هائم، ما يشتغل ببهائم، غير الحي الدائم، جل الله)** وزاره الشيخ الصالح محب أهل الله أبو العباس أحمد المرابطي الصباغ رحمه الله، فقال له : كيف أنت يا سيدي ؟ فقال له : ما علينا إلا فضله وإحسانه، فقال له : كيف حالك ياسيدي ؟ فقال له : ما نرجوه إلا عفوه ورحمته، فقال له : إيش رأيت روحك ياسيدي ؟ فقال له : ما لنا حول ولا قوة إلا به، وأخذ صاحب الترجمة عن الشيخ أبي عثمان سعيد الداعي[280]، وروضته بزاويته شهيرة رضي الله عنه ونفعنا به[281].

74) أبو عبد الله محمد بن علي العفاني

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي العفاني، نزيل القصر، من أصحاب الشيخ أبي حفص عمر الخطاب الزرهوني، قال في المرآة : في حق صاحب الترجمة أحد الأفراد من الأولياء الأكابر، رطب اللسان على الدوام بالتلاوة، والذكر، دائم الحضور، رأى في بداية أمره امرأة شابة، متزينة، فقال : عين ترى حريم المسلمين، إنما حقها العمى، فكف بصره من حينه انتهى، وكان مع ذلك، إذا احتاج أن ينظر ثيابه هل توسخت أو نحوه أبصر حتى ينظرها ثم يرجع لحاله، ودخل عليه يوماً الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الفاسي، فلما أمسك يده قال له : يد سيدي يوسف هذه، فأخبره من

(280) سعيد الداعي الدغوغي كان هذا الشيخ من أهل التنوير والمقام الكبير أخذ عن القطب الجزولي وتوفي على مرحلة من فاس في أول المائة العاشرة ترجمه المؤلف تحت رقم 23.

(281) لأبي عثمان المشنزائي ترجمة في الأعلام العباس بن ابراهيم ج 10، ص 141.

هو، ثم قال له : لي منذ عام ما أكلت ولا شربت ولم تبق لي شهوة في طعام ولا غيره، وأرى أرواح أهل الله داخلة على خارجة، وأكثرهم أكواش، يعني السود، لانخفاض نفوسهم وانكسارها. وكان كثير التردد للشيخ أبي المحاسن يوسف بن محمد الفاسي والقعود عنده، وكان شديد التعظيم له، والمحبة فيه والانحياش له، وكان ظاهر البركة كثير المكاشفات، وتوفي على ما في المرآة سنة خمس وألف، ودفن في المنزه خارج باب سبتة أحد أبواب القصر وبنيت عليه هناك قبة، وذكر في المرآة كتاباً ـ كتبه بعضهم سماه، سيدي الفاسي، يقول فيه ـ وقد ذكر وفاة صاحب الترجمة وقد كانت جنازته حافلة اجتمع الناس فيها على طبقاتهم ودفن بالمكان الذي وقفنا عليه معكم، وعرفتنا أن قبره يكون هنالك بعدما كثر اللغط في موضع دفنه، وحفروا له بداره وأبى الله سبحانه الا ما اشرتم إليه، فكان ذلك بمنزلنا من معروف كرامتكم وصدق فراستكم انتهى.

75) ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الله الحجام

نزيل خبير من جبل زرهون حول زاوية الامام مولاي ادريس الأكبر من أصحاب الشيخ أبي حفص عمر الخطاب وكان له اتباع كثيرة ونية حسنة ومعتقد صحيح ومحبة قوية وأخلاق حسنة ودين متين وكان مقصودا للزائرين مزدحما للتسليم عليه، قال في الدوحة بعض ما تقدم، وأصحابه يحكون عنه الخوارق أو قال : إنه في قيد الحياة في أواسط العشرة التاسعة والله أعلم، يعني من القرن العاشر.

76) أبو عبد الله محمد القبي

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد القبي[282] الذي كان على نهر مكس في أصحاب الشيخ أبي حفص عمر الخطاب ومن أعيانهم وسباقهم وأهل الاغاثة.

77) أبو الحسن بن عيسى المصباحي

ومنهم الشيخ أبو الحسن بن عيسى المصباحي قال في المرآة : وكان من الأولياء الأكابر، وذوي الزهد والإيثار واطعام الطعام، وتوفي ودفن بالموضع المعروف بالدعداعة على وادي مضى من عمل القصر الكبير حرسه الله، أخذ عن الشيخ أبي أبي عبد الله محمد بن عسرية المصباحي عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع، وقال فيه أيضا : وكان شهير الذكر، عظيم البركة، له زاوية عظيمة لاطعام الطعام، لم يكن لغيره في قطره وعصره مثلها، وتوفي سنة ست وسبعين وتسعمائة، وفي الدوحة : ومنهم

---

(282) سقطت من الخطية ترجمة أبي عبد الله محمد القبي.

الشيخ الولي الصالح المادين أبو علي الحسن بن عيسى المصباحي، نزيل البروزي من بلاد طليق، كان عبدا، صالحا، مجاب الدعوة، له الكرامات التي لا تنكر، مع التواضع، وخفض الجناح، والانزواء عن الدنيا، وأهلها، ولما امتحن السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ زوايا المغرب، قيل له : ألا تخشى من هذا السلطان ؟ فقال إنما الخشية من الله، ومع هذا فالماء والقبلة لا يقدر أحد على نزعهما، والباقي متروك لمن طلبه، فلم يجترئ أحد على جانبه، لقيته غير ما مرة، فرأيت زهدا وصلاحا، توفي رحمه الله في العشرة السابعة، ودفن بالدعداعة من بلاد البروزي انتهى.

78) أبو العباس أحمد الشاهد المصباحي

وممن يظن أنه من أصحاب الشيخ أبي عسرية المصباحي، الشيخ أبو العباس أحمد الشاهد المصباحي الولي الكبير الجليل، وهو شيخ السيد الجليل البركة الفاضل الأصيل شيخ ركب الحجيج في وقته، أبي عمران موسى بن (معرف الطليقي[283] دفين مصمودة على أميال من ازاجي، ينتسب إلى الحسن بن علي رضي الله*عنهما)، ثم إلى[284] الأدارسة من عقبه.

79) أبو عبد الله جعران

ومنهم : الشيخ المعروف بجعران بن علي بن أحمد السفياني الزواتي، من أصحاب سيدي محمد بن منصور، دفين البسابس.

80) أبو العباس العبدي السهلي المشهور بأبي الروابن

ومنهم : الشيخ أبو العباس أحمد المدعو بأبي الروابن بن حسين العبدي السهلي، دفين خارج مكناسة، هكذا في المرآة، وفي الدوحة ومنهم : الشيخ الولي أحد رجال التصريف، أبو عبد الله محمد المعروف بأبي الروابن، ثم قال : كان هذا الشيخ من عجائب الدهر، على طريق الملامتية يتكلم بكلام فاحش، ويصبح غنيا، ويمسي فقيرا، لا يلوذ على شيء، يدفع كل موجود له للضعفاء والمساكين، وأحوال تعتريه على الدوام، وإذا لقي أحدا من الأمراء أو أرباب الأموال يقول له : اشتر مني ولا يبتك بكذا، أو

(283) هو أبو عمران موسى بن محمد بن معرف بصيغة اسم المفعول الشاوي ثم الطليقي منتشأ ينتسب إلى الحسن بن علي رضي الله عنه ثم إلى الأدارسة كان شيخا لركب الحجيج صار بالركب إلى الحج مرات متعددة يخرج في أهل فاس وغيرهم جميل الصورة بهي الهيأة، حلو المنطق، صاحب رأي، توفي سنة 1040.

(284) سقط من خـ : ما بين قوسين.

تجارتك بكذا، فإن فعل، قال : أنت في أمان، وإن لم يفعل قال له : أنت معزول، أو مقتول، فيكون ذلك كذلك، بقدرة الله تعالى، ولما تغلب السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ على مكناسة، ألح بالمطالبة لأخذ فاس، فجاء الشيخ أبو الرواين، وقال له : اشتر مني فاسا بخمسمائة دينار، فقال السلطان : ما انزل الله بهذا من سلطان، هذا شيء لم تأت به الشريعة، فقال : والله لادخلتها هذه السنة، فبقي أشهرا، والأمر لا يزيد عليه إلا تصعبا، فقال الأمير أبو محمد عبد القادر لأبيه السلطان المذكور : يا أبت افعل ما قاله الشيخ أبو الرواين، فإنه رجل مبارك من أولياء الله، وما زال به كذلك حتى أذن له في الكلام معه، فكلمه الأمير عبد القادر، فقال : ادفع المال، فدفعه له، فقال له : عند تمام السنة إن شاء الله يقضي الله الحاجة، وامري بأمره سبحانه، ثم إن الشيخ فرق المال من يومه، ولم يمسك لنفسه منه حبة واحدة، ومن ذلك اليوم، والسلطان المذكور في ظهور، إلى أن تمت السنة، فدخل فاسا كما قال انتهى. وكان دخوله فاس سنة ست وخمسين وتسعمائة، ثم دخل تلمسان بعدها، يوم الإثنين الثالث والعشرين من جمادى الأولى، من عام سبعة وخمسين وتسعمائة، والشيخ أبو الرواين هو كان أحد الأسباب في تمكين السلطان المذكور من الملك، وإخراج بني مرين منه، فإنه لما رأى مرج أمر الناس وهيجان النصارى على الإسلام، جعل ينادي ياحران، جيء فإني أعطيتك الغرب، والحران هو أحد أولاد السلطان المذكور، وهو الذي كان يتقدم للحروب، ولم يفتح والده من البلاد إلا ما فتح له على يديه، ثم نظر الشيخ أبو الرواين بعد قوله ما قال : فرأى بعض الأكابر من أهل وقته، يده على بني مرين، قيل هو الشيخ أبو محمد عبد الواحد الزعري(285)، وقيل هو الشيخ أبو العباس أحمد الشاهد المصباحي الكبير المتقدم، أحد أولاد مصباح، سلالة الأولياء، وقد احتوى هذا التقييد على ذكر جماعة منهم، فركب بغلته، وذهب إليه فلما بلغ داره، وجد ببابها ولدا له، فقال له : يا عم يا أبا الرواين أعطني هذه البغلة، فقال هي لك، ونزل عنها، ومكنه منها، فدخل إلى الشيخ والده فاعلمه فخرج، فقال له بعد السلام ما ثمن تلك البغلة ؟ فقال له أن ترفع يدك ياسيدي عن هؤلاء الناس، يعني بني مرين، فقال له : قد رفعتها، وتقدم قول الشيخ أبي محمد الغزواني، عند ارتحاله عن فاس، أيا، يا سلطنة إلى مراكش، وقوله ارتحل الأمر عن بني مرين برحيله عنهم، وذكروا عن معاصرهما الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد الصنهاجي، أنه كان يوما ينادي بقنطرة الصباغين(286) من فاس، اخرجوا يابني مرين، والله ما نتركم ببلادنا، وكان ذلك آخر انقراض دولتهم، والشيخ أبو الحسن هو الملقب بالدوار، لدورانه في الأماكن، وهو يصيح، الله، الله، وهذا هو الأقرب في تلقيبه بذلك،

---

(285) ترجمة المؤلف تحت رقم 96.

(286) الصباغين حي بمدينة فاس، تصبغ فيه الخيوط والثياب يقع بين حي الصفارين وباب السلسلة.

قيل : وكان يكره اللقب به، وكان ملامتيا، وقد ذكره في الدوحة متصلا بالشيخ أبي الرواين، وقد أردت أن أذكره لقصد في ذلك، وإن لم يكن في هذه الطائفة الجزولية، لكونه أخذ عن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم الزرهوني، المعروف بأفحام، دفين جبل زرهون، وبعضهم يقول : أفهام بالهاء وكان ملامتيا أيضا، وكان قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فنفح له على يده الكريمة، وأخذ عنه، ثم انضاف إلى الشيخ أبي العباس زروق وصحبه، وانتسب إليه، بقصد التربية والتهذيب،، إلا أن الذي عندنا من أنه زروقي هو بحسب الولادة والانتساب، ولا يبعد أن يكون لقي أحد المشايخ الجزوليين أيضا، وانتفع به، فإنهم كانوا كثيرين، منتشرين في سائر البلاد، وهو ذو قابلية وتهيئة، كما لا يبعد ذلك أيضا، في حق شيخه، وذكروا أيضا أن الشيخ زروق لقي الجزولي، فهو معدود فيمن لقي من المشايخ، ولا أدري هل ذكره هو في برنامج شيوخه أو لا.

81) أبو الحسن علي الصنهاجي المعروف بالدوار

قال في الدوحة ومنهم أي مشايخ القرن العاشر، الولي الشهير، الشيخ أبو الحسن علي الصنهاجي المعروف بالدوار، كان رحمه الله من عباد الله الصالحين، وولايته عند أهل فاس قطعية كفلق الصبح، وكان بهلولا، مجذوبا، على طريق الملامتية[287] تعتريه أحوال الجذب في كل حين، وليس له أهل ولا قرار، يخبر بالمغيبات، ويكاشف به من لقيه، لا يلتفت إلى مدح، ولا إلى ذم، يدخل في ديار ملوك بني مرين، فيتلقاه النساء والأولاد فيقبلون يديه، وقدميه، فلا يلتفت إلى أحد، ويدفعون إليه الحوائج الرفيعة والذخائر النفيسة، ويلبسه السلطان من أشرف لباسه، فإذا خرج تصدق بجميع ذلك، ويمر على حوانيت الزياتين، فيغمس أكمام الحلة التي تكون عليه، ويرفعها بالزيت أو بالسمن، ولا يزال يدور في بعض الأماكن، ويصرخ باسم الجلالة، ولا يعرف أحد له مأوى، وشأنه عظيم عند أهل فاس، لما رأوا له من الكرامات التي لا تحصى، ولما توفي تساقط الناس، على جنازته، وتقسموا أعواد نعشه وسجادته، ولباسه، وكانت وفاته في آخر العشرة الخامسة، ودفن خارج باب الفتوح، وحضر السلطان والفقهاء وغيرهم جنازته، رحمة الله عليه، ومن كلام صاحب الدوحة في سيدي علي الصنهاجي : وكان رضي الله عنه، له صاحب يبيع الزيت والسمن بعين علون[288] من سوق فاس، فكان يأتيه فيعطيه الزيت يريقه على نفسه، فإذا به أقيمت عليه بينة أنه حلف بيمين

(287) الملامتية طائفة من العباد والزهاد يصرفون نظر الناس عنهم واعتقاد صلاحهم بالقيام بأشياء ظاهرها مخالف للشرع.

(288) عين علون حي بفاس بين العطارين والشرابليين.

الزوجة ليحج العام، وقد ذهب ركب الحجيج، ولم يبق مطمع في لحوقه، وتعين عليه فراق زوجه إن مضى وقت الحج، فشق ذلك عليه، كثيرا، فبينما هو على حاله تلك مهموما مكروبا، إذا بسيدي علي، قد أتاه على العادة فقال له : إليك عني، ولم يجد فيه مساغا للكلام، فسأله عن حاله، فأخبره خبره، وما هو فيه، فقال له : لتحجن العام، فليسكن روعك، واشتغل على شغلك، حتى يأتي إبان الحج، فاشتغل كما أمره، فلما حضرت أيام الحج، جاءه فقال له : سر معي، فسار معه، وقيل إنه اردفه وراءه، على قصبة إلى موضع خال من الناس، فأطلقه في بلاد أخرى، لا يعرفها، وقال له : إذا حججت فقل لمعارفك يكتبوا لك إلى أهاليهم، وأنا أتيك، فسأل عن البلد فإذا هي حرم مكة، فدخلها ولقي معارفه فسألوه عن مجيئه، وكيف كانت قصته، فقصها عليهم، فلما تم حجه، قال لهم : إني ذاهب إلى بلدي، فمن أراد منكم أن يبعث معي كتابا فليكتب، فكتبوا إلى أهليهم، ومعارفهم، فأتاه سيدي علي، وفعل به ما فعل به أو لا، وإذا به في بلاده، فجعلوا يسلمون عليه، ويقولون له : أين كنت ؟ فيخبرهم بأنه قد حج، فيعجبون منه، وينكرون عليه، فأعطاهم كتبهم واستوصفوه البلاد، فوصفها لهم، فتوقفوا في أمره إلى أن قدم أصحابهم، فسألوهم عنه، فأخبروهم بحجه معهم، وأنهم الذين كتبوا له الكتب فاتضح أمره، وسلموا له، وقد تكلم شيخ شيخه سيدي أحمد زروق في شرح الوغليسية، على الحج بالخطوة هل يكفي في حجة الفريضة، فراجعه، وكانت خديمته وضجيعته في المدفن السيدة أمنة بنت أحمد القاضي، لا تفارقها آنية الزيت، إذا أتاها، وجدها عندها، ليزيقها على نفسه، وكانت هذه السيدة تخدمه وتتبعه، وكان أهلها ينقمون ذلك عليها، وكان يقول إنه ما جاء بأولاد ابن القاضي كلهم من مكناسة إلا لأجلها، وسجنوها مرة في غرفة، وجعلوا عليها قيد الحديد، فلم يشعروا إلا به واقفا في وسط الدار ينادي : ياآمنة، وكان لا تحده الحدود، ولا يمنعه حائط، ولا باب فلما ناداها، قالت : نعم ياسيدي فقال لها :

اهبطي، فإذا بالقيد قد سقط من رجليها، وإذا بها قد خرجت إليه، وهم ينظرون، والغرفة على حالها مسدودة، فمن يومئذ سلموا لهما، وكانت يوما قد طبخ أهلها دجاجا وأعطوها سهمها، فقالت، لو أن كلبة سيدي لكلبة كانت له، لاعطيتها سهمي هذا، فإذا بالكلبة معها، مادة يدها، فناولتها إياه، وكانت امرأة أخرى تخدمه، وكان زوجها لا يحب ذلك، وكان يمنعها من المسير إليه، فأتى سيدي علي يوما، فوجد الزوج في وسط الدار، فهزه سيدي علي بيده وأجلسه في وسط الدار، فما استطاع القيام من هناك حولا، وهو يظالل عليه هناك من المطر والشمس، وبعد الحول دخل سيدي علي فكلموه، ورغبوا إليه فيه، فأتى إليه فهزه، وأقامه، فقام كأن لم يكن به شيء، ودخل يوما دارا فصعد السطح، وجعل يدور بحلقة الدار، وهو يقول : الله، الله مولانا، يكرر ذلك لوارد ورد عليه في الوقت اقتطعه عن ضبط حسه، فلم يبال بجمع ثيابه عليه، فقالت امرأة

في نفسها سيدي علي يدور على رؤوسنا، ولم يجمع عليه ثيابه، فنزل إليها مسرعا، وقال لها، وأنتن أي عدوات أنفسهن أو كلمة تشبهها تدخلن حيث دخل ماء الوضوء، ودخل دارا بغتة قبل أن يستأذن أهلها، فوجد ربتها تغسل ثيابها، وهي مشمرة ثيابها التي عليها، فكرهت دخوله عليه في تلك الحال، وإذا بصبي قد سقط من سطح الدار، وافق دخوله، فلقيه بيده، وأنزله إلى الأرض سالما، وقال للمرأة، هذا الذي أدخلني، وخرج على طريقه سريعا، ومر يوما بدار، فألقى يده تحت عتبة الباب العليا، وجعل يصيح : يا أهل الدار اخرجوا، فلما خرجوا كلهم، ولم يبق بها منهم أحد، أزال يده، فسقط الحائط، وسلموا جميعا، وكان يوما جالسا بباب مسجد القرويين، والناس يصلون، وهو يأكل الخيار، فاجتاز به رجل داخلا للمسجد، يصلي، فقال في نفسه، الناس يصلون وسيدي علي يأكل الخيار، لا يصلي معهم، ثم دخل، فكان يصلي وخاطره يتحدث بشراء حمار احتاج إليه من سوق الخميس، وكان ذلك اليوم يوم الخميس، والصلاة صلاة الصبح، فلما خرج، ناداه سيدي علي يا فلان، أكل الخيار خير من صلاة الحمار، هكذا حكى الحكاية حفيد الرجل الذي وقع له ذلك معه وغيره، ومما وقع بعد موته، أن بعض الناس كان عنده سراويل له، فأراه جماعة من الناس في أيام الهرج، وقسمة فاس، ووقوع الشر بها، فأراد بعض الحاضرين أن يتنخم، فتنخم في السراويل استهانة به، فبنفس ما صدر منه ذلك، أتته رصاصة مدفع فضربته، في فمه، أخبر بهذا من حضر القضية، وله رضي الله عنه أبيات تنسب إليه وهي :

الموت أفنى من مضى	والموت يفنى من بقي
والموت يجمع في الثرى	بين المنعم والشقـــي
يا من أسا فيما مضـــى	كن محسنا فيما بقـــي

وله كلام على معاني حروف الهجاء وأسرارها لم يحضرني، ولنرجع إلى كلام صاحب الدوحة في سيدي أبي الروائن : قال إثر ما تقدم : أخبرني غير واحد من فقهاء قصر كتامة، أن الشيخ أبا الروائن أتى القصر، وصاحبه يومئذ القائد عبد الواحد بن محمد العروسي، في عصبة من أقاربه أولاد عبد الحميد، فصعد أبو الروائن صومعة المسجد، ونادى بأعلى صوته : يا بني عبد الحميد، اشتروا مني القصر، أو تخرجون منه في هذه السنة، فسمع ذلك القائد عبد الواحد، فقال : إن كان القصر له أو بيده ينزعه منا، ما بقي لنا إلا كلام الحمقى نلتفت إليه، ومن الغد خرج الشيخ من البلد، وهو يقول : القائد عبد الواحد وأهله يخرجون من البلد ولا يعودون إليه أبدا، فكان ذلك بقدرة الله تعالى، وبعث يوما إلى الفقيه الخطيب أبي علي حرزوز، وهو يقول له : اشتر نفسك، فلم يكترث بكلامه، فقال أبو الروائن للرسول : ارجع إليه وقل له سيقتل ذبيحا، هو وولده، ويعلقان على باب دارهما في القرب، فبلغ ذلك الفقيه أبا علي، فذهب مسرعا

حتى أتى الشيخ أبا الرواين، فقال له : ياسيدي ما هذا الذي تقول ؟ فقال : هفوة صدرت، ومشيئة سبقت، فقال : ياسيدي نفعل كل ما تقوله لي، فقال : ما يكون إلا ما كان، ثم تراخى الأمر مدة من ثلاثة أشهر، فكان الأمر كما قال حسبما نبينه في ترجمة أبي علي إن شاء الله تعالى انتهى ويحكي شائعا بمكناسة، أن ولد أبي علي حرزوز كان يوما جالسا بباب دربهم، وكان في الطريق طين، وإذا بالشيخ أبي الرواين مار، عليه ثياب رفيعة، أظنه لصلاة الجمعة ولعله جاء من غير داره، وكانت له دار أخرى، غير هذه المعروفة به إذ هي فيما بين الدرب المذكور، والمسجد الأعظم، فقال له : إن كنت تحب الله فتمرغ في هذا الطين فجعل يتمرغ فيه، لما قدم له الله، ثم قام، فقال له : أقنعت ؟ فقال له : نعم، فقال له : هكذا تتمرغ أنت وأبوك في الحديد، فكان كما قال، ثم قال في الدوحة إثر ما تقدم : وله في هذا الفن حكايات كثيرة، وحدثني غير واحد ممن يوثق بحديثه من فضلاء مكناسة : أنهم جدبوا مرة، وأتوا الشيخ يستسقي بهم فقال لهم : أمهلوني حتى أرجع إليكم فذهب إلى داره، وتصدق بكل ما فيها، وبجميع ما كان عليه، وعلى أهله، ولم يترك بداره لقمة خبز ولا حبة زرع، ولبس تليسا وخرج إلى الناس، وقال : قوموا بنا، الآن يصح الطلب، ويصدق الدعاء، فما رجعوا حتى سقوا وانهالت عليهم السماء كأفواه القرب، ومناقبه كثيرة توفي في آخر العشرة السادسة، ودفن بباب روضة شيخه ابن عيسى، رحمه الله وبنوا عليه هنالك قبة. أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عيسى الكبير الفهري(289)، وعليه عول، وإليه انتسب، وكان يأتيه بالليل، فينقر عليه الباب، ويقول له : هل نحن باقون على العهد ؟ فيقول له باقون يا ولدي إن شاء الله، يفعل ذلك غير ليلة، فلما مات شيخه قال : الحمد لله على الفراق على خير، واستأذنه مرة في زيارة سيدي الصغير السهلي، وكان الناس يزورونه، فأذن له، فلما أشرف عليه، رأى منه ما بهر عقله واستعظمه، وكأنه مال إليه، فرأى فيه ذلك سيدي الصغير، فقال له : إذا رجعت إلى سيدي محمد بن عيسى، فاقرئه مني السلام، وقل له : يدعو لي، فداواه بذلك وجبر منه ما انصدع، وقال في نفسه : هذا يطلب الدعاء من سيدي، ويقول له : سيدي محمد، فسيدي - إذا - أعظم منه، فلما رجع إلى شيخه، وبلغه رسالة سيدي الصغير، عرف السبب فقال : جزى الله عنه سيدي الصغير خيرا، وأما أنت فقد كنت مشيت علي، وكان هذا الشيخ سيدي أبو الرواين رجلا محبوبا احرزته المحبوبية فلم يضره ذلك، وقد ضرب يوما ولد شيخه لأمر اقتضى ذلك فأخبر الشيخ، فلما رآه جعل يسأله، ويلاطفه، ويقول له : على أي شيء ضربته يا أبا الرواين ؟ والله ياولدي لأنت أعز منه، وكانت الحروب تقع بين المسلمين والنصارى، فيحكي عنه أنه كان مرة يقول : أنا مع المسلمين، ومرة يقول أنا هذه المرة مع النصارى،

(289) ترجمه المؤلف تحت رقم 32.

يعني أنهم الذين يغلبون، وأن هذا الذي وجد بقلبه وهو مظهر للقدر ومائل معه، حيث مال، فيكون كما قال، لا أنه يحبهم، أو يكون معهم على الوجه الذي منعته الشريعة، وعجائبه وغرائبه كثيرة، تحفظ ولا يقاس عليها، ومن كلامه في الشيوخ المبطلين المنتصبين لاستتباع الخلق، بهوى أنفسهم : (بالهوى عملوا التلميذ : **لا عناية لا سر جديد، ما يروا إلا بالتمجيد ويلهم غروا بهم**) رضي الله عنه ونفعنا به.

82) أبو عبد الله محمد بن عمر بن داود المختاري

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر بن داود المختاري، من أحواز مكناسة، من أصحاب الشيخ ابن عيسى الفهري أيضا، قال في الدوحة : كان من الصالحين، وكانت أحوال الجذب تغلب عليه، فيكاشف بالغيب، وكان كثيرا ما يذهب إلى الولوع بالصيد، وسمعت القائد أبا العباس أحمد بن عضيفة يقول : والله ما رأيت مثل سيدي محمد بن عمر، كاشفني بأمور لم يطلع عليها أحد إلا الله سبحانه، ولقد صنعت صنيعا، لم يعلم به إنس ولا جان، ثم جئته، وقلت في نفسي : إن كان من الأولياء يفضحني، بما صنعت، فلما دخلت عليه، أخذ بيدي ودخل بي إلى موضع خال، وقال لي : يا أخي، النصيحة، والتوبة لازمة، وأنت لا تقبل الإشارة، ولكنك صنعت كذا وكذا، وذكر لي القصة، كأنه كان حاضرا معي، فقلت : أتوب إلى الله سبحانه، فقال : استر ما سمعت، ولا تخبر به أحدا، لقيت هذا الشيخ مرتين : إحداهما في تامسنا، في محلة الغالب ابن السلطان ابن عبد الله محمد الشيخ، والثانية بفاس، سنة سبعين، وكنا نجتمع معه بمسجد القرويين في كل ليلة مدة من شهر، ومعنا الشيخ أبو القاسم بن منصور الغمري فكان نعم الفاضل، ونعم العارف، حسن الأخلاق، غزير المعرفة، عظيم اليقين، كثير الأدب، والتواضع، وله مناقب كثيرة، ينقلها المرابطون من أصحابه وغيرهم، توفي في العشرة السابعة، ودفن بموضع يقال له أجروا بإزاء وادي الكل، على مرحلة من مكناسة رحمة الله عليه انتهى.

وقوله في العشرة السابعة صوابه الثامنة، لأنه ذكر أنه لقيه سنة سبعين، وهذا يقع له كثيرا يعبر عن العشرة بالتي قبلها، ويظهر من دلالته لسيدي جابر بن مخلوف الرياحي على سيدي يوسف الفاسي أن صاحب الترجمة تأخر عن سيدي عبد الرحمن المجذوب، والله أعلم، والذي نسمع أنه مدفون بأبي طريف رحمه الله ورضي عنه.

ومن أخباره ومكاشفاته، أنه كان مارا مع أصحابه يوما، بموضع، وكان به غنم ونعجة تزغر[290] وتصيح، فقال لهم : الا تسمعون ما تقول هذه النعجة ؟ قالوا فما

(290) كذا في النسختين، ولم نتبين معناها.

تقول ياسيدي ؟ قال : تقول امرضوا بهذا الموضع، اتخلفوه فإني بهذا الموضع أكل الذئب ولدي، عام أول، فتخلف رجل ممن كان معهم، فسأل الراعي، هل رعي بهذا الموضع عام أول ؟ وهل أكل له الذئب شيئا ؟ فقال : نعم هنا أكل الذئب عام أول ولد تلك النعجة، وأشار إليها، فرجع وأخبر بذلك، وزار بعض الناس من معارفه بعض الصالحين النائيين من بلادهم، فلما رجع، أتى الشيخ يسلم عليه، فسأله كيف كانت زيارتكم ؟ فقال : حسنة، الطعام كثير، والناس يقبلون علينا، وجعل يذكر هذا بما استحسنه، فسبه، وقال له : أنا أسألك عن قلبك، وما ازداد فيه من خير ونور، وأنت تذكر لي الطعام، وحشو البطن، ألهذا تعنيت وأتعبت نفسك ؟ رضي الله عنه ونفعنا ببركاته.

83) أبو عمران موسى بن علي المختار

ومنهم : الشيخ أبو عمران موسى بن علي المختار، صاحب ايثراس من أحواز مكناسة، من أصحاب الشيخ ابن عيسى الفهري، أيضا، وله شهرة واتباع.

84) أبو الحجاج يوسف الدريدي المختاري

ومنهم : الشيخ أبو الحجاج يوسف الدريدي المختاري، من أصحاب الشيخ ابن عيسى الفهري أيضا، وكان عنده حارسا في بستان اثنتي عشرة سنة.

85) أبو عمران موسى بن يعقوب المختاري

ومنهم : الشيخ أبو عمران موسى بن يعقوب المختاري، وجدت بخط جدي للأم، الشيخ أبي العباس أحمد، بن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي، ما نصه : أخبرني الشيخ أبو عبد الله محمد الصغير السهلي أن الشيخ أبا عمران موسى بن يعقوب المختاري، أحد تلامذة الشيخ الولي الكبير أبي عبد الله محمد بن عيسى الفهري الكبير، قال : قالت لي يوما نفسي : أنت رئيس المحبين، فسمع صوتا :

بالله يادعي المحبة، عدّ لنا، الغاي فيها، والأقصى، وادناها.

قال : وغلب على ظني أنه صوت سيدي محمد بن عمر المختاري أخوه في الشيخ قال : فاستعذت من الشيطان ثم مشيت، فسمعت ذلك الصوت يقول ذلك : أيضا فاستعذت من الشيطان أيضا، فعاود أيضا كذلك وعادوته بمثل ذلك قال :

فحضر لي الجواب، من بركة سيدي، يعني سيدي محمد بن عيسى فقلت :

الغاي رفع الحجاب علو، حيث دنا   والاقصا جاز على العوالم خلاها

وليس الشأن الانس بمن هو يفنى   وليس الشأن أسرار وأنوار يراها
وليس الشأن بما سوى الله يعني   بالك تنمي بالمحبا مولاهــــــــا
شهود الذات يغنيك عن كلاها انتهى

86) أبو عبد الله محمد الشباني المختاري

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد الشباني المختاري

87) والشيخ أبو عبد الله محمد الرجراجي دفين مدشر وادة

88) والشيخ أبو العباس أحمد الخلوف

من عرب أولاد حسين، الذين منهم قبيلة مختار، والثلاثة من أصحاب الشيخ ابن عيسى أيضا رضي الله عنه، وعنهم، أجمعين وتقدم ذكر الشيخ أبي الحجاج يوسف بن عيسى الفجيجي في أصحاب الشيخ الغزواني، وهو ممن أخذ عن الشيخ ابن عيسى الفهري أيضا، كما تقدم قول صاحب الدوحة، وكان تلميذه يعني تلميذ سيدي ابن عيسى شيخنا أبو الحجاج بن أبي مهدي، يقول سيدي ابن عيسى :

هو الأكسير الذي لا نظير له وتقدم قوله : في سيدي أحمد الحارثي، شيخ شيخنا، فلعله إلى سيدي ابن عيسى ينتسب، وعليه يعتمد.

89) أبو عبد الله محمد بن مخلوف الضريسي

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن مخلوف الضريسي، دفين بوشفان، من بلاد ضريسة، ببلاد الهبط، عمل القصر الكبير، حرسه الله، من أصحاب الشيخ أبي حفص عمر بن مبارك الحصيني، دفين مكناسة، قال في المرآة : وكان من أهل الولاية والمكاشفة، وصدق الفراسة، وجلالة القدر.

90) أبو عبد الله محمد بن الزبير بن أبي عسرية

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن الزبير بن محمد أبي عسرية بن الزبير بن الحسن بن الزبير بن طلحة بن مصباح المصباحي، الولي الجليل، كنت جمعت بعض مناقبه قديما، وانسيتها، وأخذ عن أبيه سيدي الزبير، وعن الشيخ أبي حفص سيدي عمر ابن مبارك الحصيني(291)، وعن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر بن داود

---

(291) انظر ترجمته تحت رقم 33.

المختاري(292)، ولا أدري لمن ينتسب منهم، رضي الله عنهم أجمعين.

91) أبو الحسن علي اللهبي

ومنهم الشيخ أبو الحسن علي اللهبي، دفين ضفة نهر سبو(293) عليه قبة مشهورة، قريبا من سيدي مالك بن خدة على نحو ميلين، بالعدوة الأخرى أسفل منه، وأخذ عنه فيما قيل.

92) أبو محمد عبد الرحمن بن عياد

وممن أخذ عن هذه الطائفة عموما، ومن أصحاب الشيخ الدباغ خصوصا، وامتد منها وتكمل بها، وإن كانت ولادته الروحانية لغيرها، الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن عياد بن يعقوب بن سلامة بن خشان السنهاجي الأصل، ثم الفرجي الدكالي، عرف بالمجذوب، العظيم القدر، المحقق الشهير ذكره في الخلق، العارف الكبير، الكامل، والمحقق، الخطير، الواصل عالي المقامات، وصاحب الكرامات، ذو الإشارة السنية، والأحوال الربانية، والمحبة الذاتية، والخصائص والمآثر العديدة، والمناقب والمفاخر الحميدة، والبصيرة النافذة المميزة والأنوار التامة الفياضة الممدة، والهمة الفعالة العلية، المكاشف الصديق الوارث الرباني، قطب زمانه في الأحوال، ومعد فحول الرجال، شيخ وقته وأعجوبة دهره، ونخبة عصره، كان مأوى سلفه المبارك أهل الخير والصلاح برباط عين الفطر بساحل بلاد أزمور، ويعرف أيضا بتيط، ثم رحل هو ووالده إلى نواحي مكناس الزيتون، ثم سكن هو مكناسة، فلما أراد الله إظهار عنايته به، وكرامته عليه، وخصوصيته لديه، ساق إليه بعض الفقراء فاستضافوه، فأضافهم، وأحسن نزلهم، وأكرم مثواهم.

فكان ذلك سببا منه تعالى لإظهار فتحه، وأجلا لتنزيل رحمته عليه، اقبل على الاضياف، فأقبل الله عليه من غير تعمل منه، ولا قصد لذلك، فرأى رجلا فضربه، فقضى له اربه، فبقي عاما وهو موله، يصيح : الله، الله، ولا يعرف أين صاحبه، ولا أين يقصده، إلى أن دفع إلى فاس، فبينما هو بباب القرويين، النافذ إلى الشماعين، إذا هو بصاحبه، فعرفه، فإذا هو سيدي علي بن أحمد الصنهاجي، عرف بالدوار(294)، فأقبل عليه، فامسك به سيدي علي وحركه، ثم دفعه، فإذا به بالبرج الجديد، بواد فاس،

---

(292) انظر ترجمته تحت رقم 82.

(293) وادي سبو من أعظم أودية المغرب، ينبع ماؤه من الأطلس المتوسط وينصب في المحيط الأطلسي في مدينة المهدية، وهو يحاذي فاس من الجهة الشرقية.

(294) انظر ترجمته تحت رقم 81.

يمكنه من الخطوة، وطي الأرض. قال : فرأى في تلك الحال أن الشيخ سيدي علي رفعه من سرته إلى أصبعه، وأهل الله مجتمعون، وهو يقول لهم : من أحبني فليعط هذا، ثم سار إلى بلده، فجعل يلقي المشايخ من أهل الله، ويعطونه كما رأى، فلقي بمكناسة سيدي أبا الروابن(295)، فأخذ عنه في حكاية معروفة، وهي أن الشيخ صاحب الترجمة، مر يوما عليه بباب داره، وعليه برنس جيد جديد، فقال له : تعالى فاكنس ما تحت هذه الدابة، لدابة كانت له بالأروى، فأجابه إلى ذلك، فدخل سيدي أبو الروابن، يخرج له ما يحمل فيه الزبل، فلما خرج وجده قد طرح برنسه بالأرض، وجعل فيه الزبل وقضى ما قضى، فبقي متعجبا منه، وقال : ما غلبني غير هذا، وما رأيت مثله قط، لأنه أراد أن يختبر مكانه من النظر إلى نفسه، والرضا عنها، فوجده فوق ما يظن من خفض النفس، وعدم المبالاة بها، ويقال : إن ذلك البرنس، لم يزل يفوح مسكا من ذلك الوقت، وكان عند أولاده في ذخائرهم يتبركون به، ولقي بمكناسة أيضا سيدي سعيد ابن أبي بكر المشنزائي وأخذ عنه، ويقال إنه به تماسك، ورجع إلى وجوده، وكان قبل مقتطعا عن حسه، غائبا عن شاهده، يريق على نفسه ما يكون من مائع الطعام، واستشاره في المشي إلى الحج، فقال له : ياسيدي عبد الرحمن مكة عشاقة، الذي تبغيه هي تزوره في داره، قال له ذلك مقالا، ومكنه منه حالا فجعل يقول : أجاذيب سعيد الحبيب، أجاذيب سعيد الحبيب، ثم قال له : ناتيك بحطبة وكأنه لأجل ما أفاده بتلك الحالة، فأتاه بها، ولقي بها أيضا السيد الشريف سيدي أحمد الشبيه، جد شرفاء مكناسة، من أصحاب سيدي محمد ابن عبد الرحيم بن يجبش التازي(296)، ولقي الشيخ القطب سيدي عمر الخطاب(297)، صاحب جبل زرهون، وهو عمدته في التربية وسلوك الطريق، ووقعت له معه حكاية، ظهر فيها على سائر أصحابه، ممن كان ينسب إلى الجذب، فقال لهم، سيدي عمر : لايبقى مجذوب إلا المجذوب، وأمرهم بتغطية رؤوسهم، وغلبت عليه التسمية بالمجذوب.

وجرى ذلك على ألسنة الخلق، واختص به دون غيره من المجذوبين، إظهارا لحقيقته الباطنة، وإكراما من الله له، وإعلاما بقوته فيه، ومما اتفق له من الكرامة في التسمية، ان إنسانا ممن كان يؤذيه من أهل قصر عبد الكريم، كان يغير اسمه فيقول فيه : المجذوم بالميم، فبينما هو نائم ذات ليلة، إذا بالشيخ صاحب الترجمة وقف عليه في يده جعبة، فأدناها من وجهه، ونفخ فيها، أو نفث، فطارت رشاش منها على وجهه، فلما أصبح إذا آثار ذلك في وجهه جذاما تجذم كله، فجعلوا له خارج المدينة بيتا من

(295) انظر ترجمته تحت رقم 80.

(296) انظر التعليق رقم : 115.

(297) ترجمه المؤلف تحت رقم 24.

فقسب، وكان أهله إذا أتوه بما يأكل من خبز أو نحوه، جعلوه في رأس قصبة طويلة ثم ناولوه إياه، وبقي كذلك طريدا فريدا مهانا، إلى أن مات بعد أن كان ذا عز وجاه، وظهور، ورياسة، نسأل الله السلامة والعافية من مبارزة أهل الله بالمحاربة بإذاية أوليائه، وذكروا أن الشيخ سيدي عمر، هو الذي أمره بسكنى بلاد الهبط، ولقي سيدي عبد الحق الزليجي(298)، دفين جبل زرهون، ولقي أيضا سيدي يحيى بن علال، والد سيدي قدار، ذكر عن سيدي قدار، انه قال : اعقله وهو يطحن الرحى عندنا، ولقي أيضا سيدي محمد جعران السفياني(299) وغيرهم من المشايخ، ثم لما كمل حاله وانتهى امره، وصلح لانتفاع الخلق به، أشار عليه سيدي عمر الحطاب بسكنى بلاد الهبط، كما قدمناه، وذلك لأن صاحبه الذي يأخذ عنه حالته، ويبث فيه حكمته، كان بتلك الناحية، وكان هذا الصاحب مرادا بذلك ومطلوبا ومقربا عند الله محبوبا، فأظهر عنايته به في الخارج، فجعل الشيخ هو يطلبه ويربيه، ويرقيه، ويحميه العوائق والعلائق ويذود عنه، إلى أن كمل امره وتوجهت خلافته، ولما بلغ الشيخ الأمانة، وقضى الوطر المقصود منه هناك، ولم يبق له الا اللحاق بجوار الحق، والحلول ببساط قربه، أراد الرجوع إلى مقره الأول، فأمره في مرض موته عند اقتراب أجله، وهو بداره بيوزيزي من بلاد مصمودة، بحمله إلى مكناسة الزيتون، ودفنه هناك، فلما حملوه جاء أهل تلك البلاد، وأبوا أن يتركوهم لذلك، فكلمهم الشيخ، وقال لهم : لما كنت حيا بينكم، لم تكن لكم بي مبالاة والآن تجملون علي هذا، لا أسامحكم على ذلك، فرجعوا عنه خائبين، فتوفي وهم به في الطريق، بمدشر مرقاشة، من بلاد عوف، وسط ليلة الجمعة، موافقا لليلة عيد الأضحى، فوصلوا به إلى مكناسة، ودفنوه خارج باب عيسى منها. وذلك ضحوة يوم الأحد، الثاني عشر من ذي الحجة، عام ستة وسبعين وتسعمائة، وكان في أيام حياته، وقف بمكناسة على قبر سيدي عمران بن موسى، المجاور له هناك، فأخذ وتدا، ودفه حيث قبره الآن، وقال : هنا نعمر على سيدي عمران، فلما حفروا له وجدوا الوتد بحاله عن غير قصد منهم، ولا علم بالوتد، وكان ذلك منه إشارة إلى أنه أحد الأربعة الأوتاد، وقد قيل له : شاب رأسك يا سيدي، فقال : الوتد من رأسه يشيب، وكان وارثه سيدي يوسف لم يحضر موته لما مات، وإنما لحقه في الطريق بعد موته، فسار معهم إلى أن دفنوه، وبنى عليه القبة التي عليه في أيام قليلة بدراهم يسيرة، وانصرف، وكان الشيخ صاحب الترجمة رضي الله عنه عظيم الحال، باهر الخوارق، كثير الكرامات، بحيث عزت عن الحصر، وملأت الوجود، غزير المكاشفات، فكان كثيرا ما يخبر بالشيء قبل أن يكون، وكانت له الإغاثة في البر والبحر، والخلوة، فلقد كان يقف كل سنة

---

(298) انظر الترجمة رقم 31.

(299) انظر الترجمة رقم 79.

بمرقات، وكان يجري في كلامه الإخبار عن اللوح المحفوظ ورؤية ما فيه، وكان يرث المشايخ، فأول من ورث، شيخه سيدي علي الصنهاجي(300)، ورثه أولا، هو وأخته في الشيخ السيدة آمنة(301) بنت أحمد بن القاضي، خديمة سيدي علي، وضجيعته في مدفنه، للذكر مثل حظ الأنثيين، حسبما أخبره به هو، ويقال إنه دخل عليه قرب احتضاره فأعطاه خبزة، وقال له : إياك النساء، فمشى، فبينما هو براس الماء على نحو تسعة أميال من فاس، إذا بالسيدة آمنة وقفت عليه، فقالت له : هات الخبزة، فناولها إياها، فقسمتها فأعطته الثلثين، وأمسكت لنفسها الثلث، فقال لها : لولا ما قسمت بالعدل لخشيت على نفسك، ثم ماتت فورثها، وقال : الآن حصل لي إرث أبي كامل، وآخر من ورث سيدي عمر اللواح المسرفي ورثه في آخر أمره بعد امتلائه، فكان يقول : كل شيء قدرت عليه الا متاعك يالواح، وكان يظهر أثر قوة ما نزل به من ذلك في جلده، وورث أيضا سيدي إبراهيم الزواوي التونسي، دخل عليه قرب موته فأعطاه خبزة، ثم قال له : مع من تأكلها ؟ قال له : وحدي، فقال له : هو الذي عندي فيك يا أباكرش، وكان أعني صاحب الترجمة صاحب ملامة، كما كان شيخه الذي ولده في المعنى سيدي علي الصنهاجي، وشيخ شيخه سيدي إبراهيم أفحام، فكانت تجرى على ظاهره أمور توحش الخلق، فيتنافرون عنه، وينكرون عليه بسببها، وهي في حقيقتها صواب، وصادرة عن عين الجمع، وكان يوصي أصحابه بعدم الاقتداء به، فيما يخرج فيه عما يعرفونه، من ظاهر الشريعة، مما يجبره عليه وارد الحقيقة، لا يكترث بالخلق في إقبالهم ولا إدبارهم، مجموعا على مولاه، لا يلتفت لغير ما به تولاه، بل كان يعد إقبال الخلق عليه ليلا، وإدبارهم عنه نهارا، يفر طول دهره من نفسه، ومما سوى الله إلى الله، قد صفا باطنه من شوائب الكدر، واستوى عنده الذهب والمدر والمدح والذم والشدائد والنعم، بل يعد نعمة الدنيا منعا وبلاء، والشدة عطاء ورخاء، اعرض في بدايته عما سوى الله فحصل في نهايته من فضل الله ما لا يعلمه إلا الله، فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين(302) الآية. وكان مردودا عليه للشريعة، مترسما برسمها، مقيما لوظائفها سؤولا عنها، متبعا للسنة عاملا بها، وكان من شأنه، إذا كان في غمرات الحال، وفيضة الوارد، فسمع أذان المؤذن للصلاة، قال : هذا بريح السلطان قد أتى، وقام إلى الصلاة، وكأنما كان فيه ثوب نزعه وإذا حضر الوقت ولم يكن من يؤذن أذن هو، وكان يتسبب

(300) ترجمه المؤلف تحت رقم 81.

(301) السيدة آمنة بنت الفقيه القاضي أبي العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي، أخذت عن الشيخ أبي الحسن علي الصنهاجي، وكانت تخدمه، وتتبعه ولا تفارقها إناء الزيت، إذا أتاها وجدها عندها ابريقها على نفسه، وهي زوجة ولد عمها أبي زكريا يحيى ابن قاسم بن علي بن أبي العافية المكناسي توفيت سنة 960.

(302) سورة السجدة الآية 17.

ويحرث ويتزوج، ويلد، ويعطي كل ذي حق حقه، ويوفي كل ذي قسط قسطه، وكان متواضعا متأدبا خصوصا مع أهل الله، وأهل جانب الله، مراعيا لحقوق أهل البيت النبوي وأهل الله، ساعيا في مصالح عباد الله، مواظبا على خدمتهم، وإطعام جائعهم، وإغاثة ملهوفهم، وكفالة ضعيفهم، مواسيا لهم بما له في الشدة والرخاء، باذلا لجاهه معهم، راغبا في إدخال السرور عليهم، بالغا في ذلك كله المجهود، صابرا على أذى الخلق، غير مكترث بما يلحقه من البلايا والمحن في ذات الحق، لم يكن لنفسه عنده مقدار، ولا قيمة، وما ذلك إلا لما استولى على باطنه من التجليات العظيمة، وصحبه ناس كثيرون، فظهرت على كثير منهم بركته، وعمتهم رعايته، وأمتهم عنايته فامتدوا منه بأذواق عالية، وأحوال سنية، ومواجد ربانية وكان يكثر ذكر الله تعالى[303] (وكان له حزب من كلامه وجمعه، وكان يتكلم في حال غيبته بكلام موزون، يحفظ عنه من الكلام الملحون، على لسان أهل العروض وأوزانهم الشعرية) يشتمل على ذكر الله، والثناء عليه، وتمجيد رسوله صلى الله عليه وسلم، والإشارات العرفانية والحقائق الذوقية، والدلالة على الله، وعلى أمر الله والنية والصدق، والمحبة والكلام على النفس وعيوبها والروح وحالها، وشروط الشيخ، والصحبة وآدابها والإخبار بالمغيبات وغير ذلك، إلا أن الناس كلما رواه من الكلام على وزن كلامه نسبوه إليه، فخلطوا فيه كثيرا فمن كلامه :

	بسم الله تبدا قولي	بسم الكريم وباب الله
	وعلى الله نفني عمري	والخاتما رسول اللـــه
ومنه :	هذا وما دلا لــــــذا	ما احلى ذكر الممجد
	العاشقيـــن ولا راحــــا	صابوا الدوا في محمد
ومنه :	إذا ذكرتك يا الأمجــد	نصيب راحا في نفسي
	لولا حبيبــي محمـــــــد	ما كان عرش ولا كرسي
ومنه :	الحب منك ما هو لــي	وأنت الحبيب اللي نهوى
	أيا حبيبــي محمـــــــد	ريت حبك فيــــه دوا
ومنه :	العبيد وقفوا بـــــارب	بالباب ما قصدو غيرك
	أحبيبنــا يا محمـــــــد	ما علينا إلا خيــرك
ومنه :	قلبي مولــع مزلــــــع	مجذوب لاش تلومنـــي
	أواه يارب مــــــــولاي	أهــل المحبــة فاتونـــي

(303) سقط ما بين القوسين من المخطية.

ومنه : مجذوب محبوب مرغوب
واللي قضى ربنا كـــان
ومنه : مجذوب ما ناش مجنون
نظرت في اللوح المحفوظ
ومنه : إذا تسالوا علي الحـــال
وإذا تسألوا علي النـــاس
ومنه : إذا سألوا على الـــراس
الرأس عليه حـــراس
ومنه : لو ذاقوا من الحـــب
إلا أنهم بير في جـــب
ومنه : إذا تراولي مرهـــرة
كيف الحجاب المؤلـــف
ومنه : أنا عبد الرحمن المختار
في الغرب نعطي ونمنع
ومنه : نسعد على كل كرسي
شرقت على الغرب شمسي
ومنه : أقاربين علم التوحيـــد
هذا مقام أهل التجريـــد
ومنه : إذا هو علـــم الأوراق
وإذا هو ســـر الأذواق
ومنه : مني فقير وشاعر ومداح
عسري ويميني مســـرح
منه : من شاهد الكون بالكون
ومن شاهد الكون بالمكون
ومنه : غيبت نظري فنظـــروا
حققت ما وجدت غيـــرو

ساكن في أرض العلالي
في الراس ما يتمحى لي
الأحوال، هذي اللي بيا
والسابقا سبقت ليـــا
لا حال يشابه لحالـــي
مقامهم ريت عالـــي
الراس عريان ديمـــا
وحجتـــوا مستقيمـــا
تلفاتهم، يعذرونـــي
نعيط، ولا يسمعونـــي
تقولوا : مالـــي ادخيـــرة
فيَّ منافـــع كثيـــرا
وأنا عقيد الرباعـــا
وغيبت للناس قاعـــا
نورى أشرق في المواطن
ونسير سير السلاطيـــن
هنا البحور اللي تغبـــي
الواقفين مع ربـــي
حد الحـــلا والسانـــي(304)
أنا سكن لي في كنانـــي
وما أنا في ذا الحال بادي
نخبط بهذي وهـــاذي
عزيه في عمي البصيرا
سادف علاج السريـــرة
وفنيت عن كل فانـــي
وامسيت في الحال هاني(305)

(304) كذا في النسختين ولم نتبين معناها.
(305) زادت النسخة الخطية بعد هذا البيت.

غيبت عياني قلبـــي
زاني كيف اللي مقلوم
وما يبين إلا المعلول
ومالو راح في حـــد

وأنا زايد في همومـــي
ما يوالف غير أمـــو
وداه ساكن في قلبو
وما دواه إلا ربـــو

ومنه : طلع النهار على قلبي — حتى نظرت بعيني
أنت دليلي يارب — وأنت أولى مني بيا

ومنه : طلع النهار على الاقمار — ولا بقي الا ربي
الناس زارت محمد — وأنا سكن لي في قلبي
غابت البشريا — ولا بقي إلا ربي(306)

ومنه سلو الملايك سلو الروح — سلوا حمال العرشي
أكان ما صابوا في اللوح — قلبي مولع بالقرشي

ومنه : لا محبا إلا بوصول — ولا وصول إلا غالي
ولا شراب إلا مختوم — ولا مقام إلا عالي

ومنه : لا تحسبوها رخيصا — را كل معشوق غالي
ما تنحصد صابت الصيف — إلا ببرد الليالي

ومنه : ركعة من الفجر تغني — قولوا اللي شاب راسو
كيف اللي حرث مد فردي — وذا ميا في دراسو

ومنه : احفر لسرك ودكو — في الأرض سبعين قاما
وخل الخلائق يشكو — إلى يوم القياما

ومنه : سيدي اسقاني شرابو — من سابقات العطايا
مولاي اجذبني لقربو — وارفع لي حجاب النهايا

ومنه : أنا اللي عود صهال — سلوا اللي يعرفوني
ان طرت خليت الأطفال — إن سرت ما يلحقوني

ادلال لا فارس إلا من ركب اليوم فارس العلائي يطلع للجو يشاهد العرش ويرجع للأرض حتى يمشي عليه الجيد والمعالي.

ومنه : أش قالوا سادتنا العلما — في ذي الكتب اللي شافو ؟
مال الشيخ الا حرما — ينعز به اللي عرفو

ومنه : قلبي مجرح بالمواس — لو صبت برا للوحو
من كان كواي في الناس — يصبر على كي روحو

ومنه : قلبي كفرن جيار — كامي على سهد نارو
من فوق ما بانت النار — ومن تحت طاب حجارو

---

(306) في الخطية :

مناين جيت يا ذا الروح — وفاينما زوماتنا
الساكنة في بساط المز — وفي حالها رباتنا

ومنه : شق الجبل شق منشار تقطع ولو تكون حافي
جلس مع غير الأخيار تزيل ولو تكون صافي

ومنه : اقطع على مشرع الواد يضحي قطيعك فراجـا
خالط من الناس الاجواد يقضيوْ لك كل حاجـة

ومنه : السوق اعمـر بالاثنيـن من جاب شي راه باعو
واللي قطع بعض الأجباح محتوم يلحق صباعـو[307]

وكلامه رضي الله عنه كثير شهير، وإنما قصدت أن لا أخلي هذا التقييد منه، وتبركت بهذا النزر اليسير منه، رضي الله عنه ونفعنا به وببركاته آمين.

93) أبو عبد الله العايدي السفيري

ومن الحفدة المذكورين : الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد العايدي السفيري، دفين خارج باب الفتوح، أحد أبواب فاس، العظيم القدر، الكبير الخطر، من أصحاب سيدي عبد الله الخياط الزرهوني[308]. وذكروا عنه أنه قال : تركوها حتى كان المطر والريح والظلام، وقالوا ارمها ياعايدي يشير إلى أنه راعي وقته، مع فساد الوقت وشدة ظلامه، وتوفي في شهر رمضان عام أربعة وثمانين وتسعمائة رضي الله عنه ونفعنا به.

94) أبو مروان عبد المالك الرماس

ومن أصحاب سيدي عبد الله الخياط أيضا : الشيخ أبو مروان عبد المالك الرماسي، دفين بلاد الرمل حوز سلا.

95) أبو الطيب بن يحيى بن أبي القاسم اليحياوي

ومن أصحاب سيدي عبد الله الخياط : الشيخ أبو الطيب بن يحيى بن أبي القاسم

---

(307) زادت الخطية :
من جا لحضرتنا يزرى يمشي بقلب مستأمـن
يجي نحاس يمشي نقرة مولاي محمد ضامـن

(308) عبد الله بن ابراهيم الشريف الرفاعي الشهير بالخياط دفين زرهون، أصله من اليمن، تلقى العلم في مكناس، كان له صيت كبير في العبادة والولاية وإطعام الطعام وله كرامات لا تحصى توفي مسموما سنة 939 ودفن بزاويته بزرهون من مؤلفاته الفتح المبين والدر الثمين في فضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين ومازال الكتاب لم يطبع، ولدينا نسخة منه وانظر ترجمته مفصلة في كتاب الأعلام المراكشي جـ 8 ص 267.

اليحياوي، نزيل ميسور، من بلاد ملوية(309)، ودفينه : قال في الدوحة : هو من أهل الفضل والصلاح والديانة، متصفا بأحوال الهداية والاستقامة، له نية صالحة، وظهرت دلائل ولايته انتهى.

وكان ملازما للصمت، قليل الكلام جدا، وإذا تكلم لا يزيد على أن يقول : السنة تجمعنا، والبدعة تفرقنا، قال في المرآة : وكانت وفاته في ربيع الأول، سنة ثمان وثمانين وتسعمائة.

96) أبو محمد عبد الواحد الزعري

ومن أصحاب سيدي عبد الله الخياط : الشيخ أبو محمد عبد الواحد الزعري، دفين عشابة، الولي الشهير الخطير.

97) أبو العباس أحمد الضعيف

ومن أصحاب سيدي عبد الله الخياط الشيخ أبو العباس أحمد بن يعقوب الضعيف بالتصغير، الولي الجليل الواضح الطريقة، الصحيح الحال، الظاهر القوة، رأيت مكاتبة لسيدي يوسف الفاسي كتبها لبعض أصحابه ذكر فيها هذا الرجل، وكان معاصرا له، فشهد له بالصحة.

98) أبو عمران موسى بن علي الزرهوني

ومن أصحاب سيدي عبد الله الخياط : الشيخ أبو عمران موسى بن علي الزرهوني، المعروف بذي الصخرة، دفين جبل زرهون، قال في الدوحة : كان رجلا صالحا من الأولياء، وشأنه أن يأتي إلى الحجارة الكبيرة، والصخور العظيمة، فيتعب نفسه في قلعها، وقلبها وتشريبها، فإذا قلعها وتحرجها من مكانها أخذ في الاعتبار، هذا شأنه، وكانت الكرامات تظهر على يديه، لقيته، فرأيته بسمت حسن، وخلق لينة، وعليه أثر الخير والصلاح، توفي في أواسط التاسعة، والله أعلم، يعني العشرة التاسعة من القرن العاشر :

99) أبو عبد الله محمد بن عمر بوقرين اليازغي

ومن أصحاب الشيخ الخياط أيضا : الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر بوقرين اليازغي، من بلاد بني يازغة، وكان جليل القدر، سنيا، وكان يداوي الجذمى، وكان آية

---

(309) ميسور مدينة صحراوية على مقربة من الضفة اليسرى لنهر متفرع من ملوية.

في ذلك، وأورث ذلك عقبه، ومما أعرف من مآثره : أن ولدا له كانت له جنية تخدمه بدعوة، قرأها لذلك، سمي الجنية الذي تلقى الحكاية من الولد نفسه، وانسيها الذي نقلها لي، عن هذا المتلقي، فكان لا يغضبه أحد، ويحرجه، برد شفاعة أو غير ذلك، إلا حضرت الجنية، فتسلطت على المغضب فخنقته، وقتلته، قال : تأتيه كشعريرة إلا نادر[310] فعرف ذلك منه واشتهر، وصار الناس يتحامون جانبه، ويحذرون غضبه، وكان له ثلاث نسوة، أو أربع، فكان لا يأتيهن ولا يقرب ساحتهن، وكانت الجنية شرطت عليه ذلك، فطالما تزين، ولبسن أحسن ثيابهن، وتبرجن، وتعرضن له، فلا ينظر إليهن، ولا يلتفت، ولا يرفع إليهن رأسه، فأعياهن ذلك، فشكون إلى الشيخ والده، فبعث إليه يأمر بحضوره، فحضر عنده في خلوته، وكان الشيخ مستقبلا، فالتفت إليه، وقال له : يافلان، مالي لا أراك ؟ ولا تأتيني إلا في وقت معلوم ؟ كالعيد، ونحوه، فاعتذر إليه بأشغال الدنيا، وأسبابها فلم يقبل ذلك منه، وجعل يعاتبه، ويوبخه على ذلك، وعلى غيره من أموره التي لا ترتضي، فبلغ منه الحرج والغضب وضيق الصدر المبلغ الذي تأتيه بسببه الجنية، فإذا بها قد أتت فبصر بها الشيخ، فقال لها متعجبا منكرا لها : أنت التي حللت به التي من أجلك يفعل ويفعل، ثم سبها، وطردها، وقال لها : والله لئن عدت إليه بعد اليوم لا فعلن بك، وافعل، فكان ذلك آخر عهد الولد بها، ولم تعد إليه بعد، وعاد إلى أزواجه ينتفع بهن وينتفعن به انتهى.

100) أبو الغنائم فارس بن الحسن الوريكي

وأما حفدة الشيخ الغزواني، فمنهم : الشيخ أبو الغنائم فارس بن الحسن الوريكي، الولي، الجليل، الشهير، من أصحاب سيدي عبد الله بن حسين، صاحب تمصلوحت فيما ذكر لي، وقيل إنه من أصحاب سيدي محمد بن عيسى الفهري.

101) أبو عثمان سعد بن علي الشتوكي

ومنهم : الشيخ أبو عثمان سعود بن علي الشتوكي، دفين ووزغت[311] من أصحاب سيدي عبد الله بن حسين صاحب تمصلوحت، أيضا، وكان صاحب الترجمة وليا جليلا معمرا، فياضا، وقيل إنه أول من أدخل ماء الفقر لتلك البلاد التي هو بها، وكانت

---

(310) في النسخة الخطية كشعريرة بالكاف، والصواب أنها بالقاف من الفعل اقشعر جلده ارتعد وتقبض.

(311) واوزغيت قرية وسط قبيلة آيت عطا ومالو ومنها كانت بعض القبائل تشن هجوماً على القوات الفرنسية في أول الحماية الفرنسية، كآيت شخمان وآيت عطا، وكان الجيش الفرنسي يلجأ إلى ضرب هؤلاء بالطائرات الحربية.

له زاوية لاطعام الطعام، وتوفي في حياة شيخه، وأثنى عليه شيخه بخير، ويقال : إنه قال فيه : إنه كان قطب المحبة، رضي الله عنهما ونفعنا بهما.

102) أبو عبد الله محمد بن علي بن ريسون الادريسي اليونسي

منهم : الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن عيسى بن عبد الرحمان بن الحسن الشريف الحسني الإدريسي المحمدي اليونسي، يعرف بابن ريسون وهي أم ولده السيد علي، نزيل تاصروت، من مواطن شرفاء العلم، وبها قبره ووفاته ضحوة يوم الخميس الثامن عشر من محرم سنة ثمان عشرة وألف، ووالده السيد أبو الحسن علي، هو المتقدم في أصحاب سيدي عبد الله الغزواني، قال في المرآة : وهو يعني الشيخ أبا عبد الله من أهل العلم، والولاية، والبركات، كثير التلميذ، كبير النفع، عظيم الشهرة، وجهة القاصدين، ومحط رحال الزائرين، حسن الأخلاق، كريم العنصر والطباع، ممتع الحديث، كثير الفضائل، ثم قال : وأخذ عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن حسين، من أهل بزو قبيلة تنتيفة، نزيل تمصلوحت من حوز مراكش ودفينها انتهى.

103) أبو مهدي عيسى المصباحي

ومنهم : الشيخ أبو مهدي عيسى بن الشيخ أبي محمد الحسن بن عيسى المصباحي، خلف والده في زاويته، لما مات كما تقدم، وذكره في الدوحة والمرآة وكان رجلاً صالحا، ومحبا، ودخل فحص طنجة أعادها الله دار إسلام مجاهدا، فمات شهيدا، قال بعضهم : توفي يوم الأربعاء في النصف من جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة بفحص طنجة، بقرب قنطرة غصمة بالرملة المسماة أبو غاض انتهى. ودفن مع أبيه في الروضة المبنية لهما في الدعداعة، على وادي مضى من عمل القصر الكبير، وهنالك كانت منازلهم، وتسمى الروضة به، وكنت اسمع قديما منقبة وقعت له في موته، فلم اضبطها لطول العهد، وأخذ عن والده الشيخ أبي محمد الحسن، وعن الشيخ أبي عبد الله محمد الطالب، وإليه النسب.

104) أبو الحسن علي بن فريحة

ومن أصحاب سيدي محمد الطالب الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن فريحة، دفين داخل باب الوادي، أحد أبواب القصر الكبير.

105) عاشور بن عياد أخو سيدي عبد الرحمن المجدوب

ومنهم : سيدي عاشور بن عياد بن يعقوب، دفين ولجة ابن حمامة بإزاء مشرع المالقي، من وادي سبو.

106) أبو عبد الله محمد الشرقي

ومنهم : الشيخ أبو عبد الله محمد الشرقي بن الشيخ أبي القاسم الزعري الجابري، ثم الرتمي، وأولاده ينتسبون إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال في المرآة : هو من كبار المشايخ، شهير البركة، بعيد الصيت، كثير الاتباع، نفع الله به خلقا كثيرا، وتخرج به كثير ممن بانت خصوصيته، وظهرت بركته عليه، ويقال إن الشيخ أبا عثمان أمسنا وهو الذي سماه الشرقي، كان والده الشيخ أبو القاسم مواخيا للشيخ أبي عثمان، ومتعاهدا زيارته كما تقدم، فكانت زوجته الفقيرة رحمة، تمشي معه لزيارته، وتلمذت عليه، فمشت إليه مرة حاملا، فاعلمها أن ببطنها ولدا، وأمرها أن تسميه الشرقي وقيل بل والده سيدي أبو القاسم ذهب لزيارته سيدي أحمد بن يوسف الراشدي الملياني(312)، فأمره أن يسمي ذا بطن زوجه، محمد الشرقي فالله اعلم (وقيل سيدي عبد الله الخياط هو الذي سماه الشرقي والله أعلم)(313) ويقال : إنه كان يقرأ بزاوية الشيخ أبي عثمان في حياته وكان يقرأ هو والشيخ العالم الصالح أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الزمراني الصومعي التادلي، وكان السيد أبو القاسم الزمراني والد أبي العباس من فقراء أبي عثمان المتجردين، ثم كان من قدر الله، أنهما لما كبرا، وصار كل واحد منهما بزاويته في بلاده، اختلفت أحوالهما، وصار كل واحد منهما ينكر حال صاحبه، وكان على طرفي النقيض، وقيل لسيدي محمد الشرقي مالك مع سيدي أحمد بن أبي القاسم ؟ فقال مالي معه شيء، إلا أنه يقول : هو شديد العقاب، وأنا أقول : إنه غفور رحيم، ومع هذا قال : فيما حكي عنه، أنا وسيدي أحمد بن أبي القاسم كحجري الرحى، من صار بيننا طحناه، ويحكي عنه : أنهم سمعوا منه أخيرا تسليم حال الشيخ أبي العباس، والاعتراف بصحته، ولم يزل يقع مثل ذلك لأهل الطريق، والصادقين من المتوجهين، إما للاختلاف في المشرب، أو للاختلاف بالعلو والنزول، أو لكون أحدهما من أهل الطريق، والآخر حظه العمل الظاهر، والقيام بالسنة أو غير ذلك، وكان الشيخ صاحب الترجمة صاحب قبض وقوة في حاله، فكان لا يعتبر أحدا لسكره، لكنه إذا وجد من هو أعلى منه أنصف له واعترف، وقد كان وقع له انكار في جانب سيدي يوسف الفاسي، بسبب كلام بلغه عنه، حمل له على غير وجهه، فكتب أعني صاحب الترجمة إليه كلاما، يعرفه فيه بحاله، ويصف له مبالغ الرجال، ويدعوه إلى صحبته، فلما أجابه

---

(312) أحمد بن يوسف الملياني كان رحمه الله من أعيان مشايخ المغرب وعظماء العارفين، وهو من تلاميذ الشيخ زروق، الف في حقه الفقيه محمد الصباغ القليعي كتابا سماه : بستان الأزهار في مناقب سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار.

(313) سقط من الخطية ما بين القوسين.

سيدي يوسف وتعرف له، اعترف بتقدمه عليه، وذكر ذلك هنا متأكدا لما فيه من وصف صاحب الترجمة لحاله، وهو أعرف بنفسه من غيره قال صاحب الترجمة :

الملك والملكوت   وصفهم منعوت   أهل الجبروت
ما غيبوا عنا   تنوح السموت   على أرباب القوت
بادر لا يفوت   عنك وقتنا   شموس القلوب
تشاهد المحبوب   في عالم الغيوب   شرابها مختوم
الشرق والجنوب   في طيها مكتوب   تخرق الحجوب
للواحد القيوم   رياح الصبا   تاتي على غبا
وأرباب المحبة   ما أخفاهم حال   القلب انسبا
من سرك تربا   والروح جاذبا   في حضرة الجلال
نفحات المحب   من رياض العرف   بها لم يزل
روضي زاهيا   إذا سقيتوني   شراب الرشف
ثم تشاهدوا   ليلى كماهيا   قولوا للنوى
تهيج الجوى   القلب انكوى   من حبك الحراق
انفيت السوى   واتركت ما نهوى   قالوا لي الدوى
في راكب البراق

فلما بلغ سيدي يوسف خبر هذا الكلام، قبل أن يدخل يده(٣١٤) وأنه قاله معرفا له بحاله لما بلغه عنه، وأنه مع ذلك انكر حاله، فكتب إليه كتابا، يذكر له توجيه ما أراد بكلامه في شأنه، وأنه ليس من دأبه البحث في الخلق جملة، فضلا عن مثله، ويعلمه بأنه ممن يحبه، ويحسن الظن به، ويعرض عليه حاله على جهة اتهامه لنفسه لما بلغه عنه من انكاره، وتنازل معه في ذلك كله غاية التنازل، ثم دخل يده كلامه : فأجابه عنه بكلام على وزنه وقافيته، معرفا بحاله هو، نصيحة له وتادية لحق كتابه فقال :

الملك والملكوت   في طينا ملعوت   حتى الجبروت
لا يختفي عنا   جملتها مبثوت   حتى الرحموت
وقَات الوقوت   هو وقتنا   شموس التحقيق
قد تعطي حقيق   لمن سيرو صديق   للواحد القيوم
محفوف بالتوفيق   ملعوت رشيق   قد يسقي الرحيق
الصافي المختوم   رياح الصبا   ما تنتهي عنا
والعالم الاسنى   هو مصعد الكمال   القلب المعنى

---

(٣١٤) لعله يقصد قبل أن يجيبه بمثل كلامه وزنا وقافية بدليل ما بعده.

والروح متهدنا	والسر يتغنى	من سر ذا الجمال
نفحات المحب	وكذلك المحبوب	فرياض التعريف
أحوال مستويا	لاكن في التهذيب	يختلف المطلوب
حتى في التشريف	أسرار ساريا	من هو متهدنا
ما يخشى العنا	بشرب يتغنى	يعني من السباق
موصول المنا	من كل ما يتمنى	محفوف بالفنا
	في الواحد الخلاق	

وكان الذي أتى سيدي يوسف بكلام سيدي الشرقي، استحيا أن يأتيه ذلك على يده، فكتمه عنه، وجعله في نسخة له من دلائل الخيرات، ثم أتاه يسلم عليه فقال : ائتني بدلائل الخيرات الذي لك، فلما ذهب تفكر الرقعة، فأزالها من الكتاب، وأتاه به، فلما ناوله الكتاب فتح عن محل الرقعة، فلم يجدها، فقال له : اين الذي كان هنا ؟ فقال له : نعم ياسيدي فأتاه بها، ونص الكتاب المذكور، بعد الحمد لله والصلاة، على ما فيه من التصحيف، والإسقاط، السيد الشيخ الفاضل الخير، الدين الكامل محل السيادة والتكريم والمجد الراسخ الجسيم، أبو عبد الله سيدي محمد بن سيدي أبي القاسم المعروف بالشرقي، وصل الله سعادته، ورفع مجادته، سلام الله الاتم، المبارك الأعم من عبيد الله وخديم أهل الله، يوسف بن محمد الفاسي لطف الله به بمنه، هذا وموجبه إليكم، رفع الله قدركم، أن بعض الناس ذكر لي أنه بلغكم عني، أني قلت ليس عليكم إلا بركة والدكم، وحمل على غير وجهه، وانكم كتبتم من أجله كلمات لم أطلع عليها، إلى الآن، ولم تجعلوا لكلامنا مخرجا ولا وجها حسنا، مع أني والله الخير اردت، والبر قصدت، فهو إن تدبرته وجدته مثبت البركة وأنها حاصلة معك، وتفصيل مجمل ما وصلكم أنه لا يزال يرد علينا خبر ما بسط الله من النعم عليكم، وما به من كثرة المنح حولكم، ولا يخفى عليكم - اعزكم الله - أن الله تعالى وتقدس، أجرى عادته ببديع حكمته ان يحمي الدنيا ويدفعها عمن استخلصه من عباده، وأواه لجنابه، وان وقف في شيء منها ساقه إليه وهونه عليه.

قال تعالى : ومن يتق الله يجعل له مخرجا الآية(315) ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا(316) الآية، على أنه لا يملكها، إذ لا يملك ولا يملك، فلما كانت سنة الله كما وصفنا وكان أمركم كما ذكرنا، تشابه الأمر فيكم على الكافة، وتشاكل، فقلت ذلك، لأن الله سبحانه أجرى سنته بأن ما يزرعه الوالد يحصده الولد، إذ وقع مثل هذا لغيركم، قبل هذا العصر، وغيره من الأعصار، وامر سيدي أبي القاسم لا يخفى على ذي سمع،

(315) سورة الطلاق الآية 2.
(316) سورة الأعراف الآية 96.

وحصل لكم انتم منه الحظ الأوفر، دون أخوتك تقدمة والدكم بخصوصيتك، وحملناه على هذا، وإن كان له محمل غيره، لأنه أليق بكم، لتضمنه معنى هذا، وقد قال تعالى وكان أبوهما صالحا(317)، وورد أن الله يحفظ الرجل الصالح في أهله وولده فيحفظ به إذا شهد وينوب عنه إذا فقد، وذلك يرجع عند العلماء إلى مصالح الدنيا ومنافعها، وأما اني أتعرض لنفي الخصوصية عنكم، فهذا والله مما لا أشتغل به، ولا قط ارتضيه، من غيري فضلاً من نفسي، بل لا أزال آخذ على الفقراء الذين شأنهم البحث فيمن له ادنى نسيب من هذا الشأن، فضلاً عن غيره، إذ ذاك من دأب الفقهاء، ووظيفهم، فهم القائمون به، المتقلدون له، وأما من ينتمي لهذه الطائفة فلا يكون مهمته الله، وشغله بالله، فلا يلتفت للخلق على أي حالة كانوا، قد انقطع إلى الله عن البشر، واستوى عنده النفع منهم والضرر، وتركهم لباريهم خالق القوى والقدر، ثم ليكن في علمكم حفظكم الله، أني والله ممن يحبكم، ويحسن الظن بكم، وقد ورد في الخبر الحث على إعلام المحب لمن يحبه بمحبته، فتحقق ذلك منا، وأعمل بمقتضاه، وأما ما كتبت فقد استبعدت ذلك غاية من جانبكم، ولاشك أنها سنة جرت عليكم، والنسيان ليس ببدع في الإنسان، إذ شان الكبار عدم الدعوى والانتصار، بل الشكوى تحت مجاري الأقدار، ورؤية ذلك من الفاعل المختار، وربك يخلق ما يشاء ويختار(318) فدأبهم التمسك بأوصاف العبودية، إذ هي لمن تدبر عين الكمال الإنساني، ونفس مشاهدة الربوبية، وما نقل عن بعض المشايخ من كلمات مؤذنة بالإعجاب، كقول بعضهم : من تحت خضراء السماء مثلي ؟ وغير ذلك، مما ورد عنهم، فذلك لبقايا سلطان الحال عندهم، وانحصارهم في مضيق سكر الحال، وعدم الخروج إلى فضاء الصحو، وابتداء امرهم، وكلام السكارى يحمل، ولا يصير مذهبا عليه يعمل(319) وفيه أيضا انجرار للمزح والجدال، وقد وردت أحاديث كثيرة بالترهيب منه والترغيب عنه، وإن كان صاحبه محقا، وقد قيل : أخوك لا تباهية، ولا تماريه، وهو عند أهل الظاهر واضح ذمه، فكيف باهل الباطن الذين طهر الله سرائرهم، ورقاهم إلى العالم الأسنى، ورفعهم عن العالم الأدنى، وخالفوا الهوى، وودعوا السوى، والمراء والجدال، لا يكون إلا لغل في الباطن، وكيف يبقى الغل في قلوب ائتلفت بالله، واتفقت على محبته واجتمعت على مودته، وانست بذكره، فهي قلوب صافية من هواجس النفوس، وظلمات الطبائع، بل اكتحلت بنور التوفيق، فظفرت بالتحقيق : قال تعالى : في وصف أهل الجنة : ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين(320) وقد علمتم أن لهذه الطائفة جنة معجلة، والمقابلة ها هنا باستواء

---

(317) سورة الكهف الآية 82.

(318) سورة القصص الآية 68.

(319) بعد هذه الجملة وقع بياض في النسختين.

(320) سورة الحجر الآية 47.

السر والعلانية، فمن أضمر لأخيه غلاً فليس بمقابله، ولو كان وجهه إليه، وهذا كله لا يخفى عليكم، وقد وصلنا عنكم أيضا أعزكم الله، أنكم قائم في، إن أهل الظاهر رضوه، وأهل الباطن لم يرضوه، فعلى تقدير صحة ذلك عنكم، وعدمه، فسأصف لكم بعض حالي مجملاً، لتعلموا هل هو صواب أم لا ؟ لأن الإنسان يتهم نفسه، فاعلم أني كنت مع صغري مستغرق الأوقات، في تعلم علم الظاهر، حتى حصلت منه ما يسر الله سبحانه، وحصل لي به في بلادي صيت عظيم، وجاه في الخلق، لانفرادي بتدريسه يومئذ، واقتداري على توصيله للبليد والفطن، ثم إن الله تعالى أخذني إليه، وغسل من قلبي الأكوان، ولم يوقف همتي على شيء دونه من دنيا وآخرة، وما فيهما، سبحانه ذي الفضل العظيم وحببني فيه، ورفع همتي إليه، وشغلني به عما سواه، واستغرق فكري، وهمي فيه، استوى عندي منه العز والذل، والفقر والغنى، وغير ذلك من الأضداد، فكل ما يفعله بي استحليه وألتذ به، وذلك كله على سبيل الاضطرار، لا على سبيل الاختيار، ثم كنس وجودي، وأفناني عن شهودي، لغيبتي في شهودي، تارة بكشف صفاته، وتارة بمشاهدة آثار عظمة ذاته، واستولى على باطني أمر الحق تعالى وتقدس حتى لم يبق هاجس ولا وسواس، وكادت تستولي على الغيبة عن الاحساس ثم ردني للوجود، وصار لا يحجبني الحق عن الخلق، ولا الخلق عن الحق، وإبقائي به لبعض مصالح عباده، فأنا مع الخلق بالحق، نشاهد الجمع في بساط الفرق، فإن اختلفت الأشكال وتراكمت الفتن، والأهوال وتصدعت الأحوال، ربما ظهر على العارف وصف لم يكن معهودا، وأمر لم يكن بالذات مقصودا، فيكون ذلك منه قصوراً في جانب الحق لا في جانب الحقيقة، فلا يضر إن رجع في ذلك لمولاه فراراً، وإلى ربه اضطراراً، ففروا إلى الله(321) واقتباسا من قوله تعالى : وعجلت إليك رب لترضى(322) فقد سألتك بالله، فإن كان هذا رضاً من الله تعالى على عبده وشهادة منه تعالى بجميل صنعه، قل أي شيء أكبر شهادة قل الله الآية(323) فأجبني بمقتضاه، وإن كان غير ذلك ولا علم عندي فأخبرني وإلا لي معك توقف بين يدي الله، لأني طلبت منك النصيحة، ونطلب منكم الجواب، إذ لعله أن يكون فتحا للباب، وسببا للمعرفة وجمعا، إذ هذا والله القصد الأول، بهذا المكتوب، ليرتفع الريب، ويزول اللوم والعيب، والله تعالى يجعله موفيا بالغرض والمطلوب، ويجمعنا عليه، ولا يشغلنا بغيره، ونحب منكم ألا يطلع عليه سواكم أحد، إلا الواحد الأحد، سيما الكلام الأخير، اذ فيه شيء لولا ما دعت إليه الضرورة من إذاعة السر، والله يحلنا منه محل المؤانسة والتفهم، والمفاتحة والتكريم، والسلام عليكم

---

(321) سورة الذاريات 50.
(322) سورة طه الآية 84.
(323) سورة الأنعام الآية 19.

ورحمة الله ورضوانه، وكتب العبد الفقير إلى الله الكريم، أحمد بن يوسف لطف الله به عن املاء والده، رزقه الله رضاه لمرض الزمه الفراش، وفي يوم الخميس ثالث المحرم، فاتح عام تسعة وتسعين عرفنا الله خيره انتهى،

ولما بلغه الكتاب وجواب كلامه، قال : هذا صاحب الوقت، وشيخ الطريقة، ورأسي تحت قدميه، ويقال : إنه وجه إليه جماعة من أعيان أصحابه لزيارته نائبين عنه، أما لكبر سنه، أو غير ذلك من الأعذار والله أعلم، ولا يمكن أن يكون لم يجاوبه عن كتابه لا بكتاب ولا مع رسول، وهو قد أكد عليه فيه، وسأله بالله، والزمه إياه الحجة، لاسيما وهو الذي بدأ بالكلام، ودعا إليه، وهم أولى الناس بالقيام بالحقوق، واحقهم بالتحري في الخروج من عهدتها، ولا يظن بالشيخ صاحب الترجمة مقابلة ذلك الكلام من ذلك الشيخ بالإهمال، والقاؤه في زوايا الإغفال، حاشا وكلا، كما لم يهمله سيدي يوسف، إلا انا لم نعثر على كتاب، وإنما بلغنا ما قال، ولم نطلع على كُتب سيدي يوسف، وجميع ما فيها، وإنما دخلت بأيدينا منها وريقات من وراء وراء، وقيل للشيخ العارف بالله سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي رضي الله عنه : ما بال سيدي يوسف عرف سيدي محمد الشرقي، وسيدي محمد الشرقي لم يعرف سيدي يوسف ؟ فقال : هؤلاء الناس كاهل الجنة الأعلى يرى مقام الأدنى والأدنى لا يرى مقام الأعلى، ثم وجدت منقولا عن الشيخ أبي العباس احمد بن الشيخ أبي المحاسن في مسألة صاحب الترجمة، مع والده أن المكاتبة بقيت بينهما بعد ذلك الكلام، يعني على جهة المواصلة، إلى أن مات يعني سيدي الشرقي، ووجه ما صدر من سيدي الشرقي، فإنه كان في ذلك الوقت أحد الإمامين، وان من كان كذلك، ربما ظن أنه القطب، لأن القطب مثل الحمار، على الركائز، مخفي عنها وهما ركائز الخيمة انتهى في المرآة : وكانت بينه وبين الشيخ أبي المحاسن مراسلة ومواصلة انتهى، وبالجملة فصاحب الترجمة من أقوياء مشايخ وقته، وفحول عصره، ومشاهيرهم الذين نفع الله بهم العباد، وانتشر ذكرهم وصيتهم في سائر البلاد، وفضله لا ينكر، وعلو شأنه، ومجده من النيرين أجلى وأظهر، ومفاخره أشهر من أن تذكر، ومناقبه ومآثره لا تحد ولا تحصر، رضي الله عنه، ونفعنا به، قال في المرآة : وأخذ عن والده الشيخ أبي القاسم عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع[324]، وأخذ أيضا أخذ إرادة وانتساب عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن ساسي[325]، عن الشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني[326]، عن الشيخ أبي محمد عبد

(324) ترجمه المؤلف تحت رقم 3.

(325) ترجمه المؤلف تحت رقم 44.

(326) ترجمه المؤلف تحت رقم 9.

العزيز التباع، وأخذ أيضا عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر المختاري(327) وقد تقدم سنده، وقال قبل هذا : وتوفي ليلة أول يوم من محرم، سنة عشر وألف عن سن عالية، ودفن في جعيدان(328) من بلاد تادلا(329)، انتهى.

107) أبو السرور عياد السوسي

وممن يظن أنه من أصحاب سيدي عبد الله بن ساسي الشيخ أبو السرور عياد السوسي.

108) أبو الحسن علي بن الحسن الشلي الشدادي

ومنهم : الشيخ أبو الحسن علي بن الحسن المعروف بالشلي الشدادي، نزيل سريف، قال في الدوحة : كان من مشايخ الصوفية، وله اتباع كثيرة، كان خيرا فاضلا، لا يفتر عن ذكر الله تعالى، وكان حسن العهد، صالح النية، من أصحاب الشيخ أبي الحجاج التليدي، توفي في أول العشرة التاسعة ودفن بأبي جديان من جبل سريف، وكانت بيني وبينه محبة مؤكدة، تغمده الله برحمته، وكانت بينه وبين سيدي عبد الرحمان المجذوب محبة وألفة ومعاشرة، وكذا مع وارثه سيدي يوسف الفاسي، كان سيدي عبد الرحمن إذا لم يحضر سوق أزاجر وغيره يسأل من حضرها هل تسوق اليوم أهل سريف، فإن كان منها سيدي علي الشلي قالوا له : تسوقوا، وإلا، قالوا له : لم يتسوقوا، عرفوا أن ذلك مراده وربما زغرت عليه اذا رآه.

109) أبو العباس أحمد الردام

ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد الردام، ولي جليل، من أصحاب الشيخ أبي الحجاج التليدي.

110) أبو محمد عبد الله بن احمد البعاج الصبيحي

ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن احمد البعاج الصبيحي، نزيل فاس(330) ودفين

---

(327) ترجمة المؤلف تحت رقم 82.

(328) جعيدان هي أبو الجعد في الطريق بين بني ملال، والبيضاء وبها زاوية سيدي بوعبيد الشرقي.

(329) تادلا مركز فلاحي على الضفة اليمنى لوادي أم الربيع يرجع تأسيسها إلى عهد اسمعيل وبها بنى القصبة، وبنى ابنه أحمد الدور والمساجد والقنطرة المنسوبة خطأ إلى البرتغال.

(330) فاس من أكبر المدن في المغرب، يرجع تاريخ بنائها إلى عصر المولى إدريس الأزهر شرع ...

داخل باب عجيسة[331] بها، وكان له الحال الصحيح الصادق، والبصيرة التامة والفراسة المسددة، من أصحاب الشيخ التليدي، وقال : لولا صحبة سيدي التليدي لمت على شعبة من شعب النفاق، وكان جلوسه مع أصحابه بجامع القرويين[332] من فاس، توفي صاحب الترجمة رضي الله عنه ثاني ربيع الأول سنة خمس عشرة وألف.

111) أبو عبد الله محمد بن الحسين الفزنكاري

ومن أصحاب سيدي التليدي أيضا : الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسين الفزنكاري

112) أبو عبد الله محمد البهجة الأندلس

والشيخ الصالح أبو عبد الله محمد البهجة الأندلسي.

113) أبو العباس أحمد بن عمر الأندلسي

والشيخ أبو العباس احمد بن عمر الأندلسي.

= في تأسيسها يوم الخميس غرة ربيع الأول عام 172هـ الموافق 808م، شيد عدوة القرويين على الضفة اليسرى لواد فاس، ثم عدوة الأندلس على الضفة اليمنى، وتعرضت لغزو الفاطميين على يد القائد جوهر الصقلي سنة 349 وفي عهد أمراء زناتة ومغراوة شيدت بها المساجد والفنادق والحمامات وازدهرت فيها التجارة، وفي عهد المرابطين، والموحدين أسست بها عدة أسواق ومطاحن مائية، ثم أصبحت عاصمة المرينيين الذين أسسوا بها مدارس ومنازل، وفي عهد السعديين شيد بها البرجان المحيطان بها، في الشمال والجنوب، وبنى العلويون قصبة الشراردة ومدرسة الشراطين، وبعض القناطر فوق سبو، وأسس بها سيدي محمد بن عبد الله مدرسة باب عجيسة وقد هاجر إلى فاس عدد كبير من العائلات الأندلسية والقيروانية والجزائرية والشامية والتونسية والعراقية واليمنية.

(331) إحدى أبواب فاس القديمة.

(332) شرعت فاطمة الفهرية في بناء القرويين يوم السبت بعد رمضان عام 245 راجع الجذوة جـ 1 ص 52 طبعة 1973. وقد وقعت فيه زيادة في عهد أمراء زناتة، حيث بنيت منارته وفي عهد المرابطين زيدت فيه زيادة مهمة، وبصحنه شيدت نافورتان للماء، شبيهتان بنافورات قصر الحمراء بغرناطة، بنيتا في عهد السعديين، وبوسط الصحن نافورة أخرى، يرجع تاريخها إلى القرن السادس الهجري، وقد قام هذا المسجد بدور عظيم في تطور الحركة الفكرية والثقافية بالمغرب العربي والأندلس، فكانت تشد إليه الرحال من سائر الأنحاء، وتخرج منه عدد كبير من فطاحل العلماء الذين حملوا مشعل الثقافة الإسلامية عدة قرون.
وقد أحيى الدراسة الإسلامية بها أمير المومنين الحسن الثاني بعد توقف الدراسة بها نحوا من ثلاثين سنة.

114) أبو عبد الله محمد بن سليمان البقوئي

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان البقوئي، من قبيلة بقوية، بإزاء قرية بادس، قال في الدوحة : كان رجلاً صالحاً ناسكاً، مجاب الدعوة، ظهرت على يديه الكرامات الباهرة، وكان هيناً ليناً، يميل إلى المسكنة، ولا ينتحل المشيخة، من أصحاب الشيخ أبي الحجاج التليدي، توفي رحمه الله، في أول العشرة السابعة أو آخر السادسة، وقبره مزارة بزاويته هنالك، رحمة الله عليه انتهى.

115) أبو علي منصور بن عبد المنعم الصنهاجي

ومنهم : الشيخ أبو علي منصور بن عبد المنعم الصنهاجي، ببلاد الهبط، وفي الدوحة : رجل صالح فاضل، يؤثر عنه كثير من الكرامات، رحل إلى بلاد المشرق، والشام، وبلاد الترك، ولقي الأكابر، وأخذ أولا عن الشيخ أبي الحجاج التليدي، وهو الآن في قيد الحياة، يعني سنة خمس وثمانين وتسعمائة، على كبر من السن، وله عزم قوي في طريق الإرادة والتربية، وانتفع اتباعه به، وكانت بيني وبينه صحبة ومحبة انتهى.

116) أبو جبر مخلوف الرياحي الطليقي

ومنهم : الشيخ أبو جبر مخلوف الرياحي ثم الطليقي، وفي المرآة : وكان الشيخ مخلوف من أولياء الله تعالى، ومن مشهور ما يحكى عنه : أنه عطب له ثور، فجاء الحراث يطلب ثوراً، فقال له : انتظرني غدا في الفدان فانتظره، فجاء بثور فربطه للحرث، وقال له : إذا أطلقت الزوج، فدعه يذهب حيث شاء، ومن الغد يأتيك فكان كذلك، فلما أكمل غرضه من الحرث، وأطلقه وجده أسدا، وكان قد صحب الشيخ أبا الحسن علي ابن عثمان البروتني ثم قال : ولم تطل حياة الشيخ مخلوف انتهى وسيدي مخلوف هذا، هو والد الشيخ الولي أبي محسن جابر، والد أهل الزاوية القريبة من روضة سيدي أبي سلهام، الذين يطعمون زواره على الوادي المعروف بمشرع الحضر، ورثوا ذلك عن سيدي مخلوف، وكان سيدي جابر صحب أولا سيدي محمد بن عمر المختاري، فدله على سيدي يوسف الفاسي، فكان إذا أتاه يقول له : لم تأتيني وتترك قريبا منك من صفته كيت وكيت ؟ يصف له حاله ويلعته له، فلما رآه لم يفقه، صرح له في المرة الأخيرة، فصحبه وانتسب إليه، وذكر له في المرآة بركات وكرامات، وفي ترجمته ذكر والده.

117) أبو النجا سالم العماري

ومنهم : الشيخ أبو النجا سالم العماري، ذو الأحوال الربانية من أصحاب سيدي

عبد الرحمن بن ريسون[333]، الشريف الحسني، المتقدم الذكر من أصحاب سيدي عبد الله الغزواني[334].

118) أبو الحسن علي الهيري الوارثيني

ومنهم : الشيخ أبو الحسن علي الوارثيني، دفين داخل باب الفتوح، من أبواب فاس، من أصحاب سيدي الحسن الجزولي، دفين خارجه، وكان صاحب حال، وكشف وأخبار بالمغيبات، وأثر الخير عليه لائح، وسرور المحبة وبهجتها منه واضح، وتوفي فيما أظن سنة سبع وعشرين وألف أو ما يقرب منها.

119) أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الوارث اليالصوتي

ومنهم : الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الوارث، وهو سيدي أحمد بن محمد بن الشيخ سيدي عبد الوارث اليالصوتي، المتقدم، صحب سيدي أبا الشتاء، وكان عنده في سلسلة في بيت سنين، ثم أطلقه، وكان له التلميذ الكثير، والشهرة التامة، والحال الفياض فيه وفي أصحابه، وكان يقصده الزوار من كل مكان، فانتفع الناس به، وظهر على كثير ممن صحبه آثار الخصوصية، وكان غائبا في شيخه، يرى كل خير منه، ويجلس في بلاد له مستقبلا جهته، ويتغنى به يقول :

أسيدي بوشتى يا مولاي عيني   لولا أنت أش يكون أنا منــي

وأوصى بعض أصحابه فقال له : يافلان إن كنت تذكر الله فنعما تفعل، وإلا فارقد، وكان ينهي عن اتباع الرخص، واجتاز يوما على عين ماء وعليها جوار يستقين، فتقدم رجل ممن كان معه إلى العين، فصاح به الشيخ أن يرجع، لأجل من بالعين، فقال له الرجل : إنما هي جوار صغار، فقال له الشيخ رضي الله عنه : إنهن كالعقارب، كبارهن تلدغ وصغارهن تلدغ، وتوفي رحمه الله مسموما سنة إحدى وعشرين وألف.

120) أبو الحسن علي بن داود

ومنهم : الشيخ أبو الحسن علي بن داود نزيل مرنيسة على نهر ورغة يقال إنه سوسي وهو من أصحاب سيدي أبي شتاء، كان كثير المكاشفات، وكان جالسا في داره لا يخرج ولا يدخل إليه، إلا أنه كان له خديم يطعمه من وراء الباب يبلغ الناس عنه ما يقدر لهم في أمرهم وحوائجهم التي قصدوه فيها وهل ينصرفون أم لا وكان له صيت في

---

(333) ترجمه المؤلف تحت رقم 45.

(334) ترجمه المؤلف تحت رقم 9.

تلك الجبال وتنظيم واحترام في نفوسهم لما رأوا له من الكرامات المتواترة والبركات الظاهرة.

121) أبو عبد الله محمد بن سيدي علي الحاج الاغصاوي

من أصحاب سيدي أبي الشتاء أيضا أبو عبد الله بن سيدي علي الحاج الاغصاوي قتيل أمير فاس في وقته وكان صاحب حال(335).

122) أبو سرحان مسعود الشراط

ومنهم : السيد أبو سرحان مسعود الشراط البهلول الشهير بفاس ودفين خارجها.

123) الشيخ أبو سالم إبراهيم الجناتي

ومن أصحابه أيضا : الشيخ أبو سالم إبراهيم الجناتي دفين قبة شيخه، وكان أستاذا يجود ألواح الطلبة، فكان يجتمع عليه هنالك بمدشر شيخه منهم خلق كثير، يأخذون عنه القرآن ويهتدون بهديه، وكان له وقت وسط النهار ينقل فيه الماء لدار شيخه يتولى ذلك ويحمله بنفسه، ويتردد فيه، وكان متقشفا زاهدا عاري الراس، يقصده الناس بالصدقات فلا يمسها ولا يقربها، بل يطرحونها بموضع هنالك عن إذنه، فإذا جاء وقت الاحتياج إلى الكسوة واجتمع في ذلك مال جليل، أمر بعضهم فاشترى به الكسى وكسا هُوَ بها الفقراء والمساكين صغارا وكبارا، من الطلبة وغيرهم، وانتفع به ناس، وظهرت عليهم بركته رحمه الله ورضي عنه.

124) أبو عبد الله محمد بن حكيم الأندلسي

ومنهم : الشيخ أبو عبد الله محمد بن حكيم الأندلسي، كان صاحب حال وفيض، صحب سيدي رضوان ـ فيما يقال ـ فنزعه عرق فيض سيدي عبد الله الغزواني، لصدق سيدي رضوان، وصحة نسبته إلى الشيخ الغزواني واتصاله به، وقيل إنه ليس له شيخ، وإنما كان مدده من تلاوة القرآن، وكان مقيما لرسومه محافظا على السنة، مراعيا للأوقات، وكان كثير تلاوة القرآن، يقرأه باللوح، وقد رأيت لوحه مكتوبا بخطه، فيه : ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا(336)، فيه نحو ثمن الحزب، وكان إذا ورد عليه الحال أزعجه، وأخرجه عن شاهده، وتكلم بأمور من المغيبات، جاء مرة إلى بعض

---

(335) انظر تفصيل قتل هذا الشيخ علي بن محمد الشيخ السعدي في الملحق رقم 2. ومن المعلوم أن المترجم هنا هو جد الشرفاء البقاليين.

(336) الآية 32 من سورة فاطر.

أفران فاس، وجعل يقول لصاحب الفرن : اغلق فرنك، ويصيح عليه، وإذا بغلاء عظيم في القرب، وهو غلاء سنة أربع عشر وألف.

فتعطل فيه ذلك الفرن، وكثير من أفران المدينة، وكان يمر بالطرق، ويقول : الناس ياكلون عن أولادهم، ويكرر ذلك من جهة الإنكار، فجاء الغلاء المذكور، فكان الناس يأكلون في الأسواق عن أولادهم، ولم يكن يعهد قبل ذلك بفاس الأكل بالأسواق وكان يخرج من داره، فيمر في حومته، وهي حومة العيون(337) ويقول : هل هاهنا من أين أجوز ؟ فإذا بالمدينة انقسمت ووقع فيها الأشبار، ولا يجد أحد من أين يجوز وكان قبل وقوع زلزلة سنة ثلاث وثلاثين وألف، يصيح : الردومات، فإذا بالزلزلة المذكورة، فما بقيت دار غالبا بفاس إلا دخلتها الفؤوس، وكان يكاشف كثيرا بما فعلوا من فواحش وغيرها، وكان بعضهم يسكر كثيرا، بقرب روضة سيدي أبي الدياب(338) ويسرق ورق التوت القريبة منه، فلقيه مرة بحومة العيون، فأخذ بتلابيبه، وذهب به إلى روضة سيدي أبي الدياب، وجعل يقول له : ياسيدي أبي الدياب، فلان يقول لك : هو تائب إلى الله، ويكرر ذلك، والرجل محبوس في يده، متقلد سيفه، لا يستطيع خلافه، فتاب الله عليه بقرب ذلك، ولازمه إلى أن مات، ثم صحب سيدي عبد الرحمن الفاسي، ثم سيدي محمد بن عبد الله إلى أن مات في حياته، وحضر الشيخ سيدي محمد جنازته، وكان يدعو على إنسان بالموت بين النصارى لاضراره به، فما مات إلا بين النصارى، ومآثره كثيرة لا تحصى، وكان يتعاهد المجيء لسيدي عبد الرحمن الفاسي، فسمعه بعض الناس مرة، وهو ذاهب وحده يخاطب نفسه يقول لها : اردت سكون سيدي عبد الرحمن الفاسي وتؤذنه ما أهون ذلك عليك ! ووجده إنسان مرة بمياضي حومة العيون، وهو قد صحبه حال، ينظر في الماء وهو يقول : من أين جاء ؟ وإلى أين هو ماش ؟ وجاء مرة سيدي عبد الرحمن الفاسي، وهو في وجد عظيم يعض يده، ويصيح : الله، الله فقال له : سيدي عبد الرحمن : أين لوحك ياسيدي حكيم ؟ فلما قال له ذلك، سري عنه، ورجع إلى حسه، وقال له : نعم ياسيدي نذهب نأتي باللوح، فذهب فجاء به سريعا، وأخذ يعرض عليه، ولما ذهب ليأتي به، قال سيدي عبد الرحمن لأصحابه : قد اطرتها له، يعني السكرة أطارها له بكلامه معه على اللوح، ولقيه مرة فقال له : ياسيدي عبد الرحمن، إن زوجتي لتكلفني ما ليس عندي، فقال له : فولدكما يعمل لها ما تحب، فقال له : ولدي يحب ما يزداد له، فقال له : فخيرها كما أمر الله سبحانه نبيه ﷺ، فقال له : إني أحبها، فقال له : فاصبر إذا، وكان ولده يشكو

(337) حي معروف في مدينة فاس.

(338) توجد هذه الروضة بجوار حومة تحريبشت وعقبة الفيران.

إليه الفاقة، فيقول له : ها فلانة ابنتك : ويشير إليها، فلا يفقه، فإذا بها تزوجت أزواجا ذوي أموال عريضة ورثتهم واحداً بعد واحد، وأتت والدها بأموالهم، وكان إذا استسلف من أحد فلوسا أو نحوها كتب له بخطه، استلف فلان من فلان كذا، واليوم الفلاني يأتيه به، فإذا حضر اليوم المذكور، أتاه بذلك حتما مقضيا، وإن لم يتيسر له استسلفه من آخر، وكتب له بذلك، وكتب لبعضهم حرزا طلبه منه، ثم قال له : أأقرأه عليه ؟ فقال له : نعم ياسيدي، فقرا عليه : إذا السماء انفطرت إلى قوله : يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله(339) ثم قال له : اسمع ما يقول : ما بيدي شيء، توفي رضي الله عنه، في إحدى الجمادين سنة سبع وعشرين وألف، ودفن بداخل روضة سيدي أبي زيد الهزميري، نفعنا(340) الله به.

125) أبو المحاسن يوسف الفاسي

وممن أخذ عن أصحاب سيدي عبد الله الغزواني : الشيخ أبو المحاسن يوسف بن محمد بن يوسف الفاسي، ثم القصري شيخ وقته، المعد لهذا الشأن، ومبرزه في التحقق بالشهود والعيان، كان رضي الله عنه بالقصر، محل منشأه ومولده ومأوى أبيه وجده، صغيرا لا يعرف الفقر ولا ما هو، فقيض الله له الشيخ العارف الكامل، قطب الأحوال، أبا محمد عبد الرحمن المجذوب ووكله به، فكان يطلبه، ويحوم عليه ويراقبه، فكان يأتيه المكتب، ويذكر بعض ما يؤول إليه أمره من الخير، ويخبر عن انتقاله إلى حضرة فاس، وما يكون له هناك، وقال لهم : سبقت إليه قبل أن يأتيه غيري، وجاءه يوما وهو بالمكتب ومسح على رأسه، وقال له : علمك الله علم الظاهر والباطن ثلاثا، ثم التفت للمعلم وقال : لابد توارة هذا تفتح، وإذا أحياك الله ترى، وكان قبل ذلك، يأتي الحومة، ويقول : بدار الفاسي توارة لابد أن تفتح، فلما كان في أول البلوغ، وهو مازال في المكتب، أتاه الحال منه، وأشرق باطنه بنور التوحيد، واضمحلال ما سوى الله تعالى وانخرط في سلك الشيخ، وكان أول شيء فجأه أنه كان يقرأ في المكتب فكتب في لوحه، ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة(341) إلى آخره،

---

(339) سورة الانفطار الآية 19.

(340) عبد الرحمن بن عبد الكريم الهزميري، الشيخ الكبير، العارف العالم، العامل، الواصل، المواصل، صاحب الكرامات والكشف الصريح، دفين فاس بباب الحمراء، قريبا من ضريح ابن غازي، له ترجمة في السلوة، وجذوة الاقتباس، والدرر الكامنة، ونفح الطيب، أطال العباس بن إبراهيم في ترجمته في كتابه الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ج 8 ص 92 إلى ص 98 توفي سنة 707 وألف في مناقبه محمد بن تيجلات الهزميري كتاباً سماه : إثمد العينين ونزهة الناظرين، في مناقب الاخوين عبد الرحمن ومحمد الهزميريين.

(341) الآية 100 من سورة النساء.

ثم ذهب ورجع، فلم يجد في نفسه متسعا لقراءة ولا غيرها، ولم يجد إلا لمشي تزور سيدي عبد الرحمن المجذوب، ولم ير في اللوح إلا ذلك، قيل إنه رآه فيه مكتوبا بالنور، فسأل بعض جيرانهم عنه، فإذا به من أصحابه، وهو سيدي محمد بن علي النيار الأندلسي، فسقط منه على الخبير، فقال له : يابني ذلك شيخنا، ونحن في انتظاره قريبا، فقال له : إذا جاء فاعلمني، فلما جاء اعلمه، وقال له : نحن بائتون معه عند فلان، فقال : كلم والدي في شأني لا يبت معكم، فكلمه، فإذن له لوثوقه بالرجل المذكور، في ديانته وأمانته، فبات معهم، وجلس بمعزل من الناس لصغره، وعدم مخالطته لهم، فلما كان بعد هدأة من الليل أتاه، ووضع يده عليه، وجعل يقول : ها أنت يا أخي، جعل الله فيك البركة، ويكررها، فكانت تلك الليلة أول ذهابه إليه، ثم بات عنده أيضا ليلة ثانية بزاوية سيدي محمد الصباغ بالقطانين[342] فرقد الشيخ، ووقع بين أصحابه وقوم دخلوا عليهم نزاع ولغط، كان أصحاب الشيخ يذكرون كلامه فقال القوم الداخلون : نذكر كلام الششتري وما جرى مجراه، فوقع بينهم في ذلك كلام، فأفاق الشيخ، وجعل يقول اتعملون لي هذا وابن الفاسي عندي ؟ اتعملون لي هذا وابن الفاسي عندي ؟ يكرر ذلك، ثم استمر على صحبته، وملازمته، وخدمته وبقي مع ذلك على قراءته، فقرأ على أهل بلده، ما كتب له، ثم سافر به والده إلى فاس للقراءة على مشايخها، فكان من التدارك الرحماني، أن مكن في سنين قليلة، من تحصيل العلوم، فتكيف له من ذلك ما لم يتكيف لكثير من الطالبين في أضعافها (ذلك فضل الله يوتيه من يشاء)[343] ثم رجع من فاس إلى القصر بعلم غزير، فانتفع به الخاص والعام، وقام للعلم سوقه وأحيا الله به من يومئذ البلاد والعباد، وسرت محبة العلم وتعلمه في الخاص والعام، وظهرت بركته فيهم، وفي أهليهم وأولادهم، إذ كان علمه مصحوبا بالنور، والفتح الرباني، وتخرج به كثير من أهل الطلب، فاستقل في ذلك القطر برياسة العلم والدين، منفردا في ذلك إماما عما سواه، ثم كلس وجوده، وأفناه عن شهوده، لغيبته في مشهوده، واستولى على باطنه أمر الحق تعالى حتى لم يبق هاجس، ولا وسواس، وكادت تستولي عليه الغيبة عن الإحساس، والشيخ يربيه في ذلك بالحال، ويرقيه في مدارج الكمال، وكان يمتحنه كثيرا، ويلقي عليه من أنواع المشاق والمتاعب ما لا يوصف، ولا يقف له إلا من ايده الله تعالى، يهذبه بذلك فيتلقاها ثبتا لا تحوم الاستكانة حوله، وكانت طريقة الشيخ أبي محمد رضي الله عنه صعبة، فكان غير الشيخ أبي المحاسن لا يثبت معه ثبوته، مع أنه لم يكن يقصد الغير بكل ما كان يقصده به لشدة اعتنائه به، ومما اتفق له من ذلك، أنه سمع به قد تزوج، فخاف عليه المرأة أن تأخذ ببعض قلبه، فأتاه في أيام العرس، وقد دخل بأهله،

---

(342) حي من أحياء القصر الكبير.

(343) سورة الحديد الآية 21.

فأدخله الدار، وأجلسه في بيت الزفاف، وهو مزين مفروش على العادة عند النكاح، فقال لهم : ائتوني بحطب أصطلي بالنار، فأتوه بالحطب، فجعل يوقد النار في بيت العرس، وقد كثر الدخان وغص الناس به، وهو يصطلي، وينظر إلى الشيخ أبي المحاسن هل يحس بذلك أو يقع له به تغير، فلما لم يره بالي بشيء من ذلك وهو فرح مسرور، رضي بما يعمل كأنه يقول له : أتتجلد علي ؟ فقال له : سر معي فسار معه، وهو حديث عهد بعرس، إلى أن وصل منزله، فتركه ببيت هنالك، وسلط عليه الحمى، فكان إذا أخذته الحمى الباردة لم يجد ما يلقي عليه إلا بردعة كانت هنالك، فيغطي بها، فإذا ذهبت أزالها، فبقي كذلك أربعين يوما، وكان في خلال ذلك يأتي، فينظر إليه، ويقول إذا طاح العلام اقرأ السلام، بمعنى : لو لم يثبت هو عند الامتحان، لم يثبت أحد، لأنه كان المشار إليه في أصحابه، والمنتظر لوراثة حاله، ثم يغيب عنه ما شاء الله. أيضا، ثم يأتي ويقول له كذلك، فلما استكمل الأربعين يوما، جاءه فقال له : قم فاذهب إلى أهلك، من لم يشبع لا يشبع، وكان واقفا في موقف الخدمة بنفسه، وماله، لا يبالي في جانبه بشيء من صرف مال، وبذل مهجة، ولا يستصعب ركوب أمر في ذلك، ولا يكترث بلوم لائم، ولا بطعن طاعن، بل هو محمول في ذلك كله، لا يحس بشيء منه، وليس عليه فيه كلفة، ولم يكن أحد من أصحاب شيخه يؤذي بما يؤذي به هو في صحبته، فكان يؤذي الأذى البالغ في نفسه، وعرضه، لكونه كان العلم فيهم، والمقتدى به منهم، فكان لا يبالي بكل ما يصيبه في خدمته، وكان يقول للائمه في خدمته : والله لو ضربتموني بسيوف النار ما رجعت عنه، وكان له مال جليل من تجارة أبيه، فجعل ينفقه عليه، وفي وجوه الخير، يمينا، وشمالا، حتى أتى على آخره، ولم يبق بيده شيء من عرض الدنيا إلا دارا كانت بمحل الضرورة لسكناه، ثم إنها شغلت له قلبه، ولم يرد أن تبقى على ملكه معه، فلما قدم الشيخ القصر، وكان يوم جمعة، تعرض له بمفاتيحها بباب المسجد، الذي كان يعتاد الخروج منه، فكاشفه الشيخ بذلك، فخالف عادته، وخرج من باب آخر، ثم لقيه بعد ذلك، فناوله المفاتيح، فقال له : أرح نفسك، واقعد في دارك، فهي دارنا إن احتجنا إليها أخذناها، تطييبا لقلبه، ثم عزم على بيعها مرة في مبلغ يحمله الشيخ سماه، ففتح عليه بذلك المبلغ، وسلمت الدار، وذلك لما قرب أجل الشيخ أبي محمد، قدم القصر، ونزل بظاهره، فتلقاه أصحابه، وفيهم الشيخ أبو المحاسن، فلما اطمأن بهم المجلس، قال لهم : أنا أردت أن أزور السلطان ثم قال لهم : إنا لنشتري القدور كثيرا وتنكسر، فقالوا : لا يليق بك إلا قدر نحاس، وكسكاس نحاس، فقال لهم : وكم ثمن ذلك ؟ فقالوا : خمسون أوقية ؟ فقال هل فيكم من يعطي خمسين أوقية ؟ فسكت القوم كلهم، قال الشيخ أبو المحاسن : فوقع في نفسي أن الشيخ قرب أجله، وأنه أراد أن يوجه مدده إلى أحد من أصحابه، ليقوم خليفة من بعده، وأن ذلك موقوف على الخمسين أوقية، فقلت : الله ييسر من يعطي ذلك من أصحابنا ليعمروا المكان،

ونستظل تحته، كما كنا نستظل تحت الشيخ، ولم يكن إذ ذاك عندي منها درهم، فاعاد عليهم القول، فلم يجبه احد، ثم ثالثا، فلم يملك الشيخ أبو المحاسن نفسه أن قال له : ياسيدي أنا آتيك بها، فقال له : وتفعل ذلك ؟ قال : نعم، فقال له : قم الآن، فقال لهم : اسرجوا له فرسي، ثم قال : أنا اسرج له، فقام، فسرجه، فجاء الشيخ أبو المحاسن يركب، فأرادوا أن يحبسوا له الركاب، فقال : وهل أنتم تحبسون له ؟ أنا أحبس له الركاب فحبسه، قال : فاستحييت منه فحتم علي، فلم يكن بد من إسعافه، فركب فدخل القصر عازما على بيع الدار، فلما دخل لقيه بعض المحبين الأسخياء من الأصحاب، فأعطاه الدراهم، فرجع بها من حينه، فلما تراءى للشيخ جعل يقول لهم : هاسيدي يوسف جاء، هاسيدي يوسف جاء، ثم وصل، فقال له : وهل جئت بالدراهم ؟ فقال له : نعم ياسيدي فقال له : كذلك أنت يبتليك وينوب عنك، ثم قال : إنا جعلنا دارك بفاس قال : فوقع في نفسي استعظام ذلك تهيباً لسكنى فاس، لكثرة مطالبها، وصعوبة معاشها وذلك شيء في نفسي فقط، فقال لي : لا، وتحطب لك الرياح، فكانت العطية المذكورة آخر عطية، وسلمت الدار من البيع، وبسطت عليه الدنيا من يومئذ، وظهرت عليه في حياة شيخه بركته ظهورا لا يشك فيه ذو بصر أو بصيرة، فعلا شأنه، وأشرقت له أنوار المعارف، فتحقق بمقامات الواصلين، ومنازل المقربين، ومراتب المحققين، واعطى التأييد والتمكين، ولم يزل مع شيخه على سنة المريد مع الشيخ، وكان كثيرا ما يجيئه طالب الإرادة فيرده إلى الشيخ، إلى أن توفي رضي الله عنه، وكانت مدة صحبته إياه منذ سلب الإرادة تزيد على عشرين سنة، وشيخه في جميع ذلك، ينوه باسمه، ويشيد ذكره، ويعرف بحقه، ويفتخر به، فكان يقول : عندي ابن القاسي نلقي به العرب، وتارة يقول : نلقي به الشرق والغرب، وكان كثيرا إذا رآه يقول فيه : مصباح الأمة، ويقول : إنه يكون إماما في العلمين الظاهر والباطن، ويقول : إنه لابد أن يكون في مقام الغزالي، وتارة يقول فيه : غزالي عصره، ويقول فيه : لا يوجد مثله ولو فتش المفتش ما عسى أن يفتش ويقول : إنه كالملح لا يستغني عنه أحد، ويقول فيه : من مسس طعامه فليذهب إليه يملحه له، ويقول فيه : الذي وده الله واراد الله به خيرا يكون بعيدا منه ويقرب إليه، والذي خذله الله وأراد الله به شرا يكون قريبا(344) منه، ويقول : لأي شيء يصلح ؟ ويصرح كثيرا بأنه المقصود من بين أصحابه، ويقول فيه : إنه الذي حمل بيوتي(345) حتى القاع، ويقول له : أخذت مطموري باطواقها ! ويقول : من أحب أن ينظر قلبي فلينظر ابن القاسي، يشير بذلك إلى أنه نسخة منه، فهو كقول

---

(344) كذا في النسختين ولعل الصواب زيادة : ويبعد منه.

(345) عبارة عامية تعني تقلف.

سيدي أبي الحسن الشاذلي لسيدي أبي العباس المرسي[346] رضي الله عنهما : ياأبا العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت، ودعا له : الله يجعل منك الزرع والزريعة فالزرع أنت. والزريعة أولادك، يشير إلى أنه وارثه، وأن طريقته عنه تؤخذ، ومنه تنتشر، وتمتد، والله أعلم، وقال في آخر أمره : سيدي يوسف كنت أنا شيخه، واليوم هو شيخي، وكان الشيخ أبو المحاسن، يأخذ عنه الطريق، ويقلده فيها، وكان الشيخ أبو محمد يقلده في أمر دينه الظاهر، ويأخذه عنه، فلعل أبا محمد يعني بكلامه المتقدم الشهادة لأبي المحاسن بأنه انتهى أمره في الطريق، وكمل حاله، ولم يبق به احتياج إلى شيخه، وشيخه ما زال يحتاج إليه في أمور دينه والله أعلم، وكلامه فيه كثير جدا، فكان أصحاب شيخه لا تجد أحدا منهم إلا ويحفظ بعض ما كان يثني عليه به، وكان لا يزال يوصي أصحابه به، ويحضهم على صحبته، ويحرضهم، ويشير لهم إليه، ويعرفهم أنه الخليفة عليهم بعده، ويحذرهم أن يتخذوا أحدا غيره بعده شيخا، ويقول : إنه سيظهر امره، ويعلو شرقا وغربا، وإنه سينفرد في عصره، ويقول : إنه سيكون له اتباع كثيرة متابعون تنتشر منهم الأذواق العالية، ويكونون واقفين في مقام الدعوة والتمكين، ولما كان في مرض موته جمع أصحابه، وأوصاهم به، وقال لهم : إنما جمعتكم لأوصيكم، لأن الموت فوت، ثم جعل يصف لهم الرجل الكامل من الأوصاف الحميدة والخصال المجيدة، حتى أتى في ذلك بما أراد، وكان الشيخ أبو المحاسن عند رأسه، فأومأ إليه شيخه، وجعل يده على رأسه ثم قال : وهو هذا، ولما أخذ يوصيهم بكى بعض أصحابه، وقال له : تتركنا يتامى، فقال : أنا ما تركتكم يتامى، صاحبكم معكم، وكذا كان يوصي أولاده أيضا به، ويحضهم على صحبته، وكان خلف تسعة رجال، أو عشرة، فأعرف ممن صحبه منهم أربعة، أحدهم ولده الأكبر السيد الفاضل البركة أبو عبد الله محمد السبع، وكان يقول : محمد عندي فيه ثلاثة : ولدي، وأخي، وصاحبي، فصحب الشيخ أبا المحاسن وانقاد له، وكان يستشيره في أموره، ويصدر عن رأيه، ويوصي أولاده به، والثاني السيد الخير البركة أبو السرور عياد، خدم الشيخ أبا المحاسن واعتمده، والثالث السيد أبو العباس أحمد، صحبه كذلك وانتسب إليه، ورابعهم الشيخ الولي الكبير أبو الحسن علي بويصلون[347]، فإياه صحب واليه انتسب، وعلى يديه فتح له، وبه انتفع رحمهم الله ورضي عنهم، وكان الشيخ أبو المحاسن في خلال

---

(346) هو أبو العباس أحمد بن عمر المرسي الأنصاري، العارف بالله الولي، العالم، العامل أخذ عن الإمام أبي الحسن الشاذلي، لازمه في الظعن والإقامة، وانتفع بصحبته، وورثه وكان الخليفة بعده روى عنه جماعة منهم ابن عطاء الله، والشيخ ياقوت العرشي، والإمام البوصيري توفي بالإسكندرية 683 وقبره هناك معروف متبرك به.

(347) سقط الرابع من الخطية.

صحبته للشيخ أبي محمد رضي الله عنها، يلقي مشايخ الطرق من أهل عصره، ويأخذ عنهم، لكن لا على سبيل التحكيم في نفسه، وسلب الإرادة، بل على سبيل التبرك بهم والاستفادة، ولم يكن بالوصف الأول إلا مع شيخه أبي محمد رضي الله عنه، فكان ممن لقي جماعة من أصحاب الشيخ التباع، وجماعة من أصحاب الشيخ الغزواني، ومن غيرهم، منهم : الشيخ أبو سالم إبراهيم الزواوي التونسي(348)، كان يتردد إليه مدة استيطان الشيخ أبي سالم القصري(349)، قبل انتقاله إلى فاس، وتقدم فيمن أخذ عن الشيخ التباع، ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد بن منصور الحيحي(350)، وقال إن أول حالة تحقق بها حالة الشيخ أبي العباس بن منصور، قال : وانيت ببرنس ذي مفاتيح، قال أخوه سيدي عبد الرحمان الفاسي، فيه إشارة إلى التصريف من رفع وخفض، وولاية، وعزل، وغير ذلك، مما هو معلوم عند أهله ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد كانون المطاعي(351)والشيخ أبو محمد عبد الله الهبطي(352)، والشيخ أبو محمد الحسن بن عيسى المصباحي(353)، والشيخ أبو عبد الله محمد بن مخلوف الضريسي(354)، والشيخ أبو النجاء سالم العماري(355)، ولقنه ذكرا كان يذكره ادبار الصلوات، عن شيخه سيدي عبد الرحمن بن ريسون(356)، عن الشيخ الغزواني، ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد ابن علي الطالب(357)، والشيخ أبو عثمان سعيد ابن أبي بكر المشنزائي(358)، والشيخ أبو محمد عبد الله بن ساسي(359)، وغيرهم من المشايخ ممن لا يحصى ولا يعرف، شهادة وغيبا ومن أهل الظهور والخفاء، وكان له في بقاء أهل الخفاء بخت لا يوصف، وكان الأمر له في لقي المشايخ بإذن شيخه، ومع الجمع عليه، وقدم على الشيخ أبي محمد يوما من القصر بعض المنتسبين إليه، فسأله كيف هو سيدي يوسف ؟ فقال له : سيدي يوسف ليس هو فينا اليوم، هو في مخالطة ناس آخرين، فتغافل عنه الشيخ، ثم

---

(348) انظر الترجمة رقم 29.

(349) انظر الترجمة 162.

(350) انظر الترجمة 43.

(351) انظر الترجمة 18.

(352) انظر الترجمة 52.

(353) انظر الترجمة 77.

(354) انظر الترجمة رقم 89.

(355) انظر الترجمة 117.

(356) انظر الترجمة رقم 45.

(357) انظر الترجمة 39.

(358) انظر الترجمة 73.

(359) انظر الترجمة رقم 44.

سأله ثانيا، فعاد لكلامه الأول، قال له يافلان يافلان شلل(360) فمات وحينئذ تذكر سيدي يوسف.

ومن شيوخ صاحب الترجمة أيضا : والده أبو عبد الله محمد بن يوسف الفاسي، وكان ذا دين متين، وسخاء عظيم، وصح عنه أنه كان يحسب كل يوم ما انفق في داره فيتصدق بمثله، وكان له أوراد من ذكر وصلاة على النبي ﷺ من دلائل الخيرات، وصلاة بالليل، وأخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن قاسم الشرقي الأندلسي المتقدم في أهل روضة الأنوار، ومن أشياخ الشيخ أبي المحاسن أيضا : الشيخ أبو الحسن علي العربي المسمى به المسجد الذي بطرف القطانين من القصر من جهة السوق، وهناك قرأ عليه القرآن، وكان رجلا صالحا فاضلا، لما مرض الشيخ أبو محمد مرض موته جمع أصحابه، وأوصاهم كما تقدم، ثم صرفهم إلى ديارهم، ليحضروا العيد مع أولادهم وعيالهم، وبسبب ذلك لم يحضر الشيخ أبو المحاسن موت شيخه، وإنما لحقه في الطريق كما تقدم إذ لم تمكنهم مخالفته، ولا وسعهم إلا مساعفته، فمات الشيخ ليلة عيد الأضحى، ثم أصبح الشيخ أبو المحاسن ذاهبا إلى خارج المدينة إما لزيارة ضريح ولي أو إلى جنازة، خارج باب الواد، أحد أبواب القصر، فربما قيل ويحتمل أن يكون إلى المصلى، في وقت الخروج إليه، فلقيه رجل من أهل الخصوصية، من أهل الغيبة في حاله، فقال له أين شيخك ؟ فقال له : ببلاده، فقال له : إنه قد مات، فإنه لم يقف معنا البارحة، بجبل عرفة، وكان يقف به كل عام، وقد انتقل حاله إلى سيدي عبد الله(361) ابن حسين بتامصلوحت، فقال له الشيخ أبو المحاسن : ونحن أجرنا على الله، فقال له : لا، إنه إليك يعود، ثم بعث إليه سيدي عبد الله بن حسين أن يأتيه، وقال له : إن سر شيخك عندي، فامتنع الشيخ من الذهاب إليه، وقال : أخاف إن ظهر على خير، يقال : إنه من سيدي عبد الله بن حسين فيضيع حق شيخي، وظهور بركته علي، فإن كان لي عند سيدي عبد الله بن حسين شيء يصلني إن شاء الله، فكان كذلك، فلما حضرت سيدي عبد الله الوفاة، أوصى له بشيء من أثاثه إشارة إلى أداء ما كان أودعه من تراث شيخه المجذوب، فلما سمع صاحب الترجمة بموته، قال : الآن اذهب إليه فمشى وزاره في قبره وأخرج له أهل سيدي عبد الله ما أوصى له به، من جملته مضمة(362) فأخذ ذلك، ورجع، قيل : وكان مدة ما بين موت سيدي عبد الرحمن وسيدي عبد الله نحو الستة أشهر، وكان الشيخ صاحب الترجمة بعد موت سيدي عبد الله بن حسين، رأى أهل الله مجتمعين على النبي صلى الله عليه وسلم، وهم

---

(360) شلل أي تلف.

(361) ترجمة المؤلف تحت رقم 37 وله ترجمة مطولة في الإعلام لابن ابراهيم جـ 8 ص 277.

(362) كلمة عامية تعني المنطقة أو الحزام الذي يوضع في الوسط.

يتفاوضون فيمن يخلف سيدي عبد الله ويقوم مقامه، فأشار سيدي عبد الله بابن له سماه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم حتى ياتي الكوش يعني سيدي عبد الرحمن المجذوب، وكان لم يحضر، فإذا به قد أتى، فقالوا له : فأشار بصاحبه الشيخ أبي المحاسن، فوافق عليه النبي صلى الله عليه وسلم والجماعة، فأقاموه في الوقت، فمن يومئذ فاضت أنواره، وطار في الآفاق ذكره، واشتهاره وسارع نحوه أرباب الإرادات، وأقبل إليه أهل الفوز والفلاح من العلماء، والأولياء السادات، وكان أول مقبل عليه أصحاب شيخه أبي محمد رضي الله عنه، وتأهل رضي الله عنه للمشيخة في علمي الشريعة والحقيقة، ونهض بأعباء الطريقتين بتأهيل الله تعالى وتأييده، وكثر تابعوه، وتخرج به مشايخ، ونشأ على يده رجال، وظهرت على يده الخوارق العظام، والكرامات الجسام، وكان مفزعا لأرباب القلوب والأحوال، في مداواة عللها، وحل مشكلها، فكان مقصودا لذلك من المريدين والمشايخ، كل بحسبه، وكانت مشايخ تلك البلاد وما أضيف إليها يبالغون في تعظيمه، ويعترفون بجلالة قدره، ويعدونه لحل المقفلات، وبيان المشكلات، فكانوا يزدلفون إليه، ويدينون بالتواضع بين يديه، منهم سيدي محمد بن الزبير بن أبي عمرية المصباحي، وأخوه سيدي أبو القاسم[363]، وسيدي محمد العفاني[364]، وسيدي علي الشلي[365]، وسيدي علي الحنشي[366]، وسيدي محمد[367] القجاج، وسيدي أحمد الردام[368]، وسيدي ابراهيم أبو الخيرات، وسيدي قدار[369]، وسيدي محمد أبو عبد الله المكناسي[370] وسيدي أحمد الدغوغي المكناسي وسيدي علي أبو الشكاوي[371] وغيرهم، ممن لا يحصى كثرة، وكانوا يقولون فيه : إنه غريب في وقته، لانفراده فيه، وهناك دل عليه سيدي محمد بن عمر المختاري[372] وهو من أحواز مكناسة سيدي جابر كما تقدم، وكان سيدي عبد الله الدراوي[373]، عرف بالحداد، رجلا من أهل الإغاثة والخطوة يمشي للبلاد البعيدة،

(363) ترجمة المؤلف تحت رقم 138.

(364) ترجمة المؤلف تحت رقم 74.

(365) ترجمة المؤلف تحت رقم 108.

(366) ترجمة المؤلف تحت رقم 155.

(367) خ علي

(368) ترجمة المؤلف تحت رقم 109.

(369) ترجمة المؤلف تحت رقم 135.

(370) خ أبو عبد الله المكناسي.

(371) ترجمة المؤلف تحت رقم 170.

(372) ترجمة المؤلف تحت رقم 82.

(373) ترجمه في السلوة ووصفه بالملامتية، والخطوة، توفي أواخر العشرة الرابعة من القرن الحادي عشر انظر ترجمته في السلوة جـ 2 ص 233.

ويرجع في طرفة عين، وكان صاحب ملامة، فكان مع شيخه الأول سيدي علي الحداد[374] بفاس، ومنه اكتسب سيدي عبد الله التسمية بالحداد، فقال له يوما : ياعبد الله، إنا بايعنا، أو قال إن أهل الله بايعوا اليوم سيدي يوسف الفاسي، وهو إن وجدك هاهنا في هذا البلد، لا تفلح معه، فاذهب إليه، فأتاه بالقصر، فلما سلم عليه، ونظر إليه اخرج إليه فاسا، وأمره بالخدمة في جنانه، إلى أن كمل أربعين يوما، فيما بقي على بالي، ثم قال له : اذهب حتى أتيك، فقال له : إلى أين ياسيدي، فقال له : إلى فاس، فأتى لفاس ومكث بها، حتى أتاها صاحب الترجمة، واستوطنها، فصحبه ولازمه، إلى أن توفي الشيخ، وبقي أعني صاحب الترجمة على ما تقدم بالقصر نحو الاحدى عشرة سنة، ثم حرك الله قلبه إلى الانتقال إلى فاس، وكان عنده من ذلك ذكر من شيخه وغيره، من المشايخ كسيدي علي الحنشي، وسيدي قدار، ورأى أعني الشيخ أبا المحاسن أهل الله مجتمعين، وهم يقولون : هذا الرجل لا يستقيم دينه إلا بالزاوية يعنون مدينة فاس، وكان ذلك لكون القصر لا يسعه، ولا تسع عقول أهله علومه، ولذلك لما سأله القاضي أبو محمد عبد الواحد الحميدي[375]، ما الذي جاء بك من بلدك ؟ قال له كمدت، رجع الياقوت في أيدينا حجرا، أو لما أنهم لم يقبلوا خير الله إذ جاءهم، فانكروا على الشيخ أبي المحاسن، وشيخه أبي محمد، فصرفه الله عنهم، ولكون مدينة فاس في احتياج إليه، كما قاله القاضي الحميدي، في كتابه لأهل القصر حسبما رأيته بخطه، وهي المناسبة لعلو شأنه وإمامته، ولما أن أصحابه الآخذين عنه بفاس، قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : قيل لي :

انتقل إلى الديار المصرية تربي بها أربعين صديقا، وقال سيدي علي الحنشي لبعض أصحاب الشيخ أبي المحاسن وهو سيدي محمد العوفي، أخو سيدي عبد الرحمن القادم معه لفاس : سيدي يوسف أصحابه بفاس، فقال له : وهل بالقصر منهم أحد ياسيدي، فقال له : نعم، أنت منهم، فانتقل إلى فاس بعد أن بعث تلميذه سيدي إبراهيم الصباد[376] إليها، فالتقى مع البهلول الذي كان بها، وهو سيدي الحاج محمد الرامي، دفين خارج باب الجيسة، وقال : إنه شيخ سيدي جلول دفين داخله، فذهب به إلى

---

(374) أبو الحسن علي بن أبي الحسن علي المعروف بالحداد، كان بفاس شيخا عارفا ومربيا من تلاميذه أبو محمد عبد الله المعروف بالحداد ومنه اكتسب هذا الاسم، وكانت وفاته في آخر القرن العاشر ودفن خارج باب فتوح بفاس، قرب روضة سيدي حماموش.

(375) عبد الواحد الحميدي طلب العلم ثم انتقل إلى المتاجرة في الثياب البالية، كان مكبأ على تدريس خليل، وتولى بعد ذلك القضاء والخطبة في فاس الجديد على عهد المتوكل عبد الله بن الشيخ، توفي 9 ربيع 2 1003 ودفن داخل باب فتوح بفاس بروضة الشيخ عبد الرحمن الهزميري انظر ترجمته في الاعلام لابن ابراهيم جـ 8 ص 525 ونشر المثاني جـ 1 ص 44.

(376) ترجمة المؤلف تحت رقم 162.

الشهود، فاشهد على نفسه بتمكين الشيخ أبي المحاسن من فاس، بجميع منافعها، ومرافقها، ثم احتملوه وكان مقعدا، فأخرجوه من فاس، فكان يرى تارة بناحية سبو، وتارة بفاس الجديد، إلى أن توفي، وعرضت له يوما حاجة أكيدة بقصبة فاس فما دخلها إلا متمسكا برجل من أصحاب الشيخ أبي المحاسن، ولائذا به، فقضى حاجته، وخرج سريعا، ولما استقر الشيخ أبو المحاسن بفاس، اقبل الناس عليه، وكثر الجمع لديه، وسرت في الناس نفحة اهتزوا بها طربا، وكثر طلاب الدخول في الطريق، وترادف القاصدون من الجهات، وقال لهم يوما : والله لو أحببت لتعطلت الأسواق والطرازات(377) وصار الناس كلهم هنا، يصيحون : الله، الله، واتاه الناس على طبقاتهم علماء، وعباد، وزهاد، ومريدون، ومشايخ، واحتاج إليه الملوك والوزراء، والقواد، وغيرهم من أبناء الدنيا وخدموه، ولم يستغن عنه أحد، وهناك بعث إليه سيدي محمد الشرقي(378)، معترفا بتقدمه عليه، ودل عليه سيدي أبو المكارم محمد البكري الصديقي المصري(379) من سأله من المغاربة عمن يقصد في الوقت لتعينه فيه، ودل سيدي الحاج محمد الرامي البهلول المتقدم صاحبا له عليه، وسماه بالبحر وبالسلطان، وكان سيدي أبو يحيى البهلول المعروف المدفون مع سيدي رضوان بروضة واحدة في جنازة، وكان فيها الشيخ أبو المحاسن، فجاء إنسان يسلم على سيدي أبي يحيى، فجعل يشير له إلى الشيخ أبي المحاسن يدله عليه فلما لم يفقه، سبه وطرده، وكان رجل من أهل الله بالشناكين(380) من فاس فمر به الخضر عليه السلام، فسأله إلى أين ؟ فقال له إنه رسول من النبي صلى الله عليه وسلم إلى جموع الفقراء الذين بفاس، ليختبر حالهم، وما هم عليه، وهو بجبل طغت، فسأله أن يرجع إليه بما تفرقوا عنه، وكان هذا الولي من الاخفياء الذين لا نباهة لهم، فلما تفرقوا اتاه، فأخبره بأن اعلامهم كلها رجعت منكسة إلا علم صاحب الترجمة، قال : لوقوفه مع السنة،واستمساكه بها، وتكلم الشيخ أبو المحاسن يوما بكلام في الطريق، فقال له بعض الحاضرين : إن فلانا أظنه ابن عطاء الله، لم يقل هكذا، فقال له الشيخ : لست بمعارض لأحد، فلان قال، وأنا أقول، وفلان يقول، وأنا أقول، حتى ذكر جماعة من أعيان مشايخ الطريق، ثم قال : ولا أحط

---

(377) الطراز عبارة عن معمل صغير، يشتغل فيه عمال الصناعة التقليدية، وقد تحول إلى اسم دراز بالعامية.

(378) ترجمة المؤلف تحت رقم 106.

(379) أبو المكارم محمد بن محمد البكري من العلماء المتصوفين مولده ووفاته بمصر، من كتبه، شرح مختصر أبي شجاع في فقه الشافعية وديوان شعر، وأخبار الاخيار، ولد سنة 930 وتوفي سنة 994 انظر أعلام الزركلي ج. 7 ص 60.

(380) حي من الأحياء القديمة لمدينة فاس قريب من ضريح مولاي ادريس لا يزال يحمل هذا الاسم.

هذه الرقبة إلا للجبل الراسخ سيدي عبد السلام بن مشيش، وكان صاحب الترجمة يوسم بالقطبانية، فبقي بفاس خمسا وعشرين سنة كما حد له سيدي علي الحاشي، ثم نقله الحق إلى دار كرامته، في آخر الثلث الأول من ليلة الأحد، الثامن عشر من أول سنة ثلاث عشر وألف، ودفن بروضته الشهيرة به خارج باب الفتوح، أحد أبواب فاس، وكان مولده ليلة الخميس لتسع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة سبع وثلاثين أو ثمان وثلاثين، وكان انتقاله إلى فاس ودخول أهله ورحيله إياها ثامن عشر ربيع الأول عام ثمانية وثمانين وتسعمائة رضي الله عنه ونفعنا ببركاته، وقد ألف غير واحد في مناقبه وأجوبته ومكاتبته وكلامه في مجالسه منها : مرءاة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، لولده أبي عبد الله العربي رحمه الله.

126) أبو عبد الله الوزروالي

وأما حفدة الشيخ الغزواني رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

فمنهم : الشيخ أبو عبد الله الوزروالي المعروف ببلاده بابن الفقيرة، صاحب التواليف في العشر وغيره، من أصحاب سيدي أبي عمر المراكشي، ووجدته بخطه من تمام نسخة كتابين أو أكثر، بخطه، أنه شريف حسني كتب فيه جدي للأم الشيخ أبو العباس أحمد بن الشيخ أبي المحاسن الفاسي فيما وجدته بخطه : شيخنا وقدوتنا الشيخ الإمام الأستاذ المقرئ المجاور بالحرمين الشريفين الولي الصالح، الصوفي العارف بالله تعالى جمال الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح أبي زيد عبد الرحمن بن يوسف الوزروالي(381)، رضي الله عنه، ونفعنا به، ثم ذكر أنه روى الوظيفة الزروقية عن الشيخ أبي عبد الله الخروبي(382) تلميذ الشيخ زروق، وعن الشيخ أبي عبد الله محمد بركات الحطاب عن والده الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن، عن مؤلفها، وقال فيه في مواضع : شيخنا أبو عبد الله الزروالي وقال فيه أبو العباس بن أبي محلي : العالم الأستاذ الذي عن حوض الحقيقة والشريعة لا يذاد، وعلى قدره الشريف لا يزاد، ثم عظم أمره، وأن الحطاب المكي لا يجهل قدره، ثم قال : وأما الزروالي المذكور فتلميذ الشيخ أبي عمر أيضا، ولكنه ربما أخذ عن الغزواني فيما يقال، وكأنه أدركه قبل اجتماعه بأستاذه الأخص أبي عمر، فلذلك قال هو في نظمه : وشيخنا

---

(381) اتفقت النسختان على التعبير مرة بالزروالي ومرة بالوازروالي.

(382) أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الجزائري من أهل الحديث والفقه والتصوف من مؤلفاته شرح الحكم، ورسالة في الرد على القسطلي المراكشي وتفسير القرآن أخذ عن الشيخ زروق والزيتوني، سفر للعثمانيين لدا أبي عبد الله الشريف توفي بالجزائر سنة 963 انظر ترجمته في شجرة النور ص 284.

الغزواني والقسطالي، بتقديم الأول على الثاني، ثم قال : وقوله رضي الله عنه فيه بالرجال، كأنه عرض فيه باسمه بالزروالي، فتوارى بجدار التلويح في معرض التصريح، لعل لبيبا من الفقراء يومئذ يتفطن لها فيقول :

توسلـــي للـــه بالزروالـــي   وشيخه الغزواني والقسطالي

وما قدر ذلك، والله أعلم بمراده، ثم قال : إنه كان نحويا جامعا للقراءات بالطرق العشر، وله قدم في العلم، وتقدم لحضرة فاس في طريق القوم بعد وفاة شيخه أبي عمر ثم شرق، وجاور بمكة المشرفة حتى توفي بها رضي الله عنه، وله منازلات مع الحطاب المكي المالكي أيده الله فيما يؤثر، وكذا أيضا له صحبة مع الشيخ الشطيبي[383] رضي الله عنه، وكان الزروالي رضي الله عنه صاحب كشف وفراسة نافذة، حدثني بذلك تلميذه وأخوه التقي الأمين السيد عمر بن عيسى السلماني، وهو أوثق من لقيت بزعير من الأفراد أصحاب الشيخ أبي عمر رضي الله عنه انتهى.

127) أبو عبد الله محمد بن مبارك الزعري

ومنهم : الشيخ أبو عبد الله محمد بن مبارك الزعري، دفين تاستاوت من أصحاب سيدي أبي عمر المراكشي وكان فياض الحال، باهر الخوارق، مدعي فيه القطبانية، وفي المرءاة : وكان جليل القدر شهير الذكر انتهى وخاطبه سيدي محمد الشرقي بقوله :

يا الساكن في أرض البوادي   لا تتعدش المـــــوارد
اصحب هداة الطريقـــا   تحصل لك الفوائــــد

فأجاب صاحب الترجمة بقوله :

تالله ما كان هـــــذا   إلا من مجذوب سالـــك
يسقي خمرا للرجـــال   مملوك من الحق مالـــك

وما أجابه إلا بعد أن ألح عليه أصحابه في الجواب، فأعجبه جوابه سيدي محمد الشرقي، واستحسنه، ويحكي أن عرب زعير، لما ذهبوا إلى سيدي أبي عمر وصحبوه، قال لهم : من أتى بها كلها ذهب بها كلها، قالوا : يعني المحبة، وكان صاحب الترجمة إلى الآن ما صحبه، فلما رجعوا من عنده، وتحدثوا بقوله : ذلك سمعه صاحب الترجمة، فجمع جميع ماله من ماشية وغيرها حتى جمع القدر التي كان يطبخ فيها،

(383) محمد بن علي الشطيبي الأندلسي من مؤلفاته، الجمان في مختصر أخبار الزمان، والإشارات السنية في شرح أرجوزة ابن البناء في التصوف توفي عام 963.

وذهب بذلك كله هو وزوجته إلى الشيخ، فقال له : ياسيدي قد سمعت عنك أنك قلت وقلت، وقد أتيت بها كلها، يعني ما يملك من الدنيا فقال له : وأنت قد ذهبت بها كلها فامتلأ منه مددا، فلما رجع ذهبوا به يحملونه على أربعة جمال إذا اعيا هذا، حملوه على هذا، فما أوصلوه إلا بعد جهد جهيد، من ثقل ما نزل له، هكذا سمعت هذه الحكاية من بعض الطلبة المنتقرين، ممن له معرفة بتلك البلاد، ثم سمعت بعض حفدة الشيخ صاحب الترجمة يذكر أن الذي ذهب به جده إلى شيخه هو العسل، وأظنه قال : إنه كان صياد النحل، وذكر أن الذي رجع على أربع من الجمال هو سيدي مبارك، أخو صاحب الترجمة، وأن صاحب الترجمة امتصه من قفاه، أو من ظهره، الشك مني، حتى أفاق وصحا، ومثل ما ذكر من عدم إطاقة الجمال لحمل صاحب الترجمة أو أخيه، ما اتفق للشيخ الغزواني، نزل به أمر الله يوما، وهو راكب جملا، فبرك به الجمل، ولم يطق حمله، وكان سيدي عبد الرحمان المجذوب، راكبا فرسا، فنزل به ما نزل فبرك الفرس، فجعل يقول له : مالك أنك مسمر أربعا، تأكل أربعة، يعني أربعة أصبع، وتقدم ما حكي من ذلك عن سيدي علي بن أبي القاسم، في ترجمته، قال تلميذه أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أبي محلي[384] : إنه توفي سنة سبع بتقديم المهملة على الموحدة بعد الألف، في الوباء الذي عم تاول المغرب، واستطال فيها، وفي المرآة : أنه توفي بتساوت بالوباء في الثاني من شوال، سنة ست وألف وجزم لي بعض الطلبة من حفدته، بأنه توفي عام ستة فهو الصحيح.

128) أبو الجمال المجاطي الدلائي

ومنهم : الشيخ أبو الجمال أبو بكر بن محمد بن سعيد المجاطي الدلائي، قال في المرآة : هو من أكابر مشايخ المسلمين وأولياء الله المقربين، واحد عصره ونسيج وحده، مترسم بالشريعة متحقق بالحقيقة بحر جود، لا ساحل له يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ا

فلو رأى من مضى بعض مكارمـــه لم يذكروا في الندى معنا ولا هرما

أقام الله به رسم الجود، وأفاض به نعمته على الوجود، يكل اللسان والقلم عن استيفاء فضائله، التي هي أشهر من نار على علم، وحسبك أن المغرب لما تداعت قواعده، وانهدت أركان الملك به، فاختل النظام، وماج الناس كان موئلا لأهل العلم والدين وموردا للضعفاء والمساكين، فاعتصم الإسلام بربوة منه ذات قرار مكين، فهو الذي أمسك رمقه وأبقى رواءه ورونقه، وذكر أن أخاه الشيخ أبا العباس أحمد بن الشيخ

(384) انظر التعليق رقم 52.

أبي المحاسن زار صاحب الترجمة في محرم فاتح ثمانية عشر وألف، فأقام عنده أياما، وأخذ عنه وانتفع به، فلما رجع إلى فاس سألوه عنه، فقال لهم : أخذ الناس بالأوصاف، وأخذ سيدي أبو بكر بالاتصاف، انتهى وكان كثير الإطعام أمرا خارجا عن الوصف، ومباينا للعادة والإلف، وكان يطعم الناس على قدر طبقاتهم، وما يناسب حالهم، في جودة الطعام، ورداءته، على سنة إطعام شيخه سيدي أبي عمر، وطريقته، فقال له إنسان : إطعامك فيه الرياء فإن سيدي فلانا إنما يطعم الناس سواء، فقال له : من حسب الناس سواء، ما لحمقه دواء، فإن الناس أصناف، وكل واحد وما اعتاد من الغذاء، فالبدوي الذي ألف الطعام الغليظ من الدخن وشبهه إن أطعمته الرقيق لم يشبعه وبات جائعا، والحضري الذي ألف الرقيق إن أطعمته غيره لم يقبل عليه، ولم يتسوغه وبات جائعا، وإن بات أحدهما جائعا، ولم أطعمه ما يحب، فقد أهنته، ولم أكرمه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه(385) وحدث عنه بعض حفدة الشيخ أبي المحاسن الفاسي : أنه سمعه يقول : إن أهل الله أشاروا عليه باتخاذ الزاوية للإطعام، فأرسل إلى الشيخ أبي المحاسن ينظر ما يقول في ذلك، فبعث إليه أبو المحاسن برمة وكسكاس نحاس، موافقة منه على ذلك، وكان مراعيا للشريعة، محافظا على السنة، جاريا عليها بحاثا عن العلم، حاضا على تعلمه، وتعليمه، تاليا للقرآن، كثير الذكر والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم زاهدا في الدنيا، غير ملتفت إليها، ولا ناظر إلى زهرتها ولا معتز بزخرفتها ولا مفتون بزينتها، وكل ما يفتح عليه به منها يصرفه مصارفه في الحين على الفقراء، والمساكين، والعلماء، والشرفاء، وغيرهم، ولا يتلبس من ذلك بجليل ولا حقير، وكانت الرحمة والحنان على جميع المؤمنين وصفا غالبا عليه، يسر بما يسرهم، ويغتم ويهتم بما يؤلمهم ويضرهم، وبركاته كثيرة، وكراماته ومكاشفاته شهيرة، أذكر منها أنه كان يوما جالسا فجاءه إنسان يسأله كسوة وعليه ثياب خلقة ممزقة، فقال لإنسان عنده : قم يافلان واذهب به، وفتش ما عليه ففتشه، فوجد في درابيله عددا كثيرا من الدنانير، تسترت تحقيقه، فأتى بها الشيخ، فقال له : اشتر له منها كسوة، ففعل، وأتاه بها فأعطاه إياها وناوله ماله، وقال له : هكذا ينبغي للرجل أن يكسو نفسه، ولا يكون له لأحد عليه جميل، فمن يومئذ أطلق على الرجل ماله، وصار يتصرف فيه، وينتفع به، ومن كلامه رضي الله عنه في تقبيل اليد : من مد يده إلى التقبيل وهي يده فحقها القطع، ومن منعها من التقبيل وهي يد الله فحقها القطع، وأخذ رضي الله عنه على سبيل الإرادة والتحكيم عن سيدي أبي عمر

---

(385) الحديث رواه أبو هريرة وأخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه، ولفظه : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو يسكت.

القسطلي المراكشي[386]، وأقبل عليه في أول مرة إقبالا عظيما، وضمه إليه وألبسه قلنسوة بيده (وكان رأس صاحب الترجمة أضخم من رأس الشيخ، فلم تسع القلنسوة رأسه)[387] فجعل الشيخ يوسعها، ويكلفها رأسه، فأخبر صاحب الترجمة أنه فتح له في ذلك الإلباس بأمر عظيم من الملك، ثم الملكوت، وعالم الملائكة ثم الغيبة عن ذلك كله، ثم صار يتردد إليه، ويذهب لزيارته صحبة الشيخ أبي محمد عبد الله بن يعقوب، نزيل منشر عبيد الله ودفينه، إلى أن توفي الشيخ أبو محمد فصار صاحب الترجمة هو الذي يتقدم بالزوار من المريدين، خلفا من أبي محمد، وهاج عليه سلطان المحبة، مرة فذهب إلى الشيخ وحده، فلما وصله وجده في جنازة والوباء بمراكش، ولعله وباء سنة خمس وستين وتسعمائة، فقال له الشيخ : ما جاء بك ؟ ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم : إذا سمعتم الوباء في أرض قوم فلا تقدموا عليه[388]، فقال له : لا عقل لي، فقال له : وأين رفقاؤك الذين صحبتهم في طريقك ؟ فقال له : إنما جئت وحدي، فقال له : ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم : الواحد شيطان، والاثنان شيطانان، فقال له : لا عقل لي، فقال له : فأين عصاك ؟ فإنه ما من نبي إلا كان له عصا، فقال له : لا عقل لي، فعزره، ولما توفي الشيخ وجد صاحب الترجمة النقص في حاله، وفقد ما كان يعهده من نفسه فلم تقله أرض، ولم تظله سماء، وهام على وجهه في البرية مع الوحوش والسباع وأقبل على تلاوة القرآن، فقرأ ختمات كثيرة، فلم يرجع إليه حاله، ثم أقبل على ذكر لا إله إلا الله، فلم يتجبر، ثم اشتغل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فعاد إليه حاله وما فقد، وكان في حياة شيخه إذا رجع من عنده مر بطريقه ببلاد سيدي محمد الشرقي، بتادلا[389] وكان أعني صاحب الترجمة ظهر بتلك النواحي، واشتهر فكان إذا قرب من منزل سيدي محمد، أحس بنقص في نفسه، فألهم، أو أرى، أن ذلك إنما يطرأ له من قبل الشيخ المذكور، فعاد يتجنب طريقه، ويأتي على الجبل، وقيل : إنه شكا ذلك لشيخه، سيدي أبي عمر، فأمره أن يتجنب طريقه، وكان الشيخ أبو عبد الله رجلا قويا، ذا عناية يغار أن يظهر معه أحد بتلك البلاد، ثم إنه ذهب إليه بعد ذلك زائرا في رفقة من زواره، حاملا حزمة حطب على ظهره، فتلقاه بالترحيب والإقبال ودعا له بالخير، وقال له : اذهب ياولدي، فإن جميع الأولياء كسرت سواقيهم إليك،

---

(386) ترجمه المؤلف تحت رقم 64.

(387) سقط من الخطية ما بين القوسين.

(388) أورده السيوطي في الجامع بهذا اللفظ : إذ اسمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه، ونسبه إلى الشيخين وأحمد والنسائي عن عبد الرحمن بن عوف الزهري.

(389) تادلا مركز فلاحي على الضفة اليمنى لوادي أم الربيع أسست في عهد المولى اسمعيل انظر التعليق رقم 329.

وفي المرءاة : حدثني الشيخ أبو عبد الله يعني ابن سيدي أبي بكر ، أن الشيخ أبا عبد الله الشرقي، أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد المختاري، وأنه قال له : كنت مع سيدي محمد بن عمر مثل والدك سيدي أبي بكر معي، وقال لي : ضيق الباب، قل أنت لسيدي أبي بكر : ضيق الباب، فقلت للشيخ أبي عبد الله ما قصدهم بذلك ؟ قال التقليل من جموع الناس انتهى ولقي ببلاد زعير سيدي محمد بن مبارك الزعري، قيل وسيدي مبارك الطيبي، وغيرهما من جلة أصحاب سيدي أبي عمر رضي الله عنهم، وزار أيضا صاحب الترجمة سيدي أبا الطيب اليحياوي بمنزله من ميسور ، وبلغني أن سيدي علي ابن إبراهيم البوزيدي، هو الذي سماه بأبي بكر ، وذلك أنه اجتاز بتلك البلاد أيام ولادته، فأتوه بطعام عقيقته وقالوا له : فما نسميه ياسيدي ؟ قال : أبو بكر، فقالوا له : إن البربر يغيرون الأسماء فيصيرون أبا بكر بك فقال لهم : لا يغيرونه إن شاء الله، فكان كذلك، رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم، قال في المرءاة : ولد الشيخ أبو بكر سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة، وتوفي عند طلوع الشمس من يوم السبت الثالث من شعبان سنة إحدى وعشرين وألف ودفن في الدلاء انتهى.

129) أبو محمد عبد الله السوسي الجزولي السملالي

ومنهم : الشيخ أبو محمد عبد الله بن يعقوب السوسي الجزولي السملالي دفين مدشر عبيد الله، وتوفي في حياة شيخه.

130) أبو عثمان سعيد السوسي

ومنهم أخوه الشيخ أبو عثمان سعيد دفين أقرض مجل.

131) أبو إسحاق إبراهيم السوسي

ومنهم : أخوهما الشيخ أبو إسحاق إبراهيم دفين اشقوندة بتادلا، والثلاثة من أصحاب سيدي أبي عمر المراكشي.

132) أبو الحسن علي فنديرو القصري

ومنهم : الشيخ أبو الحسن علي القصري، من أصحاب الشيخ أبي العباس أحمد الحسائي صاحب سيدي علي صالح.

133) أبو علي منصور الهروي

ومنهم : الشيخ أبو علي منصور الهروي، دفين سلا[390] أظنني كنت رأيته مفتقرا فيما مضى من أصحاب الشيخ أبي العباس أحمد الحسناوي المذكور.

134) عبد الحق السهلي

ومن أهل روضة الأنوار : سيدي السهلي أحد عقب سيدي الصغير السهلي، ولا أعرف اسمه، ولا شيخه منهم، ولعل اسمه عبد الحق، وإليه تنسب زاويتهم التي بالزيتون، وقبره بالروضة المذكورة.

135) أبو عبد الله محمد قدار

ومنهم : الشيخ أبو عبد الله محمد الملقب بقدار بالقاف المعقودة، بن الشيخ أبي زكريا يحيى بن علال المتقدم في أصحاب الشيخ التباع، قال في المرءاة : كان الشيخ أبو عبد الله صاحب الترجمة كبير الشأن، جليل القدر، ظاهر الولاية، شهير البركة، مقيما لرسوم الشريعة، متحققا بأسرار الحقيقة، صادق الفراسة، ثم قال : وكان يطرأ عليه حال لا يستفزه، مع ظهور أثره عليه، حضرته مرة، وهو يتكلم بمعارف، والتفت إلى بعض الحاضرين، وقال له : أهل دارك حامل، فقال له : لا علم لي، فقال له : هي حامل، وتلد ذكرا، فكان كذلك انتهى، وكتب الشيخ أبو المحاسن الفاسي كتابا لبعض أصحابه، فجرى في كلامه ذكر فقراء الغرب، فقال : ومن أجلهم عندنا سيدي قدار انتهى، وكان رضي الله عنه شديد الاتباع للسنة، وكان يقال إذ ذاك الفقير هو سيدي قدار، الذي أقام السنة في وسط أزغار، وكان قويا في السلوك، عظيم الكشف، يخبر بالمغيبات، والوقائع المستقبلة، له الاطلاع على ما يفعله الناس متسترين به، إلا أنه لا يفضحهم، وكان لا ينام الليل، فيقال إنه كان من حراس المغرب في وقته، وبات ليلة عند ابنته، وزوجها سيدي عبد الرحمن الفاسي، فقال له سيدي عبد الرحمن : ارقد ياسيدي قدار، فقال له : ارقد أنت ياسيدي عبد الرحمن إذ أنت محبوب، فأما أنا فلا أرقد، أدرك أباه فقال له : امش تخدم الرجال أما أنا فليس لك عندي شيء، يعني من أمر الفقر الخاص، دون مطلق البركة، فذهب فدخل مكناسة، فلقي بها سيدي أبا

---

(390) سلا مدينة على الضفة اليمنى لنهر أبي رقراق في مواجهة الرباط، شيد يعقوب المنصور مسجدها الأعظم وخربها الإسبان في عهد بني مرين، وإليها هاجر الأندلسيون بعد سقوط الأندلس في يد الإسبان انظر التعريف بها في كتاب المغرب، تأليف الصديق بن العربي ص 127.

الزوابن[391] فخدفه بأصبعيه في عنقه، ثم مشى لزيارة أبي يعزى[392]، فقامت به حالة فصار بوابا على سيدي أبي يعزى، من أذن له دخل ومن لا، فلا، ثم رجع إلى مكناسة، فصحب سيدي سعيد بن سيدي أبي بكر المشنزائي[393] ولازمه إلى أن مات، وعلى يديه فتح له، وإليه ينتسب ثم بعد موته ذهب إلى مراكش، فلقي بها سيدي أبا عمر القسطلي، وسيدي عبد الله بن حسين[394] بتامصلوحت، فقال له سيدي عبد الله : كنت تعمل القدور فتتهرس[395] لله، والآن اذهب لا تتهرس لله قدر، كأنه يعني الأحوال، ثم زار شيخه بعد موته، فخرجت له منه حالة كان يسمع بها كل من تكلم بالمشرق وغيره، حتى إن من حرك سبحته بالمشرق يسمعها، وكان يقول إن هؤلاء العبيد يعني الذين بالسودان، ليصدعوني بمهاريسهم، يعني التي يهرسون بها الدخن والذرة هناك، وحكي عنه أنه قال : لو صاحت نعجة ببغداد لسمعتها، قال في المرءاة : وكان شديد المحبة والتعظيم للشيخ أبي المحاسن كثير الزيارة له، والمجالسة، والاستفادة والاستشارة وكانت بينهما معاشرة قديمة، والفة أكيدة، وموالاة القرابة التهي وسمعت سيدنا الإمام أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن معن[396] رضي الله عنه يقول : كان سيدي قدار[397] وسيدي علي[398] أبو الشكاوي، وأمثالهما، يجلسون قدام سيدي يوسف كالقطط، يعني متأدبين خاضعين، قال : وكان سيدي قدار على جلالة قدره إذا تكلم معه يختار ما يقول، وكان يقول ـ أعني سيدي محمد في سيدي قدار ـ إنه في الكشف كالمرءاة، ووقف يوما على سيدي الحسن الزياتي، بزاوية شيخه أبي المحاسن وكان عزبا، فقال : الا تتزوج ؟ فقال له : ما عندي زواج في الوقت، فقال : أما أنا فقد زوجناك بنت سيدي يوسف، وتلد معها أربعة من الولد، ثلاثة منهم يقرؤون، وواحد لا يقرأ، فكان كذلك، وكان مرة ولده في السجن مع ابن عم له، فبعث إليه يا محمد إذا أتاك مسرح فلا تخرج، فاتفق أن كان السلطان الذي سجنهم في محاربة سلطان آخر، فلما

---

(391) مترجم تحت رقم 80.

(392) أبو يعزى بفتح العين وتشديد الزاي، وبسكون العين وتخفيف الزاي يلنور بن ميمون بن عبد الله الدكالي الهزميري، كان منقطعا عن الخلق مجاب الدعوة صادق الفراسة حسن الخلق والخلق، أسود اللون نحيف البدن عمر 130 سنة انظر ترجمته في السلوة جـ 1 ص 172 وانظر المراجع عنه في الموسوعة المغربية لابن عبد الله جـ 3 ص 68 توفي سنة 572.

(393) ترجمة المؤلف تحت رقم 73 باسم الملشزائي.

(394) ترجمة المؤلف تحت رقم 37.

(395) أي تتكسر.

(396) ترجمة المؤلف تحت رقم 161.

(397) ترجمة المؤلف تحت رقم 135.

(398) ترجمة المؤلف تحت رقم 170.

عاينوا الهزيمة بعثوا إلى من بالسجن أن يذبحوا، فكل من خرج ذبح، ولم يخرج ولده، وخالفه ابن عمه، فخرج فذبح، ثم دخل الملك الآخر وسرحهم، وسلم ولده، وكان يوما قبر يتواجد قريبا منه، فجعل يقول إن السلطان(399) زيدان سيجئ لهذه البلاد ويكون له ويكون، ويعمل ويعمل، فقام بعض الحاضرين إلى سيدي قدار، فقال له : ألا تسمع ما يقول فلان ؟ وكان الشيخ قد ثقل سمعه لكبر سنه، فقال له : فما يقول ؟ فأخبره، فقال له : الريح، ومد عليها، إن زيدان لما دخل لفاس وأطلق فيها السبيل(400) غار مولاي ادريس على بلده، فضربه ركلة، صيرته وراء أم ربيع(401)، أو قال : وادي العبيد، فلا يخوضه أبدا، فكان الأمر كذلك، ثم لا أدري كيف ذكر له الشيخ المأمون، فقال له الشيخ : ثم دق أوتاده أهل الله، فهنالك بقي إلى أن يموت فلم يَعْدُ موضعه إلى أن مات به، وتوفي صاحب الترجمة رضي الله عنه يوم الأحد سادس ربيع الأول عام أربعة وعشرين وألف، وسنة مائة عام وعام واحد، وبنيت عليه قبة عظيمة قريبة من خلوة أبيه رضي الله عنهما، قال في المرءاة : وطال عمره كثيرا فنفع الله به خلقا كثيرا.

136) أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الله

ومنهم : الشيخ أبو عبد الله من أصحاب سيدي ابن أبي بكر أيضا، وكان بمكناسة، وكان رجلا جماليا، متهتكا، صاحب ملامة، وكان يعتاد زيارة سيدي يوسف الفاسي، فأخرج له مرة زادا يزوده في طريقه، فقال له : ليست عادتي مع الله أن اصطحب الزاد في الطريق، ففرقه على الناس، ثم ذهب بلا زاد، وسأل عنه سيدي عبد الرحمن الفاسي، سيدي قدار، فقال له : من أصحاب سيدي سعيد هو ؟ فقال له : نعم، فقال : إنه ليس على لونه، فقال له : والزهر ألوان.

137) أبو حفص عمر بن عدادة

ومنهم الشيخ أبو حفص بن عدادة دفين حومة حمام الحرة، من مكناسة، وهو من أصحاب سيدي سعيد بن أبي بكر أيضا.

(399) السلطان زيدان بويع بعد وفاة والده المنصور السعدي 16 ربيع الأول 1012 بفاس كما بويع لأخيه أبي فارس بمراكش يوم الجمعة أواخر ربيع الأول عام 1012 وكانت بين الأخوين حروب أضعفت الدولة، وتجرأ الاسبان فاستولوا على ثغر العرائش.

(400) أي أباح لجيشه انتهاك الحرمات، فقد خرج أهل فاس يهللونه، فلزع لباس عشرة آلاف، فكان بعضهم ينظر عورة بعض رجالا ونساء، وأباح زيدان فاس لجيشه ففعل جيشه المنكرات (الاستقصا جـ 6 ص 18).

(401) وادي أم الربيع من أهم الأنهار في المغرب، ينحدر من الأطلس المتوسط ويسقي سهول تادلا والشاوية ودكالة وينصب في المحيط قرب مدينة أزمور.

138) أبو القاسم بن الزبير المصباحي الزناتي الشاوي

ومنهم : الشيخ أبو القاسم بن الزبير بن محمد بن عسرية بن الزبير بن الحسن بن الزبير بن طلحة، بن مصباح المصباحي، الزناتي الشاوي(402) هكذا في المرآة، وقال : قال لي : نحن زناتة، ثم قال : كان شيخنا ظاهر البركات، واضح الطريقة، كثير التلميذ، محافظا على رسوم الشريعة، متيقظا في دينه، مغفلا في دنياه، لا يعرف ما منزلة الدرهم من الدينار، ولا ما يجتمع من عدده، وربما صحبته غيبة زائدة تحفظ عليه فيها أوقاته، ولا ينكر من أحواله فيها شيء، جاء مرة إلى الشيخ أبي المحاسن يزوره بفاس، فكان يصلي بين يدي المحراب، وكان شيخنا أبو العباس، يعني ابن أبي المحاسن، يصلي إماماً فإذا فرغ كلمه فيقول له : من أنت ؟ فيقول له : أحمد بن يوسف فيقول : يابا أحمد، متاعنا، يرحب به، ويكلمه، تكرر منه ذلك في صلاة النهار، فضلا عن صلاة الليل، وحدثونا أنه ربما سأل عن صبي من هو ؟ فيقال له : ولدك، وأنه مرة رأى صبيا، يحبو فأخذ يقول : هو يشبر أي صبي، بحال من عرف شيئا لم يكن عرفه من قبل، وكان من أحسن الناس أخلاقا وأوطئهم كنفا، وأكثرهم بشرا، كان يحضر مجالس العلم، ويكثر النوافل، ولا يخوض في شيء من أمر الدنيا، إلا ما لا بال له، وقدم مرة لزيارة الشيخ أبي المحاسن، وأقام عنده أياما، ولما خرج منصرفا إلى وطنه سمعته يقول : ابقوا بالعافية، باديار الصالحين، فلم يعد حتى مات، وسمعت بعد ذلك من أصحابه أنه تكمل منه في تلك المرة ثم قال : وقال لي : إنه أخذ عن قريبه الشيخ أبي محمد الحسن بن عيسى المصباحي، ثم عرف به، ثم ذكر ولده الشيخ أبا مهدي عيسى، ثم قال : وأخذ عنه أيضا شيخنا أبو القاسم صاحب الترجمة، ثم قال : وأدرك شيخنا أبو القاسم صبيا، والده الشيخ أبا طلحة الزبير، وكان عظيم القدر، شهير البركة، ومما اشتهر من بركات والده سيدي الزبير أنه لما التقى مقاتلة فاس وسلطانهم أحمد بن محمد الوطاسي، ومقاتلة مراكش وسلطانهم أحمد بن محمد الأعرج، ومعه أخوه السلطان بعده محمد الشيخ المهدي، سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة على مشرع بوعقبة على واد العبيد(403) انهزم الوطاسي، وتفرقت جموعه، وتبعته الخيل، فكادوا يقبضونه، فحضر هنالك رجل على فرس أنثى، يحول بينه وبينهم، ويقول له سريا أحمد لا تخف، ولم يزل معه إلى أن رجعوا عنه وأمن الطلب، وقد عرف السلطان صفته وتحققها، ولم يزل يسأل عن صاحب تلك الصفة، حتى قيل له هذه صفة سيدي الزبير بن محمد المصباحي، وتحقق ذلك، ولما كان خروجه الذي وصل فيه إلى

---

(402) خ : أبو القاسم بن محمد أبي عسرية بن الزبير بن الحسن بن الزبير بن طلحة.

(403) انظر تفصيل الواقعة في الاستقصا ج 5 ـ ص 11ـ12.

تطوان(404)، وتزوج بها الحرة(405) بنت الأمير السيد أبي الحسن علي بن موسى بن راشد الشريف، وذلك في ربيع الأول عام ثمانية وأربعين، وبتطوان بني بها قصد سيدي الزبير، ونزل عليه، فلما رآه عرفه، وأيقن أنه الرجل الذي أغاثه، فأكب عليه السلطان، وذكر ما وقع له، ونوه به، فقال الشيخ : يا رب كيف العيش مع هذه الشهرة ؟ فاقبضني إليك فمات من عامه بقرب ذلك، قال في المرواة : سمعت هذه الحكاية من غير واحد، وسألت شيخنا أبا القاسم، فقال لي : أعقل مجيئ السلطان وأنا صغير جداً، أقعد في حجر أبي، ومع ركبته انتهى.

وسمعت سيدنا الإمام سيدي محمد بن عبد الله رضي الله عنه يقول : إنه حينئذ مر بأرض، فقال لمن معه : هنا نفرس اللفت، هذا العام إن شاء الله فمات من عامه، ودفن هناك، رضي الله عنهم، وأخبرني بعض أصحاب صاحب الترجمة عنه أنه كان يقول بأنهم من ذرية سيدي أبي مدين(406)، ولا يصح، إلا أن يعني به المصباحي إن كان، فالله أعلم، ولا شك أن الأولياء في أولاد مصباح كثيرون لا نعرف كثيرا منهم، وأخبرني أنهم كانوا يضعون له الدينار وصرفه، أو نحوه من الدراهم، ويسألونه عن نسبة ما بينهما، فيقول : هذه يعني الدراهم أكثر من هذا يعني الدينار فإذا قالوا، لا وأعلموه بمساواة تلك الدراهم لذلك الدينار، أو زيادته عليها، أخذ يتعجب ويقول هذه كلها يزطلها(407) هذا وحده، وأخبرني أنهم كانوا يبيتون معه كل ليلة بدار رجل من أصحابه، لا يبيتون إلا عند ذلك الرجل، ومن لم يبت معه أنصف له(408) يعطي رطل سكر، وكان السكر إذ ذاك رخيصا جدا، لا يعطي غير ذلك، فإذا وضعوا إناء الطعام قدامه، وهو مغطى، ومعلوم أنه الكسكس، ربما قال لهم : أتريدون أن أكاشف لكم عما

---

(404) تطوان مدينة تقع في شمال المغرب، بعيدة عن مدينة سبتة بـ 41 كيلومترا، وهي عاصمة المنطقة الشمالية للمغرب، تعرضت للاحتلال الاسباني عام 1286 ثم انجلوا عنها، وبها عدة مآثر تاريخية هامة كالأبراج والأسوار والمساجد والتحف الفنية والصناعات التقليدية، وقد كانت تطوان مهاجراً للأندلسيين بعد سقوط الأندلس.

(405) الحرة أو عائشة بنت الأمير المجاهد علي بن موسى بن راشد من ذرية مولاي عبد السلام بن مشيش، حكمت تطوان في فترة معينة ولدت بشفشاون عام 899 وتلقت تعليمها على يد أشهر العلماء انظر بقية أخبارها في كتاب : الحياة السياسية والاجتماعية تأليف عبد القادر العافية ص 121.

(406) شعيب بن الحسين الأندلسي دفين تلمسان من كبار الأولياء توفي سنة 595 عن نحو 85 سنة انظر ترجمته في السلوة ج 1 ص 364.

(407) يزطلها عامية أي يستطيع القيام بها.

(408) كذا في النسختين ولم نتبين معناها.

في هذا الإناء بياسطهم بذلك فيقولون له : نعم ياسيدي، يقول : إنه الكسكسو، ودخل عليه مرة صاحبه الذي كان يبيت عنده في داره في لباس جميل، وهيئة حسنة غير معتاد لباسه، إذ كان من جند الأمير، وكان يومئذ عندهم الميز، فنظر إليه الشيخ، وقال له إن قيمتك إثنا عشر ألفا فإذا به بعد سنين قبض عليه أمير المؤمنين، فعذبه حتى أعطى اثني عشر ألفا، ثم مات من تحت العذاب، ومات مرة ابن له، فقال لهم : ما اسمه ؟ فقالوا له : فلان، فجعل يبكي عليه، ويقول : يافلان ثم ينس اسمه، فيسألهم عنه، فيتذكر، فيبكي عليه، ويسميه، ثم ينساه أيضا، فيسألهم، فعل ذلك غير مرة، وكان مرة في علو الدار، فدخل ولد له صحن الدار على فرسه، فرآه، فقال لهم : انظروا من هذا الرجل الذي دخل الدار ؟ فنظروا فقالوا له : هو ولدك سيدي فلان، فقال لهم : ليس هو ولدي، فقالوا له : هو ولدك، فلما ألحوا عليه، قال لهم : أيكون هو ولدي وهو أضخم مني ؟ وحدثونا عنه بما ذكر في المرآة أنه رأى صبيا له يحبو، وأخذ يقول : هو بشير، وجاء مرة إلى الشيخ أبي المحاسن بالقصر، فلما أتى إليه تركه بباب البيت الذي كان يجلس به للناس، وأخذ يدخل البيت، فحبسه الشيخ، وقال لهم : لو تركته لرأيتم اليوم خرق العادة، ولا تشق له الحائط يعني المقابل الباب، إذ كان مارا لجهته غائبا عن الشيخ وأين هو، وكان ربما دخل دار غيره يحسبها داره، حتى ينبه، فيخرج أو يسار به إلى داره، وكان إذا صلى الصبح غطى رأسه، وجلس مستقبل القبلة يذكر الله، حتى تطلع الشمس، وكان بعض أصحابه، أخبرني عما كان يفعل من ذلك عند النوم، وما كان يذكره حينئذ ونسيته، وسمعت سيدنا الإمام سيدي محمد بن عبد الله رضي الله عنه يقول : كنا جلوسا وحدنا، فدخل علينا، فلما دخل رأيت فيه ما كنت أرى في الشيخ، وكان من عادته إذا تضيف عند أحد، ثم أراد الانصراف أن يقول هو أصحابه بلسان واحد، جهرا بطبع معلوم لهم،

ما اخفاك خافيـــة	يا إله العالميـــــن
ابقوا بالعافيـــــة	ياديار الصالحيـــن

قال في المرآة : توفي رضي الله عنه في القصر ودفن في داخله يوم الأربعاء مهل محرم سنة ثمان عشرة وألف، وبنوا عليه قبة، وقبره هنالك شهير، ومولده تقريبا سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة، أو ما يقرب ومنها، فإني سألته هل يعقل أباه ؟ فقال لي نعم أعقل أني كنت أقعد في حجره، ومع ركبته، وأنا صبي صغير، أو كلاما هذا معناه أو قريب منه، وسيأتي الخبر عن أبيه، ثم ذكر أن أباه مات عام ثمانية وأربعين وتسعمائة.

139) أبو الحسن علي بن أحمد

ومن أصحاب الشيخ أبي محمد الحسن بن عيسى المصباحي ـ فيما يقال ـ الشيخ أبو

الحسن علي بن أحمد، دفين مدشر المغاصي بجبل صرصر، وقيل إنما أخذ عن ولده الشيخ المجاهد، أبي مهدي عيسى بن الحسن، وأخذ أيضا عن سيدي يوسف الفاسي، وكان يصبح عنده كل يوم بالقصر، من منزله خارج المدينة، لا أدري بصرصر، أو غيره، وكان في أول أمره يظهر عليه الحال، ويغلبه، ويصيح، ثم سكن فسئل عن ذلك، فأخبر أن سيدي يوسف هو الذي سكنه، وبه انتفع، في حكاية له معه كان يذكرها، وأن ذلك الذي كان يصيح به هو في زاوية من صدره يصيح به، ولا يغلبه، وكان له حال، وبركة، ونور، ودين، وله أتباع وزاوية، وتوفي فيما أظن في أواخر العشرة الثالثة بعد الألف رحمه الله ورضي عنه.

140) أبو سرحان مسعود بن محمد الدراوي

ومن أصحاب سيدي عبد الرحمن المجذوب، وقد تخرج به رجال ذو أحوال ربانية، وأذواق عالية، وطريقة سنية، وسيرة مرضية الشيخ أبو سرحان مسعود بن محمد الدراوي، كان ذا حال عظيم، وكانت غيبته في النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لا يفتر عن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، ولا يقنع بذلك حتى يستأجر الأجراء، ويجلسون يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يشاهد ذلك، ويسمعه، وذكر أنه كان إذا جنه الليل، قعد على حائط لئلا يسرقه النوم، فيفتر عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، قال في المرءاة : وكان بادناً ولم يكن أكولا فسمعته يقول : إنما بدنت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهي لي طعام وشراب أو كلاما هذا معناه انتهى.

وكان يوما في عنقه سبحة، فإذا بها قد تقطعت وحدها بمرة من شدة امتلائه، في الحين، قال في المرءاة إثر ما تقدم : وكان في أول أمره فتح له على يد الشيخ أبي المحاسن، وكان قد يوده من أول الأمر بحال عظيم، وكان ذلك في القصر، وفي حياة الشيخ المجذوب، وأوصله الشيخ أبو المحاسن إلى الشيخ أبي زيد، قبل موته بنحو شهر، أو أكثر يسيرا فلازمه إلى موته، وأدرك منه ما لم يدركه من لازمه، سنين طويلة، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء انتهى. ويذكر أنه ضربه يوما بعصا فشجه، تكلمته ابنته في ذلك، فقال لها : فعل الله وفعل بمن يضرب أولاد الرجال بيد فارغة، وكان يوما في حال عظيم، وهو يقول : ها رسول الله، ها رسول الله، وهو يجري، ويصيح، إلى أن دخل دار الشيخ أبي المحاسن، وكان مع أهله وأولاده، فلم يأمرهم أن يحتجبوا، ولم يزل على حالته يصيح، ويجري، ويقول قوله، وقد وجد هنالك ثريا فخار، فأخذها بيده، وجعل يعبث بها ويدور، ويقول ذلك، والشيخ جالس يسبغ الوضوء لا يزيد على أن يقول له : إن كسرتها ضمنتها يرده بذلك لوجوده، ويوقظه من غيبته،

ويستخرجه من غمرة الحال، فلم يزل كذلك وهو يكلمه إلى أن سقط للأرض، وأخذ يبكي، فلما أخذ في البكاء قال الشيخ لأهله : اذهبي، وأمرهم بالاحتجاب، فقيل له في ذلك، فقال : كان مقتطعا عن حسه، وما أخذ في البكاء إلا حين رجع للحس والشعور، له بركات وكرامات وأتباع كثيرة، متفرقة في البلاد، ظهرت عليهم بركته، قال في المرءاة : وتوفي بفاس سنة إحدى عشرة وألف، وحضر جنازته خلق عظيم، ودفن خارج باب الفتوح، في سفح المصلى حيث سيدي علي حماموش(409)، وسيدي علي الصنهاجي(410)، وغيرهما وبنوا عليه انتهى.

141) أبو الجمال زيان الطليقي

ومنهم : الشيخ أبو الجمال زيان الطليقي، المدعو طكوك، وكان صاحب حال ينطق بالمغيبات، وكان من عادته أن يقول له هل أتكلم ياسيدي ؟ فتارة يقول له تكلم، وتارة يقول : لا، وتارة يقول له : تكلم، ولا تعين أحدا، وهكذا، فقال له يوما أتكلم ياسيدي، فقال له : تكلم، فقال له : كل من هنا يقوم يبايع هذا الرجل، يعني الشيخ أبا المحاسن فوافق الشيخ على ذلك، وأمره بالقيام، فشق ذلك على الشيخ أبي المحاسن، وأباه، فقال له الشيخ : لا عليك، وأمرهم بالإذعان لذلك فبايعوه، ومن لم يبايعه طوعا أتوا به إليه كرها، وتقدم أنه سئل، لم يقال له طكوك ؟ فقال إني أرى الناس في صور البقر، فأطكك عليهم، وسئل من أين عرفت هذا الشيخ سيدي عبد الرحمن المجذوب فقال : هو عرفني بنفسه، ثم ذكر أنه كان في أرض فلاة مارا وحده، مستصحبا دابة عليها حمل، وإذا بالحمل قد مال للطياح، أو طاح، فاستغاث ببعض الأولياء البعيدة، فإذا بسيدي عبد الرحمن المجذوب أقبل عليه، وقال له : ناد بالقراب يا ابن الحزينة، فعدل له الحمل وأصلح ما يحتاج إلى الإصلاح وانصرف رضي الله عنهم.

142) أبو النجاء سلامة

ومنهم أيضا : قريبه، المدفون معه في قبة الشيخ أبو النجاء سلامة، وكان ذا حال عظيم، وشأن كبير.

143) أبو زيد عبد الرحمن رحو الجبيلي العلمي

ومنهم أيضا : السيد الشريف العلمي، أبو زيد عبد الرحمن، المدعو رحو الجبيلي، دفين باب قبته الولي، الجليل، الزكي، الأصيل.

(409) أبو الحسن علي، الشهير بحماموش من ذرية يعقوب المنصور الموحدي، توفي في العشرة الثالثة من القرن العاشر مترجم تحت رقم 171.

(410) مترجم تحت رقم 81.

144) أبو العباس أحمد الخشبي

وشجرعه الشيخ أبو العباس أحمد الخشبي سيد مبارك جليل.

145) أبو الربيع سليمان الشريف

والسيد أبو الربيع سليمان الشريف الذي أسكنه معه بداره.

146) سيدي الجيناوي

وسيدي الجيناوي ولا أعرف اسمه.

147) أبو عبد الله محمد اللجائي

ومنهم أيضا : الشيخ سيدي اللجائي، اشتهر بنسبه، ولعله أبو عبد الله محمد، دفين بوزيري، مدشر شيخه، وبمقبرة أولاد شيخه، كان صاحب حال وقوة وكان إذا تحرك، وغلب عليه حال ضرب من والاه، ويقال إنه ضرب شيخه ثلاث مرات، وكان الشيخ يقول لهم : خلوا سبيله، وتحيدوا(411) عنه، وكان سيدي عبد الرحمن رضي الله عنه يوما ببعض الأسواق، فقال بعض من أهين وخذل لأصحابه : قفوا لنختبر لكم هذا الفقير، هل نفسه حية، فجاء إلى الشيخ، وهو يساوم شيئا فصفعه في قفاه، فالتفت الشيخ إليه، وقال له : كيف وجدته ؟ فقال له : ما عندي ما أقول، ثم إن القضية ذكرت يوما بمجلس الشيخ، وصاحب الترجمة حاضر يسمع، فقال لهم : كيف كان ؟ فأعادوا عليه، فقال أيكون هذا ؟ والله لا نصبر له، وأخذ شيئا من حديد، لا أدري سكينا أو غيرها، وأمسك بالشيخ من خلف ظهره، وقال : وعناية الشيخ فيها ما يمشي، وضرب بذلك الحديد في الأرض، حتى غاب، فلامهم الشيخ سيدي عبد الرحمن، وقال لهم : لم ذكرتم له ذلك ؟ فجاءهم الخبر عن الرجل أنه كان مارا بالطريق فسقط ميتا، فحسبوا لوقت موته فوجدوه ساعة ضربه صاحب الترجمة.

148) أبو الظفر غانم السفياني الدوادي

ومنهم أيضا : الشيخ أبو الظفر غانم بن الشيخ سيدي محمد جعران بن علي بن أحمد السفياني الدوادي، كان صاحب حال صحيح، ومحبة صادقة، وكان مبالغا في خدمة شيخه، وباذلا فيه نفسه وماله، وكان الشيخ غاب عن عياله، في بعض المجاعات وتركهم، ولا شيء لهم، وذهب إلى دكالة، يخدم على أيتام هنالك، حتى جاوز بهم تلك المجاعة، فجاء صاحب الترجمة، بما له، ونزل حوله، وجعل يذبح لهم كل

---

(411) أي جانبوه وميلوا عنه وأصلها العربي حاد عن الطريق مال.

يوم، ويعطيهم ما يقوم بهم، إلى أن نفد ما عنده، ولم يبق بيده شيء، من ماشية وغيرها، فلما رجع الشيخ إلى عياله وجدهم قد قام الله بأمرهم أحسن قيام، وخلفه فيهم بأفضل الخلافة، وبسط عليهم من الرزق ما لا يكون لهم مع حضوره، فإن من كان لله، كان الله له، وأخبروه بفعل صاحب الترجمة معهم، ثم كان من قدر الله عليه، أن ذكر يوما بحضرة الشيخ، فقال بعضهم : إنه يمشي إلى أصحاب أبيه، فقال الشيخ : هكذا هو الله يكثر خيرك على بساط غيرك، تعالوا بالحركة إلى ابن جعران، فذهب إليه، فلما علم به صاحب الترجمة، أتاه يتلقاه فرحا، فلما قرب منه استل الشيخ حديدة، كانت معه من غمدها ثم ردها فيه، وانقلب راجعا عنه، فإذا بصاحب الترجمة قد سلب في الحين وأتى إلى الشيخ يضربه بشيء كان في يده، فلم يلتفت إليه، وانصرف عنه، فلما أبعد جلس على كدية، وقال لهم : هلموا إلى البيع والشراء في متاع ابن جعران، فجعلوا يتزايدون فيه فوقف على خماس بمطمورة شعير، فسار وليا من ساعته، قد أشرق فيه الحال، وتنور بنور التوحيد، فبقي صاحب الترجمة كذلك مدة، ثم لما أراد الله به رحمته، وتداركه بعنايته عثر الشيخ يوما على مكاتبته له، فرأى ما كان يخاطبه به فيها من لفظ السيد والمولى، ونحو ذلك، وكيف كان تأدبه معه، وتذكر له سابق إحسانه، وخدمته ومحبته فجعل يقول : أمثل هذا يهمل ؟ يكرر ذلك، فتوجه إليه بكليته وعطف عليه العطف الكلي، ورد عليه الرد البالغ، فإذا به قد أتى، وجعل يصيح : الله، الله، حتى خرجت روحه فأتاه أخوه يقول له قتلت أخي، فقال له : فما نفعل له حولت له الساقية، ولم بال ما أعطيتها ظهيري، فغلبتني، وكانت عندهم امرأة من الشاوية، تخدمهم اسمها عنداله، فكانت إذا مر الشيخ بساحتهم، قالت ها هو الرجل الذي من نعته ونعته، تذمه، وتنقصه، الذي قتل سيدي غانما، فكان لا يباليها، ولا يلتفت إليها، إلى أن كان يوما صادفت منه قدرا بهلاكها، كان مارا بهم، فخرجت، وجعلت تقول، ما كانت تقول فقال لها : أنت يا بروافة ما تدور إلا أن تقع بين فحلين يعمل الله أحدهما هكذا، والآخر هكذا، وضرب بيده اليمنى في الهواء وأعاد باليسرى، وكان ذلك آخر العهد بها، لم يدر أين ذهبت، ولم يعرف لها خبر، ولا أثر إلى الآن.

149) أبو عبد الله محمد بن علي النيار الأندلسي القصري

ومنهم : الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي النيار الأندلسي القصري نزيل مكناسة، ودفين قبة شيخه، وخلف بابها من قدماء أصحاب الشيخ، وكان صاحب سفارته، إذا غلب على الشيخ الحال أمسك بيده عودا، والآخر كذلك، ثم جعلا يتساقران[412] حتى يفرق الشيخ، مما هو فيه ويرجع إلى الوجود، وكان ذا دين متين، وصلاح، وبركة

(412) نوع من الرياضة يأخذ كل طرف سيفاً أو عصا ويهم بضرب صاحبه، فيتلقاه الآخر بسيف أو عصا.

ظاهرة، وانقياد تام، للشيخ أبي المحاسن، مع كونه هو الذي أوصله الشيخ، كما تقدم، وانقباض عن الخلق، وانقطاع إلى الله وملازمة للأوراد وإكثار من قراءة دلائل الخيرات.

150) أبو سرحان مسعود اللغماني

ومنهم : الشيخ أبو سرحان مسعود اللغماني، وكان صاحب مزاح الشيخ، وله معه في ذلك حكايات، وكان صاحب محبة، وأدب، وتواضع، مستصحبا لكتاب دلائل الخيرات لا يفارقه، مقيما، ولا مسافرا، وكان إذا رأى أمرا حسنا، قال : هذا أمر رباني، وإذا رأى ضد ذلك قال هذا أمر لغماني، وكان يقول ربانا المؤدب، يعني شيخه، حتى صار عندنا من سبنا ومن دعا لنا بخير على حد سواء.

151) أبو عبد الله محمد سقين القصري

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد سقين القصري، وهو الذي تحدى به الشيخ، وقال : آية صدق حالي، وصحة طريقي، أن هذا الرجل من أهل الجنة، فخرج النصارى دمرهم الله في يوم جمعة في بحر سيدي أبي سلهام، فوجدوا الرجل صاحب الترجمة قاعدا عند ضريح سيدي أبي سلهام، يقرأ دلائل الخيرات، فقاتلهم فقتلوه، فمات مجاهدا في سبيل الله يوم الجمعة يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، في ذلك الكتاب الشريف، عند ضريح ذلك الولي الكبير، رضي الله عنهم ونفعنا بهم أجمعين. هؤلاء اثنا عشر من أصحاب سيدي عبد الرحمن المجذوب، وتقدم وارثه سيدي يوسف ثالث عشرهم(413).

152) الحسن بن سنان(414)

ومن أصحاب سيدي محمد بن عمر بن داود المختاري سيدي الحسن بن سنان ومن كلامه (السالكين اعطوا خبر الذي خافي، وصف المعاني راوا تحقيقهم شافي).

153) أبو محمد الحسن أزناك

وأما الطبقة التي تلي هذه من جهة السند فمنهم : الشيخ أبو محمد الحسن أزناك من

---

(413) جاء في الحجرية أنّ المترجم له هو التاسع، وأن سيدي يوسف هو العاشر، والصواب ما جاء في خ : أن المترجم هو الثاني عشر ابتداء من الترجمة رقم 140، وكذا ما ورد في الخطية من أن سيدي يوسف ثالث عشرهم.

(414) هذه الترجمة ساقطة من الحجرية.

أصحاب سيدي فارس بن الحسن الوريكي، الولي، الشهير، سماه لي بعضهم، ونسبه لهذا الشيخ.

154) أبو عمران موسى البوقمازي

ومنهم : الشيخ أبو عمران موسى البوقمازي، دفين تانغملت، كان هذا الشيخ رجلا متسببا، فذهب يتسبب مرة في حمل زيت على دابة له، في قافلة فازدحمت دابته مع دواب غيره، من أهل القافلة، في مضيق، فانكسرت، فأعطى زيته أهل القافلة فرقه عليهم، وذهب قائلا في نفسه : هذا السبب قد تعذر علي، فمالي إلا أن أذهب إلى الحج أو الغزو، ومر بالشيخ أبي عثمان، دفين ورزغت(415) زائرا له فجلس قدامه فجعل الشيخ يتغنى بلغة بلده قائلا ما معناه بالعربية : هنا الحج، هنا الغزو، يا من أرادهما، ثم أخرج شاة، فناولها مقدم الزاوية، وقال له : اذهب بالبوقمازي فاذبح نفسه معها، فذهب به، فأجلسه وذبح الشاة، قدامه فذبحت نفسه، وصار من أولياء الله تعالى، ولازم الشيخ أبا عثمان، خدمه إلى أن توفي الشيخ أبو عثمان، فذهب أبو عمران في جملة أصحاب أبي عثمان إلى شيخ شيخهم سيدي عبد الله بن حسين، فقال لهم الشيخ : من يقوم لنا بأولاد أبي عثمان وزاويته ؟ فقال أبو عمران : أنا ياسيدي، أقوم بذلك، فتكفل بهم، وصار يخدم سيدي عبد الله ويذهب إليه لتامصلوحت إلى أن مات بعد أن فتح له على يدي سيدي أبي عثمان رضي الله عنهم أجمعين، هكذا حكى لي هذا كله بعض أهل الديانة ممن له الإقامة بتلك البلاد على ما بلغه.

155) أبو الحسن علي الحنشي السريفي

ومنهم : الشيخ أبو الحسن علي الحنشي السريفي، كان هذا الشيخ صاحب حال عظيم، كان سيدي يوسف الفاسي يقول : ما لقيت أقوى منه حالا يعني في أهل الأحوال، وكان من أصحاب سيدي علي(416) ومع هذا، كان يوما مارا مع شيخه في أصحابه، فلقيهم رجل من أهل الغيبة، فقال لهم : إني لأرى هؤلا الناس كلهم ماشيين في نور ذلك الرجل، وأشار إلى صاحب الترجمة، وكان يرى سيدي عبد الرحمن المجذوب، ينفخه من رجله، كالشاة فيمتلئ مددا، وكان إذا نزل به حاله، وهو في مسكن يعظم حتى يملأه، ولما شاهد منه ذلك بالقصر بعض من يعرفه هناك، ذهب إلى سيدي يوسف الفاسي، وكان إذذاك قاطنا بالقصر، فقص عليه ما رأى مستغربا له، وسائلا عن حقيقته، فقال له : ذلك حال ينزل به، فرجع إلى صاحب الترجمة وأخبره بما قال لسيدي

(415) انظر التعريف بها في الهامش رقم 311.
(416) مترجم تحت رقم 108.

يوسف الفاسي، وما أجابه به، فقال له : أو هنا من يعرف هذا الأمر ؟ فقال له : نعم، فقال له : لابد أن تجمعني به، فذهب به إليه فبنفس ما أشرف عليه ورآه استراح، واتسع عليه الحال، قالوا : وقع له كالمصباح إذا قربته من نار كثيرة قوية فإنها لاشك تسفه، فلما كان له هذا على يد هذا الرجل، قال له : أنت أتيتني بهذا الشيخ، فاطلب ما تشاء، قال له : اطلب الدنيا فنهاه وأمره بطلب الباقي، فأبى، ولم يرد إلا الدنيا، فقال له أعطاكها الله : فانصبت عليه الدنيا حتى كان عنده من العين والحرث والماشية والمراكب الفارهة المتعددة وغير ذلك شيء كثير لا يأتي عليه الوصف، ثم كان عاقبته أن قتل غيلة، وذهب ماله، ونفذ كل شيء، وبقي سيدي علي يتعاهد سيدي يوسف، ويتردد إليه، وكان إذا جنه الليل عنده، نادى الذي يوقد المصباح، يافلان، اشعل المصباح، وذلك أن البيت يمتلئ عليه نورا فيخاف أن يفتضح ظنا منه أن ذلك مما خرج الوجود، وفاض على الظواهر، حيث كان مشهودا له بنور البصيرة، وقيل له في سره أعطيت حال الشاذلي إلا أنه قوي، وأنت لم تقو، وكان جلده يتشقق، ويخرج منه كالجذام من عظيم ما كان ينزل به، وكان إذا دخل غدير ماء حمي به، وهو الذي حد لسيدي يوسف الفاسي ألا يمكث بفاس إلا خمسا وعشرين سنة، كما تقدم، وذكر بحضرة صاحب الترجمة يوما سؤال الملكين في القبر، فقال له إنسان : إني أخاف منهما، فقال له : أعطني كبشا، ولا بأنيابك، فقال له : ليس عندي، فقال له : فاعطني ديكا فأعطاه إياه، فأمنه مجيئهما رضي الله عنه، ونفعنا به (ثم وجدت تأليفا لجدي للأم الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف بخطه، في والده ذكر فيه هذا الشيخ صاحب الترجمة فرأيت إيراد كلامه فيه متأكدا قال : منهم الشيخ الولي الكبير العارف المحقق أبو الحسن علي الحنشي السريفي المدفون بقرب مجشر أبي جديان من قبيلة سريف، قال لي الوالد مرارا إنه أقوى من لقيت شهودا وحالا، وكان ينتسب لبعض شيوخ وقته، ولما علم منه شيخه ما ذكرنا من القوة صار يأخذ منه الدعاء له ولأهله وولده، ويتواضع معه، حدثني بهذا مولاي الوالد، رزقني الله رضاه، وأخبرني أيضا رضي الله عنه أنه كان يوما جالسا في جماعة كبيرة مع الشيخ أبي زيد عبد الرحمن، وإذا بالشيخ أبي الحسن الحنشي قد أقبل عليه، فأراد ضربه بعود طويل، كان بإزائه فأدبر هاربا، فرماه به بين أكتافه، وقال لما أصابه : هو هذا هو الفارس، طبعت اليوم، وأخبرني الوالد رضي الله عنه عن الشيخ أبي المحاسن أن ذلك سبب فتح الله عليه من الشيخ أبي زيد عبد الرحمن، فكان يخبر عن نفسه أنه إنما ربح من الشيخ أبي زيد عبد الرحمن رضي الله عنهم، وأنه كان يمده في الغيب، ولأن المادة كانت تسري فيه، وتأتيه من ناحية الشيخ أبي زيد عبد الرحمن، وكان يراه في النوم، ينفخه من كمه، ولم يزل يعاوده كذلك حتى امتلأ، فكان الأمر في اليقظة كذلك، قوي عليه الشهود، وصار يطلب الحجاب، فلم يعطه، وامتلأ نورا، وأسرارا حتى لم يجد مسلكا ولا متسعا فقتله ذلك، رحمة الله عليه، ورضوانه

لديه، وكان لحمه يتفلح، ويتمزق، شاهدته مرارا رضي الله عنه، كان يأتينا من مدشره لدارنا، حيث كنا بالقصر، كل أسبوع مرة غالبا انتهى رضي الله عنه ونفعنا به)(417).

156) أبو حفص عمر الأندلسي الكرفطي

ومن أصحاب سيدي علي الشلي أبو حفص عمر بن إبراهيم غيلان الأندلسي، ثم الكرفطي، وتوفي سنة سبع وعشرين وألف.

157) أبو سالم إبراهيم بن مصباح

ومن أصحاب سيدي الشلي أيضا الشيخ أبو سالم إبراهيم ابن مصباح دفين بلاد رهونة.

158) أبو العباس أحمد بن مصباح

ومنهم ولده : الشيخ أحمد بن مصباح بسريف، وكان له حال، وأتباع، وبركة، وخير، وتوفي في غالب ظني في أواخر العشرة الرابعة، وإلا ففي أول الخامسة بعد الألف رحمه الله ورضي عنه.

159) أبو عبد الله محمد المجول

ومنهم : الشيخ أبو عبد الله محمد المجول بالقصر الكبير، وكان صاحب غيبة إلا أن رسومه محفوظة عليه، وله كرامات، وبركات، ومكاشفات، ونطق بالمغيبات، وتوفي في أواخر العشرة السادسة بعد الألف، وأخذ عن السيد أبي عبد الله محمد الحاج الاغصاوي، دفين فاس وقتيل أميرها(418).

160) أبو زيد عبد الرحمن الفاسي

ومنهم الشيخ أبو زيد وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف الفاسي الولي، العارف الكبير، الواصل، المحقق، الشهير، ولد رضي الله عنه في محرم سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة ومات أبوه في جمادى الثانية من سنة أربع وسبعين وتسعمائة فربي في حجر أخيه الشيخ أبي المحاسن يوسف بن محمد، ثم في حجور الفقراء من أصحابه وأصحاب شيخه المجذوب وغيرهم، من المشائخ والمريدين، والصالحين الذين كانوا يأتون دار أخيه إذ كانت لهم مألفا، وبعثه أخوه مرة إلى الشيخ المجذوب فأجلسه

---

(417) ما بين القوسين ساقط من الخطية.

(418) مترجم تحت رقم 121 وانظر الملحق 2.

على فخذه لصغره، وأعطاه قطعة لحم، ثم لما أراد الله أن يهيئه للإمامة والاقتداء، كما قال الشيخ أبو العباس بن العريف **(إذا أراد الله أن يهيئ عبدا للإمامة والاقتداء شغله في أيام غفلته بعلم الظاهر من القراءة والعربية والفقه، والحديث، ثم ينقله إلى علم الأحوال، والمقامات فعند ذلك يستحق الإمامة، والتقدم)** فلم يتداركه الجذب من أول مرة، بل شغله بطلب العلم، فطلبه عند مشيخة فاس، وأتمها حتى تضلع بالعلوم، وحصل منها على ما لم يحصل عليه غيره من مشيخة وقته، وشهدوا له بالتقدم في جميعها، وأشاروا إليه بالتحقيق والتبريز في سائر أنواعها. ثم أنهض الله تعالى إليه همة أخيه الشيخ أبي المحاسن، رحمة منه سابقة، ومنة منه محققة، فتوجه إليه بعناية الله وإذنه، وإرادته، فأمده بمدد قوي، فتداركه الجذب، وورد عليه وارد الحب، ونزل به من ذلك حال عظيم، وكان الشيخ أبو المحاسن قال لأصحابه : عبد الرحمن أخي، أنا قطعت عليه الطريق، كان يكتب كتابا شريفا فقطعته عليه، فذكر ذلك للشيخ أبي محمد، وسئل عن الكتاب فقال : هو القاموس، وكان ينسخه لنفسه، حتى بلغ مادة صبح، حيث قال : أو هي للمصاحبة، فكانت مناسبة للحال بمجيئه الجذب، وورد عليه وارد قوي أزعجه، وغلب عليه، فكان ذلك آخر العهد منه بالنسخ، ولازم الشيخ أبا المحاسن واختص به واجتمع عليه، ورفض ما سواه، واستوحش من الناس، وترك ملابسة العلوم الرسمية وخرج عن عوائده وما لوفاته، ولم يبق فيه لغير محبوبه بقية، وكان في أول مرة يدخل الدار، ويخرج فلا يعرف ما ازداد فيها، ولا ما نقص، ولا يشعر بشيء إذ كان مأخوذا عن نفسه مقتطعا عن شاهده وحسه، إلا أن رسوم الشريعة محفوظة عليه، ثم لم يزل شيخه يحاذيه ويسايره في أحواله، ومقاماته في سلوكه، ويستنزله ويرده إلى الوجود، ليتكمل ويحصل به نفع العباد، ويصلح لتربيتهم، فأمره مرة بإقراء ولده أبي عبد الله محمد العربي صغرى الشيخ السنوسي، فقال له : إن ذلك يثقل علي، يعني لعدم مناسبته لحاله، لأنه رجوع من الشهود والعيان إلى تعاطي الدليل والبرهان، فقال : سبحان الله ! أرأيت الذي يخاطب الحمار أو غيره من الدواب بألفاظها المعهودة لها أذلك لغته ؟ إنما هو خطاب لها على قدرها، قال : ثم بعد أيام سألني، وقال : كيف تجد ذلك فقلت : إنه ثقيل علي، فقال كيف تجد القرآن، فقلت جمع على الله كله، فقال : الحديث : فقلت إنه منور، قال فرأيته قد سر واستنار وجهه يعني لكونه اختبره فوجده سليم الفطرة، جيد المذاق، وذلك مما يشهد بصدق حاله، وسلامة طريقه وعدم الخلل في بصيرته، وهو وإن كان يعرف هذا منه، لكنه لا يكتفي بالباطن، ولا يهمل الظاهر، بل يعطيه حقه، يستظهر على ذلك بشهادة الخارج ويقيم عليه شاهدين، وأمره مرة أخرى بتدريس الرسالة بالمسجد[419] المعلق حول داره، وكان الشيخ أبو المحاسن يقول فيه :

(419) في مدينة فاس خمسة مساجد معلقة، الأول في الطالعة الكبرى، والثانية في النواعريين والثالث في عين علو والرابع في راس الشراطين، والخامس بالقلقيين، ويبدو أنه المراد هنا، فهو القريب من الزاوية الفاسية.

لولا أنه وجد الشيخ أو المعلم يعني نفسه لكان ممن يبول على رجليه، من قوة ما نزل به، يعني إنه يتوله، ويكون من جملة المتولهين المغلوبين على أنفسهم المقتطعين عن حسهم، وكان يقول فيه أيضا : عبد الرحمن أخي، له يد مع الله أو عند الله إلا أن الوقت غمنا وغمه، أجرنا وأجره على الله، وقال فيه : إنه حكيم، وكان هو يقول : إنه هو وشيخه أبو المحاسن، خلقا كرة واحدة من نور فقسمت بينهما، وسمعت سيدنا الإمام سيدي محمد بن عبد الله يقول : إن هذا شأن الوارث مع موروثه، فإذا غاب النصف ناب عنه النصف الآخر، ولأجل أنهما شيء واحد، ما ورد على هذا شيء إلا ورد على الآخر، ولا أراد هذا أن يتكلم بكلام أو يفعل فعلا إلا أراده الآخر وارتسم فيه، كما كان يقع له هو مع صاحب الترجمة، في غير ما قضية كان يحكيها. وتذكر هنا الحديث : ما صب في صدري شيء إلا صببته أو صببت منه في صدر أبي بكر، وكان سيدنا الإمام أيضا يقول : إنه كلما رأى سيدي يوسف في الغيب ظهر لي لاتحادهما في ثاني حال أنه سيدي عبد الرحمن، أو رأى السيد عبد الرحمن عاد سيدي يوسف لاتحادهما معنى، وتذكر قول سيدي محمد العفاني له لما أمسك يده : هذه يد سيدي يوسف، ودخل يوما على الشيخ أبي المحاسن، وهو جالس وحده فقال له، هكذا دخلت أنا يوما على سيدي عبد الرحمان، يعني المجذوب فقال له : أنت خملت بيري حتى للقاع، ولما حضرت الوفاة الشيخ أبا المحاسن كان معه قرباؤه، فصار يقول أين فلان ؟ فيقال هنا، أين فلان ؟ حتى قال أين عبد الرحمن أخي ؟ فقالوا : هنا، فدعا له بالبركة، وكان الشيخ أبو زيد الغالب عليه الغربة والاستغراق في التوحيد، وكان يقول في شأن شيخه معه، هو أمكن مني، أنا شرولتني الحقيقة، وكان أبو محمد مع ذلك محفوظة عليه رسومه، وكان إذا تكلم في العلم، كأنه حاضر كله لا يغادر شيئا مما تحتاج إليه المسألة المتكلم عليها ويقتضيه المقام، وكان ربما يقول للحاضرين من الفقهاء وغيرهم : فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون[420] يعني في مسائل العلم، وكان بعض المقيدين عنه من الطلبة يوما فاته كلام قاله في حال تقييده لغيره، فطلب منه أن يعيده عليه فقال له : أقول كما قال الجنيد : لو كنت أجريه لكنت أمليه، وكان بعض الفقهاء يحضر مجلسه في البخاري فطالع يوما ابن حجر في منزله، وأتى فقال له في المجلس : هذا ما ليس عند ابن حجر كأنه كاشفه بمطالعته، قال : فاستعظمت ذلك، واستغربت أن يكون عند أحد ما ليس عند ابن حجر قال : فما تم المجلس حتى اعترفت بصحة قوله، وسلمت له، وحضر مجلسه يوما بعض الفقهاء، وكان ذا نبل وإدراك وفهم، ومن شأنه أن يتكلم ويبحث، فلم يتكلم في ذلك المجلس بكلمة، فقيل له في ذلك، فقال : لا يتكلم في مجلس

---

(420) فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون سورة هود الآية 55.

ذلك الرجل إلا مكروه أي ثقيل، فقيل ذلك للشيخ أبي محمد، فقال : ذلك الرجل يدرك الإعجاز، وكان من شأنه إذا كتب جوابا أو غيره، ولو طال ما عسى لا يبيض له، بل يكتبه في محله بديهة من أول مرة، وله تواليف وأجوبة وتقاييد وطرق كثيرة في أنواع العلوم مفيدة جدا، ولما توفي شيخه تأهل للمشيخة وانتصب داعيا إلى الله، وانتفع به ناس كثيرون وظهر ظهورا عظيما، ولم يذكر أحد معه في علم الشريعة(421) ولا في الطريقة وظهرت له الخوارق العظيمة، والكرامات الجسيمة، وفي صبيحة تسعة وعشرين من رمضان سنة خمس عشرة وألف ابتدأ قراءة الأحزاب عنده المرتبة مساء وصباحا بالمسجد المعلق حول داره، وفي سنة سبع وعشرين وألف، بنى زاويته، وانتقل إليها، وتوفي رضي الله عنه في آخر ليلة الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ست وثلاثين وألف، ودفن في روضة أخيه الشيخ أبي المحاسن، قريبا من القبة في شمالها، وبني عليه بناء حسن رضي الله عنه ونفعنا به.

161) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن معن الأندلسي

ومنهم : سيدنا ومسندنا ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ الإمام الحبر الهمام العارف بالله والدال على الله والناصح لعباد الله الدائم الشهود المتحقق بالوجود أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن عبد الله بن معن الأندلسي، يعرف قديما بمعن، وبعد ذلك إلى الآن بابن عبد الله، نشأ رضي الله في عفاف وصيانة ومروءة وديانة مقبلا على شأنه آخذا فيما يعنيه، لا يشارك الصبيان في لعبهم، وصبتهم شديد الحياء والأدب، مؤثرا للعزلة من صغره فكان يذكر أنه كان لا يقع بصره على بصر المؤدب قط، فوقع له ذلك يوما فذاب خجلا، فجعل المؤدب يغطي وجهه، بلوح كان في يده، ويضحك تعجبا منه، وكان إذا حضر مع والده وغيره من أهل جومهم في بستانهم، يقصد التنزه انحاز هو إلى شجرة وجعل يقرأ القرآن لا يشاركهم فيما هم فيه، وكان والده يحمله على مكارم الأخلاق ومعالي الأمور، وإباية النفس، وصون العرض وحفظ المروءة، وحسن الأدب، وإحسان البرور في حكايات متعددة، كان يحكيها عنه، وكان شديد البرور بوالديه، حسن الأدب معهما مبالغا في إرضائهما، وكان يقول كل من يكون عاقا لوالديه لا يفلح ولا ينجح في هذا الطريق، وكان مع ذلك يقول : يطيع والديه في كل شيء إلا إذا نهياه عن الدخول في هذه الطريق وصحبة أهلها فلا يطيعهما، ويذكر قول الله تعالى : وصاحبهما في الدنيا معروفا، واتبع سبيل من أناب إلي(422) وحفظ القرآن العزيز في

---

(421) قال القشيري في رسالته : الشريعة أمر بالتزام العبودية، والحقيقة مشاهدة الربوبية، فالشريعة أن تعبده، والحقيقة أن تشهده، والشريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر.

(422) واتبع سبيل من أناب إليّ، سورة لقمان الآية 15.

صباه، وجود قراءته بحرف نافع، على الشيخ أبي العباس أحمد بن عثمان اللمطي، والشيخ العالم الصالح المتقي النفاع الأستاذ أبي محمد الحسن بن محمد الهداجي المعروف بالدراوي، دفين دار ابن عمرو خارج باب الفتوح، وقرأ ما تيسر من الأمهات، وتصدى لطلب العلم فرأيت بخطه نسخة من ألفية ابن مالك(423) ونسخة من المرادي(424) والمحاذي عليها، ورأيت نسخة من الرسالة بغير خطه مطرزة بخطه غاية التطريز. ثم إنه اشتغل بالتكسب وأولع بالعبادة والتنفل، فكان يأوى هو وأخ له في الله إلى مسجد الحفارين(425)، حومتهم، فيبيتان به يصليان، فنقم عليهما أهل الحومة صلاتهما النافلة في المسجد، وكتبوا في ذلك سؤالا لمفتي الوقت الشيخ الإمام أبي عبد الله القصار(426)، فكتب : ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما(427)، وكان يواظب على زيارة ضريح الولي الكبير الشيخ أبي عبد الله التاودي، وقال يوما إنه كان شيخه قبل سيدي يوسف وكان يتردد هو ووالده إلى شفشاون في التجارة في الحرير الخم(428) وفي شقاق الكتان الخمة، فكان يزور ضريح القطب الكبير سيدي عبد السلام بن مشيش، فأطلق الله لسانه في المرة الأخيرة التي منها صحب شيخه، بأن سأل عنده أن يجمعه بشيخ يوصله إليه، فكانت منه حالة صادقة، وصادف الإجابة، فلما رجع إلى فاس، عرض له بالقرب مشي إلى وادي الزيتون(429) بعدوة الأندلس، وكان إذاك هو ووالده يسكنان بالحفارين(430) من باب الجيسة فلما اجتازا بسقيف المخفية، أحس بعقله وروحه وسائر عوالمه قد سارت نحو المخفية، ولم يملك عقله ولم يعرف لذلك سببا فأتى والده، فأخبره بذلك وقال له : إن لم نسكن المخفية فإني أخاف على عقلي، أو نحو هذا فلم يقدر له ذلك حينئذ، ثم إنه التقى ببعض أصحاب سيدي يوسف الفاسي ممن كان يعرفه، وكان في يد سيدنا تنبيه الشيخ ابن عباد(431)، وكان له به ولوع، فقال له ذلك

---

(423) ابن مالك أبو عبد الله جمال الدين، الطائي نسباً الشافعي مذهباً، توفي سنة 672 اشتهر برجزه المسمى بالخلاصة والألفية في علم النحو، وقد شرحه كثير من العلماء المشارقة والمغاربة.

(424) شرح على ألفية ابن مالك لم يطبع.

(425) مسجد الحفارين قريب من العشابين في فاس القديمة.

(426) مترجم في التعليق رقم 10.

(427) سورة النساء الآية 73.

(428) الحرير الخم الحرير الخالص.

(429) واد الزيتون واد من أودية فاس في باب الجديد.

(430) الحفارين حي من أحياء فاس بدائرة اللمطيين.

(431) الشيخ ابن عباد محمد بن يحيى النفزي الرندي الشهير بابن عباد استمر خطيباً للقرويين خمس عشرة سنة وله تآليف حسنة منها : شرح الحكم، والرسائل توفي بفاس سنة 792 ودفن داخل باب الفتوح بكدية البراطل. انظر السلوة ج 2 ص 133.

الصاحب إن كنت تحب هذه الطريقة، وأنت طالبها، فعليك بسيدي يوسف الفاسي، فصب[432] به من وقته، وسار معه إليه، فكان يقول ما حاصله : إنه بنفس ما وقعت عينه عليه غاب فيه، وانجمع عليه، ويقول : بداية السادات العين في العين، غابوا عن الصفات فكيف بالكون، يعني أنه غاب في شهود الذات واستوفاه فلم يبق فيه متسع لغيره، وكان نزل به جذب قوي وحال عظيم، فلازم الشيخ وخدمه وكان لا يفارق

الزاوية أكثر نهاره، وكان في وقت علوفة الحرير يخرج نصف رطل ونحوه من الزريعة، ولا يجده الوقت إلا بالزاوية فكان سيدي يوسف يتعجب منه لذلك، وكان لا يالو من النظر في الشيخ، ويتبع أثره، وغلب عليه الوجد يوما، فقال له ياسيدي : إني أحبك، فقال له : أحبك الله ونورك، أو، وكان لك، ومما وقع له في حاله في بدايته ما حدثني به بعض أصحابنا، أنه لما نزل به الجذب وأشرق باطنه بنور التوحيد، واضمحلال ما سوى الله تعالى جرى عليه ذكر اسم الجلالة مفردا، وامتنع في حاله من ذكر النفي والإثبات[433] فتشوش من ذلك فأتى الشيخ فأخبره، وشكا إليه حاله، فقال له : لا تخف، واذكر ما شئت ما دمت لك حيا، ومما وقع له في بدايته من قوته وغاية حال المحبة عليه أن طلب من الله الابتلاء بالمرض، وقال له : يارب، وإذا سألتك الشفاء فلا تشفني، فمرض بالحمى الثلاثية عاما ونصفا، ثم رأى في يده آنية يسأل بها السؤال في بلادنا ففهم عن الله السؤال، فسأل الله الشفاء، فشفاه، ولما مرض مرة أخرى في حال كماله، ورأى أمرا عظيما نازلا به، فقال : يارب إني ضعيف فغاب عن عقله حتى نزل ما نزل وذهب، وحينئذ أفاق، ولما ولد في الطريق عند سيدي يوسف[434] جاء أهل الله سيدي يوسف يهنئونه به، وكان الشيخ قد أسف لفقد سيدي إبراهيم الصياد[435]، وتألم لمصابه، فعوضه الله منه سيدي محمداً، وكان يخف في حوائج الشيخ، وتعجبه[436] سخرته، ولما مات والده لم يترك وارثا إلا زوجته وولدهما صاحب الترجمة، فجعل ينفق ما ورثه منه، ويفرقه في جانب الشيخ، وفي الفقراء، والمساكين، حتى لم يبق بيده منه شيء، والشيخ في ذلك كله يربيه ويرقيه، ويصرف عنان عنايته إليه، سمعته يقول : إنه كان أول ما صحبه يفرح بالوجد، ويحزن للفقد، فذكر ذلك لبعض إخوانه فأنهى ذلك للشيخ، فلما حضر بين يديه، قال على جهة الإنكار ! طيب : أصبت قلبي فقدت قلبي، لا كان قلبي، فما بالي بعدها، وتحقق

---

(432) صب، كلف.

(433) النفي والإثبات هو الموجود في : لا إله إلا الله. فأولها نفي وآخرها إثبات.

(434) أي انتسب إلى الزاوية الفاسية مريداً وفقيراً.

(435) مترجم تحت رقم 162.

(436) السخرة الخدمة والعمل.

بالعبودية والرضا من الله في جميع الأحوال، وسمعته يقول ما معناه : كان الشيخ عسى أن لا يذكر لنا الأمر من أمر الطريق إلا مرة واحدة، فنقوم به ولا نحتاج إلى إعادته علينا مرة أخرى، وكان يذكر أن بعض الناس كان له بناء في داره، فكان إذا كان فيه، وجد قلبه فعمد إليه فهدمه فكنا نفهم أن المراد نفسه، وكان في صحبة الشيخ مواخيا الشيخ العارف أبي عبد الله محمد الأكحل(437)، وكان سبقه لصحبة الشيخ فكان صاحب الترجمة يجالسه ويستفيد منه، وكان يحكي عنه كلاما غير واحد في الطريق، وكان مشربهما من الشيخ مشربا واحدا، فبقيا على ذلك ما شاء الله، إلى أن قرب أجل الشيخ، فقطعه عنه، لأنه رأى أنه لا يقوم بأمره، وأن الوارث غيره وربطه، في وارثه الشيخ أبي محمد عبد الرحمن، وذلك كله غيب، يشاهدونه ببصائرهم ويجدونه(438) من أنفسهم، ويخبروننا به، وسمعته يقول : إنه لما صحب سيدي يوسف كان في أول أمره يرى الخصوصية سارية في جميع من يدخل على باب زاويته، حتى انقط إذا دخل، ثم جعلوا يغربلون من نظره حتى لم يبق إلا سيدي عبد الرحمن، ولما توفي الشيخ وكانت مدة صحبته إياه نحو الأربع سنين، صحب وارثه سيدي عبد الرحمن، ولازمه، واختص به مدة سنين، إذ لم يخرج معه من أول مرة من أصحاب شيخهما غيره، فكانا يجلسان باب الرواح(439) بجامع القرويين، فبقيا على ذلك سنين، ثم جعل أصحاب شيخهما يتلاحقون، حتى اجتمع جماعة من المعتبرين منهم، على الشيخ أبي محمد، وذكر لي بعض أصحابنا ممن صحب الشيخ أبا محمد أن الشيخ أبا محمد، قال لهم : لما كان هو والشيخ أبو عبد الله صاحب الترجمة يجلسان بباب الرواح اختفى له يوما بجامع الأندلس(440)، وكأنه ليختبر بصيرته، فذكروا ذلك لصاحب الترجمة فقال : نعم كنت إذا بلغت الديوان(441)، استقبلتني رائحته فتتبعتها، فلما كان يومئذ أنكرت ذلك، فتتبعت الرائحة إلى جامع الأندلس، فبقي على خدمته من سنة ثلاث عشرة وألف إلى سنة ست وثلاثين وألف ما بين موت الشيخين الأخوين، وهو يخدمه بنفسه وماله والشيخ ينوه به، ويجله ويعظم أمره، فبلغني عنه أنه قال : لا يوجد مثله في المشرق، ولا في المغرب

---

(437) مترجم تحت رقم 165.

(438) الوجد الخواطر الواردة على القلب.

(439) باب من أبواب مسجد القرويين.

(440) مسجد الأندلس، بنته مريم بنت محمد بن عبد الله الفهري في عدوة الأندلس ويسمى الأندلس لأن وفود الأندلس نزلت بالأحياء المجاورة بالعدوة الشرقية، ابتدأت بناءه سنة 245 وزاد فيه أحد عمال الناصر لدين الله زيادات من جملتها الصومعة ونقلت إليه الخطبة من جامع الأشياخ على يد حامد الهمداني عامل أبي عبد الله الشيعي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وأول خطبائه أبو الحسن بن محمود الصدفي انظر الجذوة جـ 1 ص 78.

(441) حي من أحياء فاس يقع بين حي الساغة والعطارين.

وأنه قال : هو كالشوكة في الطين، وكان بعضهم قد آذى ولد الشيخ أبي عبد الله ثم جاء الشيخ أبا محمد يعتذر ويتنصل من ذلك فعظم له شأن والد ذلك الولد، وقال له : هب أني سمحت لك، كيف تصنع مع والده ؟ إن والده رجل صالح، وهو كالشوكة في الطين، وأخبرني بعض أصحابنا أنه قال للشيخ أبي محمد : إن سيدي محمد بن عبد الله ليعجبني وإني لأحبه، فقال له : أحببه إنه من أرباب القلوب، وأخبرني بعض أصحابنا، أنهم كانوا مع الشيخ أبي محمد في زيارة سيدي عبد السلام بن مشيش، فرأى صاحب الترجمة على بعد، فسأل من ذلك ؟ قال : فقلت له سيدي محمد بن عبد الله، فجعل يقول سيدي محمد بن عبد الله رزقنا الله ما تكافيه به، ويكرر ذلك، وكان ينتظر بالصلاة قدومه، فإذا أشرف على باب الزاوية، أقاموا الصلاة، وورد عليه مرة كلام لبعض أهل الوقت في الطريق، فناوله إياه وشاركه فيه، وقال له : ما يظهر لك في ذلك ؟ وجاء يوما يوسف الحكيم، فجعل يتكلم مع سيدي عبد الرحمن على الملائكة وتجريدهم، فشاركهما سيدي محمد في الكلام وكان حول الشيخ، فأنف الحكيم من دخوله في ذلك، وكان لا يعرفه، فقال له سيدي عبد الرحمن : هذا يعرف المقولات التي تتكلم عليها، فسكن لذلك، وكان يقول : سيدي محمد بن عبد الله مهاب(442) لأنه ذاكر، وكان يحسب مال سيدي محمد ماله، فلا يحتشم فيه حضرا ولا سفرا، فكان إذا احتاج إلى آنيته أو غيرها ذكرها له لا لغيره، فيأتيه بها، وإذا كانوا في زيارة لم يستصحب سيدي عبد الرحمن زادا، وإذا حضر وقت الأكل يقول له : ياسيدي محمد هات الطعام، نأكل، ويقول له : أعط فلانا وفلانا، وكان يقول مال سيدي محمد بن عبد الله حلال، لأنه لا وارث لوالديه غيره، إذ لم يكن له أخ ولا أخت، وكان سيدي عبد الرحمن يوما عند سيدي محمد بالعرصة المنسوبة إليه، فجعل ينظر في موضع الزاوية الآن، وكانت دارا لغيره، ويقول : الأطراف موضع الأشراف، فكان سيدي محمد يقول، لم يكن ثم من يسأله، يعني : ولو سئل لا خبر بما كشف عنه الحال، وكان ربما يريد أن يتكلم بكلام أو يفعل فعلا، فيتوسم في سيدي محمد، فيسبقه إليه ويقوم عنده بأمره، ويكفيه مؤونته، ولما توفي الشيخ أبو محمد، قعد الشيخ أبو عبد الله رضي الله عنهما في داره، فكان إخوانه يترددون إليه فرادى، وكانوا يهابونه فيتلطفون له في قبوله إياهم، فيقول لهم : الحقيقة ورثتها أو ورثتها، ولا إذن عندي، قال هذا لغير واحد، تأنيسا لهم، وإشفاقا عليهم، وقال لبعضهم زيادة على هذا : ولكن أحبني فإن المحبة تنفعك، وقال لبعضهم عندما مات سيدي عبد الرحمن : الأمانة حملها صاحبها يشير إلى نفسه، وسمعته يقول : كان سيدي عبد الرحمن يقول : إذا مات الشيخ، وخرجت روحه،

---

(442) مهاب : في القاموس : ومهيب ومهوب ومهيوب وهيبان يخافه الناس، ولم يذكر مهابا الواردة هنا.

ذهب بحاله وحال وارثه، وبقي الوارث بلا شيء، ثم يرجع إليه ما ذهب، وكنت لا أعرف ذلك، وكان هو سلك ذلك بموت الشيخ يعني سيدي يوسف، ثم سلكته وعرفته، يعني بموت سيدي عبد الرحمن، فبقي كذلك ملازما لداره منفردا بنفسه، نحو العامين، فلما أراد الله إظهاره وإخراجه للعباد للنفع به أزعجه إلى زيارة سيدي عبد السلام بن مشيش فوقع له الاذن هناك، أخبرني بعض أصحابنا، أنهم لما وصلوا عين الشاذلي، أمره فستره بثوبه. إذ كانت إذذاك لاجدار عليها، واغتسل فيها، ثم طلع للشيخ، فكان الاذن، وقال له بعض أصحابنا : شعرت بك يا سيدي لما أذن لك هناك، وشعرت بنفسي، كأن قائدا يقود بي ويجرني إليك، حتى قبلت يدك، وبايعتك، فقال له : نعم، ولولا أن بك حزنة ما أتى بك مجرورا لتبايع، وكان يقول قول البهلول الذي قال لسيدي عبد الرحمن لما التقى به سيدي عبد السلام : هنا تركب العروس، صحيح، هناك يكون الركوب، وعاده يحصل الإذن، ولما انفصلوا عن سيدي عبد السلام، بقوا مدة من الزمان والمكان، وهم سائرون لا يكلمونه، ولا يكلم بعضهم بعضا لشدة الهيبة التي صدمتهم منه، والسكينة التي تنزلت، ولما وصل فاسا وقع بين أصحاب الشيخ أبي محمد بزاويته شنآن فأتوا إليه، واجتمعوا عليه، وقال لهم : ذلك الشأن الذي وقع بينكم من عندي جاءكم، فخرج إليهم، وجلس معهم بزاوية شيخه سيدي يوسف، لقربها منه قبل أن يبني هو زاويته، وكان ذلك سنة ثمان وثلاثين وألف، وكان سكناه المخفية(443) سنة ثلاث وعشرين وألف فأتاه الناس من كل جهة وقال لهم : اركبوا هذه الرقبة فقد هددت بالسلب إن لم أخرج إليكم، وأخبرني بعض أصحابنا أنه لما خرج إليهم، وقال لهم هذا الكلام، رآه قد تغرغرت الدموع في عينيه، ولما نزل به حال الارث قال : صادفه ذلك وهو جنب، فأجرى الله على لسانه أن قال : اللهم اجعلني رحمة للعباد، أو قال : لعبادك المؤمنين، وكان يشير لخدمة الجن إياه وحضورهم مجلسه، ويقول : أول من يخدم المخصوص الجن لكونه أكثر من الآدمي، وكانت زوجته يوما في صنع طعام له، فقال لها : إني أرى امرأة تعينك على ذلك الطعام، وتتصرف معك فيه، كلما تصرفت، ثم بقي في زاوية شيخه نحو الستة أشهر، ثم بنى زاويته في السنة المذكورة، وبقي يدل على الله، وينصح عباد الله إلى أن قبضه الله، وكان لا يحبس نصحه عن أحد، ينصح كل أحد على حسب حاله، وما يليق به من عامة وخاصة، وفقراء وفقهاء، ورؤساء وغيرهم، ويدل الجميع على الله وعلى ما فيه خلاصهم دنيا وأخرى ويقول : الإنسان لا يكون إلا ناصحا، ويذكر الحديث، فيكثر منه، الدين النصيحة(444) (وقال

---

(443) المخفية حي من الأحياء القديمة في مدينة فاس، ولا تزال زاويته بها إلى الآن.

(444) عن تميم الداري أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة ثلاث مرات، فقلنا لمن يا رسول الله ؟ قال : لله، ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين، وعامتهم رواه مسلم.

له مرة أمير الوقت : ياسيدي انصحني، ولا ترائني، فقال له : (إنما يرائيك من يخافك أو يرجوك وهذا الذي تتكلم معه لا يخافك ولا يرجوك) ثم نصحه بما يليق بحاله، وكانت دلالته على الله وحده، ويكثر من قول الشيخ الشاذلي رضي الله عنه من غير نسبة : من دلك على الدنيا فقد غشك ومن دلك على العمل فقد أتعبك، ومن دلك على الله فقد نصحك، ويفسر العمل، بالعمل بغير روح، ويجمع الخلق على الله، ويدلهم كثيرا على شهود توحيده، وقيام الأشياء به، وانفراده بالفعل والتصريف، وأن لا يرى لغيره فعل ولا جعل في خير ولا شر من نفس الإنسان أو غيره، ويقول : الشأن أن يعرف الإنسان من به، أي المتصرف فيه، وأن لا ينسب الفعل لغيره تعالى، يذكر قول القائل (مركب في بحر اسما ما فيه حي، على المحرك لو دريا أخي)(445) وغير ذلك في هذا المعنى، ويدعو يقول : الله يجمع النظرة، والحاصل أن طريقه في ذلك طريقة الشيخ ابن عباد، رضي الله عنه في رسائله، من الدلالة على شهود التوحيد، والجمع على الله، ويحبب الخلق في الله بذكر إحسانه، وجماله، ويدلهم على حمده وشكره ويقول : إن الناس في مقام الشكر وهم يظنون أنهم في مقام الصبر، ويدلهم كثيرا على رفع الهمة، وأن كل ما سوى الله باطل، ويقول : لا ينجح في هذه الطريق إلا صاحب الهمة العلية السماوية الذي لا يبدل الله بشيء سواه، ولا يرضى بشيء دونه، ويصرفهم عن الحظوظ والحظوظ، ويبسط القول في ذلك كله، وكان ملازما للعلم في أموره، شديد الاتباع للسنة والمحافظة عليها في نفسه، وعياله وداره، وزاويته، وعاداته، وعباداته، بحاثا عما يحتاج إليه منها شديد الإنكار العوائد، التي لا تجري عليها، أو التي تدعو إلى التعمق في الدنيا أو التشتيت والشغل عن الله، مقتصدا في أموره معتدلا في لباسه، تاركا لما فيه الشهرة والتمييز عن الخلق في اللباس وغيره، ويعيب على من يفعل ذلك من المتلبسين للفقر وغيرهم، فكان مع الخلق على ظاهر الأحكام منفردا عنهم بالسير مع الحق، لا يخالف ظاهره ظاهرهم بحيث يتميز عنهم، ولا يوافق باطنه باطنهم فيشاركهم فيما هم فيه من العادات لا يترسم برسم، ولا يتقيد بهيئة إلا بما جاءت به السنة، وكان يكره أن يوطأ عقبه وأن يمشي أصحابه معه، فكان لا يمشي إلا وحده، أو مع واحد فقط، إن احتاج إليه، ولا يتخذ من المسجد الجامع مكانا معلوما بل بكل جمعة يصلي حيث اتفق له : وإن وجد سارية صلى إليها وإلا صلى إلى الجالسين خلفهم، ثم إن وجد سارية استند إليها، وإلا لم يحب أن يقام له، وإن قام له أحد، وترك له السارية لم يجلس هنالك، وكان يمشي مجتمعا، ويسرع في مشيته (ويزول قلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا

(445) يبدو أن المعنى : سفينة عائمة في بحر الأسماء الحسنى، ولا حياة لراكبيها، والمحرك للسفينة هو الحق سبحانه.

ذريع المشية وإذا التفت التفت جميعا خافض الطرف)(446) وثيابه إلى أنصاف ساقيه، وكان يغتسل للجمعة، ولا يقتصر على الوضوء وكان رابطا للشريعة بالحقيقة، معطيا كل ذي حق حقه، محيلاً للأشياء على المشيئة والقدرة، رابطا لها في الظاهر بمسبباتها، على مقتضى الحكمة لا يتقيد بحال ولا مقام، حتى ينسب إليه أو يعرف به، بل هو في كل وقت، وكل حال بصورة ما يقتضيه ذلك الوقت، وذلك الحال، إذ الأحكام الإلهية تختلف في كل زمان، فيختلف باختلافها، فإنه سبحانه كل يوم هو في شأن، مواظبا على ما كان عليه في أيام البداية من الأوراد والأذكار، وأنواع النوافل، والتلاوة، ولو في حالة المرض، إلا أن يغلب على ذلك، فيأتي بما أمكن، وكان يعيب كثيرا على من لا يقول بالنوافل والأوراد من الفقراء، وكان يحض على ذكر الله، ويعين لا إله إلا الله، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والاستغفار ويقول : أصحابي هم الملازمون أي المواظبون على قراءة الأحزاب المرتبة لهم غدوة وعشيا، وينهى كثيرا عن ذكر الأسماء، ويقول أسماء الله منزهة مقدسة، ثم إنهم يذكرونها للدنيا القذرة فهي تهلك صاحبها، وتعود عليه بالخسارة، وكانت سبحته لا تفارقه، لا سيما في طرفي النهار، وكان له ورد من قراءة القرآن في المصحف، وورد منه صلاة بالليل، وربما قرأ في بعض السنين باللوح، وكان له ورد من دلائل الخيرات، والدعاء بالأسماء الحسنى، الشيخ ابن عباد، وأذكار، ودعوات بالليل والنهار، وفيما بين ركعتي الفجر والصبح، وفواتح لأناس كثيرين : لوالديه، وأشياخه، وإخوانه، وأولاده، وأصحابه، وقرابته، ومعارفه، وغيرهم، كل واحد يخصه بفاتحته، وإذا مات أحد يعرفه أثنى عليه بخير لا محالة، ونصب يديه، وقرأ الفاتحة هو ومن حضر، ودعا له بخير، وكان يقول : كما أن الأم لها ثلاثة أرباع البرور، كذلك يقرأ لها ثلاثة فواتح، وللأب فاتحة، وكان يأمر بالدعاء لجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الجن، والإنس، الأحياء منهم، والأموات، ليعم المؤمنين كلهم، من الجن والإنس، وكان يرجح في الاستغفار : رب اغفر لي وتب علي أنك أنت التواب الرحيم(447) لطلب التوبة من الله، على : أستغفر وأتوب إليه، وكان يقول ينبغي الإكثار من الاستغفار لاسيما في هذا الزمان يعني لكثرة الخطايا والفتن، ويحض على الورد من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

(446) ما بين الهلالين وارد في شمائل الرسول عليه الصلاة والسلام ومعنى يزول قلعا رفع رجله على الأرض رفعا بائنا، ومعنى يخطو تكفؤا يميل إلى القدام في المشي كالسفينة في جريها. انظر التراتيب الإدارية جـ 2 ص 448.

(447) عن الربيع بن خيثم قال : لا يقل أحدكم استغفر الله وأتوب إليه، فيكون ذنبا وكذبا، إن لم يفعل بل يقول، اللهم اغفر لي وتب علي، وتعقبه النووي مستدلا بالحديث المشهور استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، ورده ابن حجر بأنه عند الربيع بن خيثم كذب، إذا قال ولم يفعل، فإذا قالها وفعل بشروط التوبة لم يكن الربيع معترضا على ذلك.

كالخمسمائة، ويحض على الإكثار من لا إله إلا الله من غير عدد، بل قائما، وقاعدا، وراقدا (وأخبر قرب أجله وهو صحيح، أنه أكثر من الأوراد جدا وزاد فيها زيادة كثيرة وأنه لا ينام من الليل إلا قليلا، فبقي على ذلك حتى قبض، وكان كثير المراعاة للحقوق، وكان يعلم أهله وعياله ويعظهم، ويذكرهم، ويحملهم على اتباع السنة ويعلمهم ما يحتاجون إليه من ذلك بالفعل والقول، ويجعل لهم المجالس في ذلك، ويبحث عن مجالس أولاده وبناته، ومن دخل داره، ومن خرج منها، لا يغفل عن شيء ويأمر أولاده بمجالسة خيار أصحابه يسمي بعضهم، وينهاهم عن مجالسة غيرهم، وكان لا يثبت الصحبة لمن بالزاوية، بل يقول دائما : لولا أربعة أو خمسة من الناس صحبونا على الله لم أخرج، ولم أجلس هنا ولا يعينهم، ويذكر غير مرة قول سيدي عبد الله الغزواني : يافقراء اختاروا الفقراء في الفقراء، وكان لا يثني على أحد من أصحابه ولا يرفع عليه علما، هذا من حيث التعيين، وأما في الجملة فسمعته يقول : هؤلاء الناس الذين يأتوننا هم نخبة أهل هذه المدينة، وسمعته يقول : أصحابنا من رآهم قال : مهاتف، وهم يعرفون الحق من الباطل، وقال فيهم في مكاتبة : إنهم طائفة قائمة بدين محمد صلى الله عليه وسلم، متبعون لسنته، دالون على محبته، محذرون من البدع، كارهون لها، وكان يقول : الذي يخالطنا إن لم يحصل له شيء من إرث الحقيقة حصل له صلاح دينه، وزوال العزة منه، وكان لا يسامح أصحابه في التسمي باسم الفقراء، فكانوا لا يتسمون به، ولا يثني على من هو مع حسه في وجهه أو بحيث يعلم، ويذكر الحديث : ويحكم قطعتم عنق صاحبكم أو ظهر صاحبكم، ومن أذن، أو أم، عنده، فأخطأ في شيء نبهه عليه، وإن لم يكن من يؤذن اذن هو، وكان شديد الإنكار على المدعين المبطلين مبالغا في التحذير منهم، لقلة صدقهم، في أموالهم، ورفضهم الشريعة، وتعلقهم بالحقيقة، من غير حالة غالبة، وتركهم الأسباب طمعا في الخلق، وادعائهم التصريف في الخلق من خفض ورفع، وتولية، وعزل وإحياء، وإماتة، ومرض، وشفاء، وفقر، وغنى، وغير ذلك، بغير حالة مع اجتماعهم على أنواع المناكر والخبائث وقلب الدين والطريق، واعتقادهم، مع ذلك أنهم على شيء، ويقول ما بقي شيخ ولا شيخوخة ويسد ذلك الباب بالكلية حسما للذريعة.

ويقول عن شيخه سيدي يوسف : إنه قال : ما بالمغرب شيخ ويقول عنه : قال مرة أخرى : من هنا إلى تونس لا شيخ فيه، ويقول عنه في أهل الدائرة والعدد : خفّوا وخفوا(448) ويقول : الفقير ليس هذا زمانه، ويقول : عليكم بالكتاب والسنة ويقول أيضا كثيرا : إذا كان الإنسان في هذا الزمان يصلي الصلوات في أوقاتها وفي الجماعة ويتسبب تسببا حلالا ليس عليه فيه اعتراض من الشارع بتحريم، ولا بكراهة ولا

(448) خفوا وخفوا الأولى مشددة الفاء من التخفيف، والثانية مخففة الفاء من الخفاء.

يخالط أحدا، ولا يضر أحدا، ويقول باالله تموت مسلما ولاسيما يكون ذاكرا لله فهذا هو الفقير في هذا الزمان، وأما الفقير الذي تسمعون فليس هذا زمانه، كل ذلك مخافة الاغترار والدعوى، وجمعا لأصحابه عليه، وصرفا لهم عن الحظوظ وكان يأتيه غير واحد من المنتسبين والمنتصبين فيعظهم ويذكرهم وينهاهم عن التوثب على المشيخة من غير إذن، ولا بصيرة، ولا حال صادقة مع الله، بل بمجرد حب الرياسة والطمع في الخلق، ويذكر قول سيدي أبي الرواين[449] **(بالهوى عملوا التلميذ لا عناية ولا سر جديد، ما يروا إلا بالتمجيد ويلهم غروا بهم)** وإذا أتاه أحد منهم أحب أن يعلم به لينصحه، ويعظه وربما نشل الواحد منهم مما هو فيه من ذلك بنصيحته، وموعظته أو بتصريف همته إما توبة ورجوعا إلى الحق، أو طردا وإبعادا عن الخلق، وأعرف بعض من تاب من ذلك على يده، ومن خرج من البلد، وقد اتهم به، وكان ذا سمت حسن وأنس حاضر، وهيبة ظاهرة، يتكلم مع الناس فيما يتكلمون فيه، ويضحك مما يضحكون، ويتعجب مما يتعجبون منه، تخلقا بأخلاق السنة، وهو معتزل عن الجميع بسره، وكان جل ضحكه التبسم، وكان بهي الهيئة، منور الشيبة، عليه بهاء السؤدد، ورقراق النور، وسيما الدين، ووسامة الوقار، والجلالة، تلحظه الأعين بالإجلال والتعظيم والمحبة والمهابة، ويزدحم الناس للتسليم عليه والتبرك به وكان دائم العكوف على حضرة الحق لا معول له إلا عليه، ولا استناد إلا إليه ولا محبة إلا فيه ولا وقوف إلا ببابه، ولا رجاء إلا في جنابه، ولا يزيد فيه إقبال الخلق وتعظيمهم، ولا ينقص منه إدبارهم وتقصيرهم، وكان يحذر من الطمع كثيرا ومن تأميل غير الله تعالى، ويدل على ترك التدبير والاختيار مع الله عز وجل، مع القيام بالسبب، فكان لا يحب المريد الذي لا سبب له، ويحذر من التغلغل في الأسباب والاكثار منها والمبالغة فيها، ومن الحرص في طلب الرزق، ويقرر أنه لا يزيد فيه حرص حريص، كما لا ينقص منه عجز عاجز، ويقول : لابد من الأسباب وجودا، ومن الغيبة عنها شهودا، ويدل على الفناء والخروج عن العلوم والرسوم وجميع ما يقتضي الوجود الحسي، وعدم الالتفات لما يفتح به من ذلك والوقوف معه، ويقول طريقنا حلاجية[450] وينشد : وجودك ذنب لا يقاس به ذنب، وينشد :

---

(449) مترجم تحت رقم 80.

(450) الطريقة الحلاجية منسوبة إلى الحسين بن منصور الحلاج، يعد من كبار المتعبدين والزهاد، أصله من فارس، ونشأ وانتقل إلى البصرة وحج، ودخل بغداد وعاد إلى تستر، وظهر أمره سنة 299 فاتبع بعض الناس طريقته في التوحيد والإيمان، قالوا : إنه كان يأكل يسيرا، ويصلي كثيرا، ويصوم الدهر، وكثرت الوشايات به إلى المقتدر، فأمر بالقبض عليها فسجن، وضرب، وعذب وهو صابر لا يتأوه، ولا يستغيث له 46 تآليفا غريبة الأسماء وقتل سنة 309.

دع العلـوم ولا تبـق الفهـوم ولا   تبـق لايـاك لا عينـا ولا خبـرا

وكان يشير لانطواء الكون في قبضته في حالة الفناء، ويذكر الآية : والسماوات مطويات بيمينه(451) : ومن سلك هذا يعرفه، ويذكر في ذلك قول الشيخ سيدي عبد القادر : وهي في قبضتي كفرخ الحمام، وكان يشير كثيراً لمقام البقاء، ويذكر حالة أهل البقاء، ويقول أيضا : الشريعة ظاهرا، والحقيقة باطنا ويقول : الشريعة حتى إلى الماء والرمل، والحقيقة حتى إلى الماء والرمل، يشير بذلك كله لنفسه وأنه برزخ بين بحرين، بحر التشريع، وبحر التحقيق، لا يعدو أحدهما على الآخر، بل كل جار في طريقه، الشريعة جارية على ظاهره، والحقيقة سارية في باطنه، ويتمثل بقول القائل :

تالله ما تشكر خليـــع   وإن ثمل وإن صحـــا
حتى يقطع في القطيع   ويدور بحال الرحـــا
إن ثبت سيروا سريع   وأشرب حتى امتحـــا

ويقول : الفقير هو الذي قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه(452) : لو حجبت عن الله طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين، ولو حجب عني النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين، كذا كان يذكره هو، وكان يذكره كثيرا، فكنا نعرف أنه حالته، وكان لا يحكي من كلام غيره إلا ما وافق حالته، فيتستر بذلك، ولا يصرح بذكر نفسه، ويقول : العارف من شأنه كذا، ومن حاله كذا، ويفعل كذا أو طريق الكبار كذا، فيخبر عن حالة نفسه بطريق العموم، وكان من شأنه عدم النطق بلفظ أنا فما سمعته قط صدر منه، وسمعته يقول أو قيل لي عنه : إن من الناس من حفظه الله من النطق بأنا، وتارة يقول : الفقر هو الذي قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه، قال لي ربي، قلت لربي، يعني بذلك المكالمة التي تجري في كلام الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه، وسمعته يقول : قلت لسيدي عبد الرحمن : إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يغيب عني إلى أين، فقال لي سيدي عبد الرحمن ما الذي تشهده روحانيته أو جثمانيته ؟ فقال له : بل روحانيته، فسكت عنه، ثم بعد أيام سأله هل ذلك باق معه ؟ فقال له : نعم ياسيدي الصفة لا تفارق الموصوف فافطنه، قال : فسر بذلك، وظهر البشر في وجهه، وذكر يوما أو ذكر عنده حكاية سيدي مسعود الدراوي(453) في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وإشارته إليه، وهو يصيح، ويجري، حتى دخل دار سيدي يوسف، وسكره بذلك، فقال : قل له : باق يخصه يعني لم يكمل،

---

(451) الآية 67 من سورة الزمر.

(452) مترجم في الهامش رقم 11.

(453) مترجم تحت رقم 140.

أو لم يصل، ثم قال : العارف كذلك هو على الدوام، وكان يعطي كل ذي حق حقه من أهل الطريق، فيبين العارف من السالك من غيرهما، ومن يقتدي به منهم، ومن لا يقتدي به، وكلام البداية من كلام النهاية، وإذا ذكر بحضرته كلام، أو قضية عن صاحب حال مما يباين المهيع المورود، والمنهج الواضح، قال : هذا حال، والحال يحفظ ولا يقاس عليه، ولا يذكر عنهم الكلام المشكل المباين فيما يبدو للعلم، والطريق الواضحة، وإذا ذكره أحد بينه، وأخرجه على وجه صحيح، وزار مرة ضريح الشيخ سيدي أبي سلهام الولي الشهير، فقال : هذا الرجل قوي في السلوك، أو ما أقوى هذا الرجل في السلوك، وأخبر أنه كوشف حينئذ فيما كوشف به بأناس أحياء يعرفهم فرآهم في كهوف، فما حال الحول حتى مات الذين رآهم كلهم، ووقف على ضريح سيدي أبي شتاء، فقال : هو قوي في الحقيقة أو ما أقواه فيها، ووقف بعد ذلك على ضريح سيدي عبد الرحمن الفاسي فاستعظم حالته، وقال : هي كحالة سيدي أبي شتاء، وقرأت عليه يوما بعض كلام الشيخ ابن عباد في رسائله الصغرى، فجعل يتعجب منه، ثم قال : واحد أعطاه الله اللسان، فيعبر به عما أراد وآخر فيه ما ليس في أحد ولكنه لا لسان له، وهذه حالة هذا المتكلم معكم يعني نفسه، وكان كثيرا يشير لطريق الكبار، فيقول طريق الكبار كذا، وهذه طريق الكبار، ونحو ذلك، وكان يقول : العارف إذا قيل له محب ألف وإنما هو محبوب وسأله بعضهم، وأنا حاضر عن تاريخ وفاة بعض الأكابر، من أهل الطريق، فقال : لا علم عندي، ثم سأله عن آخر مثله، فلم يعرفه أيضا، ثم قال : إذا كنت أثبت على هذا كله، فأين يكون الله ؟ لو كنت أثبت على ذلك كله لا نصدع قلبي، أو نحو هذا إنما أثبت على الضروري الذي يلزمني في ديني فقط، وكان ربما يجري الكلام على وفاة شيخه، فيسأله الحاضرون على تاريخ وفاته على حسب المجاراة في الكلام، ثم لا يثبت على ذلك بعد، وكان ينهى كثيرا - وهو معظم نصيحته ووصيته - عن مخالطة الخلق عموما، وعن متفقرة الزمان خصوصا، لقلة الصادقين الناصحين، الدالين على الله بأقوالهم وأحوالهم، ويكثر من قوله : الخير بالخلطة والشر بالخلطة وكذا كان ينهى عن مخالطة أبناء الدنيا والرؤساء، فتكلم يوما مع بعض الناس في ذلك، فكأنه فهم من ذلك الإنسان أنه يقول له : مالك أنت تجالسهم وتتكلم معهم إذا اتوك فقال له : هذا الذي ترى ويتكلم معك كالحجر الأصم، تردد به(454) حيث شئت، وكيف شئت، يعمل في الأشياء ولا تعمل فيه، ولست في ذلك كغيري الذي تعمل فيه الأشياء، فلا يخالطهم، فلا تقسه به، وكان يقول : العارف يعمل في الأشياء ولا تعمل فيه، وكان رضي الله عنه عالي المقام، بالغ التمكين، واسع المعرفة قوي السجية، لا يغلب عليه حال، ولا يظهر عليه، وكان يقول الذي يغلبه حاله كالذي تغلبه زوجته أيحسن بالرجل

(454) القاموس : الدردبة عدْوٌ كعدو الخائف كأنه يتوقع من ورائه شيئاً فيعدو ويلتفت والمقصود بها هنا دحرجه.

أن تغلبه زوجته ؟ ويقول عن شيخه سيدي يوسف إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن مغلوبا للحال، وعلى قدر قرب الإنسان من حالة النبي صلى الله عليه وسلم يكون كماله، وعلى قدر بعده منه يكون نقصه، إلا أنه رضي الله عنه كانت تقع له سكتة في بعض أوقاته يبقى كذلك مدة من النهار، لا يتكلم، ولا يتكلم أحد من جلسائه مما يصدهم من الهيبة ويتجللهم من الوقار، ولا يقدم أحد على التسليم عليه حينئذ إلا بكلفة، وإن سلم عليه أحد أو كلمه فبالأحرى أن يرد عليه السلام، أو يجاوبه بخفيف الكلام، بكلام فيه خفاء، يظهر معه عدم اجتماع الفكر وانحصار البال لما حازه واقتطعه، كالذي به ألم شديد، وحمى قوية إلا أنه يتكلف الكلام، ويظهر أمر ذلك في وجهه من حمرة بعينه، وزيادة حمرة في وجهه، ونحو ذلك، وكان يقول : أمر الله إذا نزل لا يطيقه أحد، يشير لذلك، وأنه لابد من ظهور الأثر لضعف البشرية، وكان كثير من أصحابه الملازمين له ليلا، ونهارا، لا يعرف أسماءهم، وإن سموا له غير مرة لا يثبت عليهم، ولا يتنبه لمن تخلف منهم، عن زاويته، أو انقطع عن ملازمته، ووجد مرة بداره بعض ولد ابنته الساكنة معه، فقال له من أنت ؟ وما جاء بك ؟ فقال له : أنا فلان ابن فلان وفلانة ابنتك، فقال له : لست بابنها فقال له : بلى، إني ابنها فحبسه، وذهب به إلى ابنته، فسألها فقالت : هو ابني، فأطلقه فأعطى الظاهر حقه في غيبته، وهذا كان شأنه لا يضيع شيئا ولا تغلب عليه حالة، حتى تحوزه عن الجهة الأخرى بالكلية، فكان يعطي كل ذي حق حقه، ويوفر في كل ذي قسط قسطه، وكان إذا تكلم حسب كل من السامعين أن الكلام توجه له، وأنه المعني به، فيفهمون عنه من معنى ما هم فيه، وتشرق به بواطنهم، وطريقه كتمان الأسرار، والفرار من الدعوى بغاية الإمكان، وإذا كوشف بأمر فأخبر بأنه يكون أو لا يكون، أعقبه بذكر علة شرعية أو عادية، فيقول مثلا : كذا وكذا لا يكون، ثم يقول لأي شيء ؟ لأجل كذا وكذا، فيحسب الحاسب أن مبني أخباره أو لا على تلك العلة، ولا يتفطن له إلا من له استعداد لذلك، هذا الغالب من حاله، وقد يصدع بالأمر لاسيما إذا احتيج إليه في ذلك، فيغيث المضطر الملهوف، واحفظ مما صدع به حكايات منها : أن سيدي عبد الرحمن الفاسي رضي الله عنه، كان مرض مرة مرضا شديدا، حتى يئسوا منه، فدخلت امرأة دار سيد محمد وهو فيها، فقالت : سيدي عبد الرحمن مات فلم يملك نفسه أن قال لها لم يمت، وكان الأمر كذلك، ولم يمت من ذلك المرض، ودخل مرة على مريض، وهم يبكون عليه قد يئسوا منه، وهم في قبضة روحه، فقال لولده : لا تجزع على والدك فإنه لا يموت، يعني من ذلك المرض، فكان الأمر كذلك، وعاش سنين طويلة، وكان مرة ولده الأكبر سيدي محمد رحمه الله اشترى شجر توت أي ورقها في شركة ناس، بحوز نهر سبو، فصعد يوما شجرة منها، فسقط منها، فتألم كثيرا فقال لشركائه : ما بي إلا أن أبي يتشوش علي، فضحكوا من قوله، واستغربوه، فلما انقلبوا إلى المدينة تلقاهم سيدي محمد في الطريق

خارج المدينة، على غير عادة سبقت منه، فجعل يسألهم عن ولده، كيف هو ؟ وكان متأخرا عنهم، فعرفوا حينئذ صحة قول ولده وجاءه رجلان خائفين(455) من سلطان ذي سطوة وبطش، فقال لهما : لا تخافا إن هذا السلطان، كمطرة صيف ينقضي أمره سريعا، فكان كذلك وسلم الرجلان، وكان مرة بعض أبناء الملوك يريد بعض أهل فاس أن يبايعوه ويملكوه، وكان إذ ذاك عندهم، فقال سيدي محمد : لا يكون سلطانا فطالما جال في وسط المغرب، وأقصاه يدور على السلطنة، فما نالها قط، وغير هذا مما لا نطيل به، ومما ينخرط هنا من أمر الكشف أني سمعته يوما يقول : إنه رأى معدن الزئبق، ووصفه فنسيت ما قال فيه، وكان يخبر عن ثمار الجنة، وأحوالها بما لم يكن يعرفه أحد، ومما كان يذكر من ذلك أن المفروض في الجنة بالشجر، وهو طعام معروف من ألباب القمح، والسمن، والزيت، والعسل، وأخبر أنه كان مرة في بدايته مارا خلف شيخه سيدي يوسف، فسمع دركا، يصرخ، فسمعه يقول في صراخه : سبحان الله وبحمده، وكان يأمر أصحابه دائما يقول لهم من كانت له حاجة أو أمر مهم، وأراد أن يذكره له، فلم يستطع، فإذا جلس قدامه فليذكره في سره.

وكان يمثل معرفة العارف يشير إلى نفسه أو لما عند صاحبه أو غيره ممن يحضره وما ازداد فيه، وما نقص، بالطبيب الماهر، إذا نظر إلى الهراقة، وكان صارفا لهمته في مصالح الخلق، ومنافعهم الحسية، والمعنوية وكانت له الهمة الخافضة الرافعة، الجالبة، الدافعة، فكان يمد الواحد من أصحابه ويستفزه يفعل له الأمرين في الساعة الواحدة، وكانت عادته في الكرامات، إذا طلب منه قضاء حاجة عند الله أشار بالسبب المعتاد، لتلك الحاجة، كذكر الدواء، أو الأمر بالمشي إلى الطبيب، إن كانت الحاجة مرضا، مثلا، فيظن الظان أنه لم يقض شيئا، وربما ألح عليه بعض من لم يعرف عادته، ولم يقنع بما أشار به عليه، وهو قد قضى، وإنما أمر بالسبب تغطية للكرامة، وقياما بحق الحكمة، وكان يشير إلى أنه يخفي الكرامات سترا لحاله، وكذلك إذا اهتم بأمر من أمور المسلمين تعاطى أسباب ذلك ثم كرامته في ذلك لا تخفى، وإن ذلك السبب لو تعاطاه غيره لا تكون عنه تلك النتيجة، وقد تصدر منه الكرامة صريحة، ومنها القصة الشهيرة المتواترة، أن ولده سيدي محمد رحمه الله جاءه، فقال له : إن السراق سرقوا لنا ثلاثة أشباح يعني : أشباح النحل، فقال له : ثلاثة بثلاثة، فإذا بذلك السراق تغادروا بينهم فقتل بعضهم بعضا، ثم قتل الحاكم القاتل منهم، فكان المجموع ثلاثة، دفنوا في ساحة واحدة، ونهبت دورهم فخرجت الأشباح الثلاثة، بعينها في النهب، وغير ذلك مما يطول، ومما تذكرت الآن من كراماته الشائعة المستفيضة بين أصحابه،

---

(455) كذا في النسختين، ولعل الصواب أن يكون نعتاً لما قبله، فيكون الصواب : جاء رجلان خائفان.

أنا إذا كنا جلوسا عنده بين المغرب والعشاء، وكان المطر ينزل عند العشاء، وأردنا الانصراف إلى أهالينا بعد الصلاة، أقلع المطر لا محالة، عادة جارية حتى يصل جميعنا إلى منازلهم ويعود لحاله، وكان يجلس إلى أصحابه، فيما بين العشائين دائما، وكان إذا تنكر لرئيس أو أمير عزل سريعا، ونبذ، وإذا توجه له، واهتم بأمره قامت سوقه، وركب وعلا في الناس، رأينا ذلك عيانا، وتحققناه، وكان يقول ما معناه : إذا تكلمت بكلام فاسمعه، وخذه، عرفته أو لم تعرفه، فعند الحاجة والتوقف عليه تجده، وينبعث معك وتعرفه، وكان لا يحسن إليه أحد إلا كافأه بإحسانه بأضعافه، ولا يسيء أحد إلا ساقه الله إليه فعامله بالإحسان الكلي، عادة أجراها الله معه، وكان يقول : كتب الله على النفس اللئيمة ألا تخرج من الدنيا حتى تسيء لمن أحسن إليها، وكتب الله على النفس الزكية الطيبة ألا تخرج من الدنيا حتى تحسن لمن أساء إليها، ويكثر من ذكر الحديث : من مكارم الأخلاق أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك، ويدل كثيرا على مكارم الأخلاق، ويقول إن الأخلاق تغلب الأعمال ويقول ما أثنى الله على نبيه إلا بمكارم الأخلاق قال تعالى : وإنك لعلى خلق عظيم[456] ويقول ومنها قراءة لعلى خلق عظيم، بالإضافة، وكان لا يدخر ما فتح الله عليه به من الدنيا، ويذكر الحديث كثيرا أن النبي صلى الله عليه وسلم أسرع الدخول إلى بيته، لتبر كان فيه. خاف أن يبيت عنده، ويقول : إذا نموت ونترك دينارا لا يترحم على أحد، ويحلف غير مرة ما عندي أوقية لا حاضرة، ولا ننتظرها وكان شديد الورع فيما يستعمل في داره، لا يتلبس إلا بالحلال، المحض الخالص له، ولعياله وغير ذلك، وإن قبله وكافأ عليه، أو لم يكافئ عليه، فيصرفه في مصارفه، ولا يقبل من كل أحد، بل يقبل من بعض ويرد على بعض، وينتفع بمتاع البعض، ويصرف متاع البعض مصارفه، كما ذكرنا، وكان يقول عن شيخه سيدي يوسف : ما في أيدينا شيء ما نرجو إلا رحمة الله وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يكثر من هذا الكلام، ويجعله غاية الأمر وحاصله، ويقول : إليه ترجعون، ويقول : حقه أن يكتب بماء الياقوت، وكان على حالة شيخه سيدي يوسف ونسخة منه، ومفضلا عليه في الكمال والتمكين، كما ذكر في مرآة المحاسن[457] في الفصل الثالث والرابع، ولذلك كان أكثر كلامه حكاية عنه لا يتكلم من عند نفسه إلا قليلا لتأدبه معه، ومحبته بالكلام الذي ينقله عنه ولتجديد ذكره وإحيائه، وقد كان ينفي على من يشعر كلامه من أهل الطريق[458]

(456) سورة القلم الآية 4.

(457) مرآة المحاسن تأليف محمد العربي الفاسي وقد طبع على الحجر بفاس على عهد عبد العزيز بتصحيح احمد العزاوي سنة 1324هـ وعدد صفحاته 216. ورقم صفحات الفصل الثالث والرابع من الطبعة الحجرية المرآة ص 21 إلى 36.

(458) خـ : وإلا فقد كان ينفي الخ.

بغيبته في شيخه، ويقول باقي بخصه، ويقول الشأن ما قال سيدي أبو الشتاء(459) لما سئل عن شيخه من هو ؟ قال : كان عندي الغزواني، وكان يثني على سيدي يوسف بالشيخوخة والتربية والحكم، ويقول غير مرة : آخر الشيوخ في الغرب سيدي يوسف، ولا يطلق لفظ الشيخ إلا عليه، فإذا قال كان الشيخ يقول كذا، أو يعمل كذا، أو قال الشيخ كذا، فمراده سيدي يوسف، ويثني على سيدي عبد الرحمن، بقوة التحقيق والغيبة والاستغراق في الحق، والتضلع بالعلم الظاهر مع اشتراكهما في العرفان وكبر الشأن، هذا ما يسر مما يناسب المقام، وإلا فالكلام فيه طويل عريض، لا حد له، وله كلام في الطريق، ومكاتبات متعددة وكلامه في مجالسه وحكمه لا تنقضي.

وتوفي رضي الله عنه وعنا به، بعد طلوع الشمس بنحو ساعة من يوم الأحد الثالث من جمادى الثانية سنة اثنتين وستين وألف، ووافق اليوم الثاني من مايو، وكان ابتداء مرضه ولزومه للفراش يوم الأحد الثاني عشرين من جمادى الأولى، وقد كان تأخذه الحمى، قبل بنحو يومين، فرقد الأحد والاثنين والثلاثاء، وخرج يوم الأربعاء لصلاة الظهر، بزاويته على عادته، ونزل يومئذ مطر كان الناس فيه في الحاجة، ففرحوا بخروجه، وبالمطر، وجلس بعد الصلاة لأصحابه للنصيحة والتذكير والدلالة على الله، إلى قرب وقت العصر، ثم دخل وخرج لصلاة العصر، ثم لصلاة المغرب، وجلس بين المغرب والعشاء للكلام أيضا على عادته، إلى أن صلى العشاء يدلهم على الله وينصحهم، ثم خرج من الغد لصلاة الصبح، في موضعه الذي كان يصلي به تلك الصلاة، في آخر أمره ثم هبط للزاوية، وهم يقرأون الحزب، فجلس إلى أن قرب التمام، وعزموا على قراءة الفاتحة فدخل الدار، ولم يخرج بعد، وكان الغالب عليه في مرضه الغيبة والإغماء وشدة المرض، وحوزه له إلا نحو اليومين، كان فيهما على خير، فرأيته دخل عليه جماعة من علماء الوقت وأعيانه وغيره من الناس فجعل ينصحهم ويدلهم على الله ويزهدهم في الدنيا ثم ذكر لي أنه دخل عليه ذلك اليوم، أو من الغد بعض علماء الوقت، فكان ينصحه أيضا، وكان في غيبته لا يفتر لسانه عن الذكر يعرف ذلك منه ويشاهد، وكان يؤمه في مرضه صهره الخير الدين الفاضل أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن يحيى المفتي الأندلسي المربي، وكان مرضه الحمى السخنة، وكان يشتكي عسر البول، ووجعه في الخروج واحتباسه، وكان به إسهال في أيام متعددة، ولم تأخذه الحمى الباردة إلا يوم الجمعة الأول من جمادى الأخرة ثم أخذته السخنة، وبقيت به إلى أن توفي من بعد الغد، وصنع له مغسل ونعش جديد وغسلته زوجته، وابنته الساكنة معه تهرق عليه الماء، بعد أن غطت وجهها بساتر، وذلك بإيصاء منه، ودفن بعد الزوال، وصلى عليه داخل قبة شيخه سيدي يوسف أمام قبره

---

(459) مترجم تحت رقم 51.

ـ أعني الجنازة ـ والإمام ومن وسعه المكان، وسائر الناس خلف القبر، وخارج القبة والروضة، وكان الإمام شيخنا الإمام عمنا أبو محمد سيدي عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي(460)، أدام الله حفظه، ونزل المطر عند موته، وعند دفنه أيضا إلا أنه خفيف لا يشوش على الحاضرين، وبقيت الدار مسدودة أياماً حتى جازت أيام التعزية ليلا يجتمع الناس، ويبكي أحد بصوت، صنعوا كما كان يصنع، ولم يترك رضي الله عنه ما يورث عنه إلا بعض حوائجه التي كان يلبسها، وبعضها كفن فيه، وما فضل عن كفنه اقتسمه أولاده تبركا بآثاره، وبعض كفنه غير ملبوسه مزمزم، وترك مصحفه الذي كان يقرأ فيه، ودلائل الخيرات الذي كان يقرأ فيه أيضا، والوجيز للواحدي، ومجموعا فيه لطائف المنن، والرسائل الصغرى، وتآليف السيوطي، والوقف مسفرا مع الكراريس، والرسالة لابن أبي زيد، وحاشية سيدي عبد الرحمن الفاسي على الحزب الكبير، وسبحته من عود القلنبق الأحمر، فيها مائة حبة، وعكازة وأرض جنانه بزواغة(461) وكان مهملا، ولا أعلم غير هذا، وأما البخاري فقد حبسه على أصحابه، حين اشتراه وكان يقرأ بين يديه، فيبدأ في النصف من جمادى الأول، ويختم يوم ستة وعشرين من شهر رمضان، وكان الذي يقرؤه شيخنا أبو محمد عبد القادر، وأما داره وعرصته الصغرى فقد كان حبس كل موضع منهما على ساكنه من حفدته، وصهره الذين لا يرثونه، وترك لولده سيدي أحمد ما يسكن معهم، أما العرصة الكبرى فلم يملكها قط وإنما هي لأولاده وبعض نساء داره، هم كانوا اشتروها، ويوم الثلاثاء السادس والعشرين من جمادى المذكورة شرع في بناء القبة فحفرت أساساتها، وبني بعضها ثم كمل بناؤها في أربع وعشرين يوما تسعة عشر يوما خدمة، ويومان استراح فيهما البناء، مفترقين، وثلاثة الجُمع، إذ لم يكونوا يخدمون يوم الجمعة، وكان كما لها يوم الخميس الموفي عشرين من رجب، وحدثنا البناء الذي بنى القبة حين بنائها عن السيد أبي العباس أحمد بن عمر البهلول(462) المعروف بجرانة دفين داخل باب عجيسة، وكان إذذاك حيا أنه قال له : يافلان ألا تبني لي قبة على مولاي عبد الله بباب الحافي، فقال له : نعم ياسيدي، قال : فإذا سيدي محمد قد مات بقرب ذلك فبنى ذلك البناء

---

(460) ولد عبد القادر بالقصر الكبير ثاني رمضان سنة 1007 وارتحل إلى فاس لطلب العلم، فحصل على علم غزير وكان ملجأ الخاصة والعامة في عويص المسائل، قوالا الحق يواجه به الملوك توفي تاسع رمضان سنة 1091 ودفن في زاويته بالقلقليين بفاس، وله أجوبة مطبوعة على الحجر بفاس، والمقيدة. انظر ترجمته في نشر المثاني جـ 2 ص 270 وفي شجرة النور ص : 314.

(461) زواغة منطقة فلاحية محاذية لمدينة فاس معروفة بوفرة مياهها وكثرة غلاتها، وقد أصبحت منطقة سكنية تبعد عن فاس بحوالي 4 كيلومتر.

(462) خ : أحمد بن علي.

قبته، ثم لم يبن لسيدي أحمد شيئا إلى أن مات ولا كان مولاي عبد الله، ولا باب الملقي، إلا إشارة لبناء قبة سيدي محمد بن عبد الله رضي الله عنه، وأما مولده فسمعته رضي الله عنه يقول : إنه كان في غزوة النصارى التي كانت في سنة ست وثمانين وتسعمائة في المكتب ابن نحو ثمان سنين، وسمعته يقول : مات فلان لرجل سماه هو وأنسيته أنا عام ثمانين يعني وتسعمائة، وكنت أنا حين موته ابن عامين، ووجدت بخط بعض من عرف بالشيخ رضي الله عنه ما نصه : وأخبرني بعض قرابتنا في أيام موت صاحب الترجمة أنه رأى بعض معارفنا ممن مات ببلد آخر، وهو مسرور فأخبره بأنه غفر الليلة لجميع المؤمنين ببركة الشيخ، وسمعت من آخر نحو ذلك عن أحد ولده، ممن مات قبل ذلك، فأخبره بنحو ذلك انتهى.

وكان رضي الله عنه إذا قال له أحد إني أحبك، يقول له احمد الله، رضي الله عنه ونفعنا ببركاته آمين آمين آمين.

162) أبو سالم ابراهيم بن علي الصياد القصري

ومن أصحاب الشيخ أبي المحاسن الفاسي الشيخ أبو سالم إبراهيم بن علي الصياد القصري، دفين روضة شيخه، وقبره بها شهير يزار، ويتبرك به كان رضي الله عنه من السباق من أهل الإغاثة في البر والبحر، وذوي الأحوال العجيبة والأسرار الغريبة والجذب القائم، والقلب الهائم، والبركات الظاهرة، والكرامات الوافرة، وكان لما صحب شيخه بالقصر، وتداركه الجذب، له زوجة ودار، فقال له الشيخ يوما : ألا تطلق تلك المرأة، وتبيع تلك الدار، فتغافل عنه، ثم أعاد عليه كلامه، فقال له : ياسيدي اغطس واطلع الرمل(463) فإن كانت هذه السكرة تدوم لي فلا علي إذا طلقت المرأة وبعت الدار، وإن كانت لا تدوم فاترك لي زوجتي ودار أبي، فقال لهم الشيخ : انظروا إبراهيم الذي تقولون إنه بهلول، ثم قال له : أعطاك الله حالة أهل الجنة، ثياب لا تبلى، وطعام لا ينقطع، فبقي على سكرته السنين الطويلة إلى أن توفي، وكان الناس يزدحمون عليه للطعام دائما، وكانت عنده الثياب الموفرة زائدة على لباسه وكان الناس يتعلقون به كثيرا، في قضاء حوائجهم عند الله، وكان اشتهر بذلك، وكان شيخه إذا أتاه أحد لحاجة ربما دله عليه، وكان - أعني صاحب الترجمة - إذا طلب عنده أحد حاجة نظر فإن كانت لا تقضي صرفه عنه، وإن رآها تقضى، قال له : اعط كيت وكيت فيعطيه ذلك فتقضى حاجته، بإذن الله تعالى، وكان أهل دار الشيخ إذا طلبوا عنده

---

(463) يبدو أنه مثل عامي معناه أن الشخص إذا دخل البحر لصيد السمك، ولقط اللؤلؤ، ثم أخرج شبكته مملوءة رملاً، فلا فائدة من هذا العمل.

حاجة، فعل معهم ما يفعل مع غيرهم، وكانت له عادة مع شيخه، إذا كان أمر ينزل، أشار عليه الشيخ بالزيارة، فيزور الرواضي(464) والمكاتب وغيرها، وكان الشيخ مرة في زيارة سيدي أبي سلهام نازلا على مشرع الحضر فكوشف بأمر مهم نزل بأخ له مسافر ببلاد نائية عنه، فقال لصاحب الترجمة : اذهب إلى سيدي أبي سلهام فاذكر له مسألة فلان، فذهب فلقا ثم أتى، فقال له : إن سيدي سلهام يقول لك : إنه قد قضى الحاجة، ثم أتى الأخ الغائب فأخبره بالأمر النازل به في ذلك الوقت الذي كوشف به الشيخ مع أحد من قبل المخزن وبتفريجه سريعا، وكان صاحب الترجمة أجهر العينين(465) ضعيف البصر بالنهار فإذا كان الليل وكانوا في زيارة غطى رأسه بجلابيته وقعد يحرس فإذا أتى سارق من جهة، قال لهم : إن السارق قد أتاكم من ها هنا، فيذهبون فيجدونه، ويقلى حوائجه بالليل، وكان مرة زوار بزاوية الشيخ، فسرق لهم تليس أو شبهه، فلم يعرفوا للسارق أثرا، فجعل الشيخ يعاتب صاحب الترجمة، ويقول له : أتكون هنا فيأتي السارق ويسرق، ويذهب بما سرق ؟ ثم لم يعرف مكانه أو نحو هذا، فذهب من حينه إلى موضع خفي لا يتفطن له إلا من له به علم، فوجد السارق يغسله فأخذه منه، وقال له : أربابه يحتاجونه بلا غسل، وسرق مرة أخرى للشيخ أبي المحاسن بالقصر، بقرات، فقال لصاحب الترجمة ولسيدي علي بوحريرة : أخبراني أين سارت البقرات ؟ فأما سيدي علي، فقال له : هي هكذا، وأشار إلى جهة لا أدري أي الجهات، وأما سيدي إبراهيم فقال له، هي في العرائش، إحداهن ذبحت، والأخر باعها السارق هناك، والآن قبض دراهمهن، فأرسل بعض أصحابه إلى العرائش وكانت إذذاك دار إسلام، فوجد الأمر كما قال، وكان مرة مع الشيخ وأصحابه مسافرين إلى القصر فأتوا على واد في الطريق، فقال سيدي إبراهيم : إنه قد انتقص منا واحد، فشرعوا في العوم، والسباحة في الماء، فلما استووا في بطن الوادي غرق واحد منهم، فمات، وكانوا مرة أخرى بالقصر، فقال : إن أحدا منا قد انتقص فمن الغد مات أحدهم، فلما أزمعوا الرحيل عن القصر، قال : ياأهل القصر، ودعوا سيدي يوسف فإنكم لا ترونه بعد هذه المرة، فلم يرجع الشيخ بعد لكبر سنه وكثرة علله، وزاروا مرة سيدي أبا سلهام، فلما أرادوا الانصراف عن الروضة ركب دابته جاعلا ظهره إلى جهة رأس الدابة، ووجهه مما يلي ذنبها، وجعل يمشي، فقال له بعضهم : ماهذا ؟ فسكت عنه إلى أن بعد وحول وجهه إلى جهة رأسها، فقال له : ألا تسكت ؟ إن الشيخ سيدي أبا سلهام خرج يسافطنا(466) فكرهت أن أوليه ظهري إلى أن رجع عني، ولما قرب أجله، جعل يعلم

---

(464) الرواضي المقابر.

(465) الأجهر هو الذي لا يبصر في الشمس من جهرت العين من باب سمع.

(466) يسافطنا يودعنا.

به، فكان مرة بعض إخوانه ذاهبا إلى القصر، فقال له : اقرأ أهل القصر السلام، وقل لهم : لا يروني أبدا، وكان مرة جالسا ورجلاه ممدودتان، فقبضهما بمرة، وقال : إن الأرض لتجذبني، وقال يوما آخر لإخوانه وكان اليوم الذي قبل الليلة التي مات من آخرها : هذا آخر يومي معكم، فإني أرى الروح متعلقة كالمصباح، وكأنها خرجت، ولما كانت الليلة التي مات من آخرها جلس في فراشه عند النوم، ونظر في يده وجلده، وقال : ما بقي في هذه الجثة إلا حظ التراب، وكان قد أصابته حكة، فجعل لها دواء، وقصد حمام القلعة من آخر الليل، ليغتسل، فلقيه برأس العقبة الزرقاء(467)، لصوص فاجتذبوا كساءه فاستنثره منهم، فضربه أحدهم بسيفه، فقطع أحد ودجيه، يقال إنه الأيمن، وسقط بإزاء حائط هناك، ولما عرفه اللصوص تركوه بحوائجه، لم يأخذوا له شيئا، وذهبوا، فمر به إمام المسجد الذي هناك لصلاة الصبح، وهو السيد أبو القاسم المشاط، فسمعه يقول : أنت قضيت، وأنا رضيت، فسأله عن أمره حتى عرفه، فقال له : أبلغ خبري إلى سيدي، فحمل إلى دار الشيخ، فتألم الشيخ عليه كثيرا، وقال : ما أشد انقطاع ظهري فيك يا إبراهيم، ياولدي، دخل عليه وهو ميت فبقي معه مدة، ولم يدخل عليهما أحد، وذكر أهل الدار أنهم سمعوه يتكلم معه، وهو ميت ثم رفع الشيخ الحجاب، فخرج، وهو يضحك، ولما كفن أمر بحل الكفن وقبله بين عينيه، وقال : رحمك الله هذا بعد صحبة عشرين عاما.

وكان سيدي عبد الرحمن الفاسي، إذا مر بذلك الموضع من العقبة الزرقاء، قال : هنا مات حبيبنا في الله سيدي إبراهيم الصياد، وأسرع في مشيه، وظهرت منه كراهية لذلك، وكان عشيرا له، ومواخيا، ومجالسا، وكان صاحب الترجمة قرب موته لقيه بعض المنتسبين للفقر، فقال له : يضحك منه : اذهب معي إلى إخواننا الفقراء يكحلون لك عينيك، ليقوى بصرك، فذكر ذلك سيدي إبراهيم لاخوانه مازحا بذلك فبلغه بعضهم للشيخ، فقال : أيقولون هذا لابراهيم ؟ والله إن ابراهيم ليأتيني بخبر السماء، ثم رأى أن قد شهره، فقال : ولكن كشفه الله يكشفه أي يزيل عنه ستره، فأما سيدي ابراهيم فمات قرب ذلك، وأما الآخر فكان عاقبة أمره خسرا، وكان ذلك كله قدرا مقدروا من غير قصد من الشيخ، ولا اختيار، وكان أول اتصال صاحب الترجمة بشيخه أن جاء سارقا حلقة باب دار الشيخ بالقصر، وقبض، فلما رآه الشيخ سرقه لحضرة الله، وصار من أولياء الله، والفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ولا حجر عليه في ملكه يفعل فيه ما يشاء وهو العزيز الحكيم، (وتوفي يوم الخميس ثالث عشر شوال سنة ثمان وألف رضي الله عنه ونفعنا به(468).

---

(467) العقبة الزرقاء حي بفاس لا يزال إلى الآن يحمل هذا الاسم وهو ما بين باب السلسلة والقطانين.
(468) ما بين القوسين ساقط من الخطية.

163) أبو عبد الله محمد نوار الأندلسي البسطي التطواني

ومنهم : الشيخ أبو عبد الله محمد ابن الحاج محمد نوار الأندلسي البسطي، ثم التطواني، من أكابر أصحاب سيدي يوسف الفاسي، وكان عارفا بالله ربانيا، وكان اتخذ زاوية بتطوان، بإذن شيخه للذكر والذكرى، فانتفع به ناس كثيرون، ونشأ على يديه رجال ظهرت خصوصيتهم، وكانت لهم أحوال وأسرار ربانية، وكان يأتي هو وإياهم لزيارة الشيخ بفاس، وكان الشيخ يقول فيه : هو نوار على الحقيقة، كان إذا جلس قدام شيخه، كان كصخرة رميت في غدير من ماء، هكذا عبروا عن غيبته بحضرته، وسلم عليه يوما أبو الحسن الجعيدي، وكلمه، وكان من الذين يجتمعون على صاحب الترجمة، فلم يلتفت إليه فقال له : ألا تلتفت إلي ؟ فقال له : إذا التقى الناظر والمنظور ما بقي التفات، وقال له سيدي عبد الرحمن الفاسي : إلى متى الجلوس في الحانوت وتعاطي السبب ؟ وكانت حالة سيدي عبد الرحمن التجريد، فقال له : ياسيدي عبد الرحمن الجسد في الحانوت والقلب في الملكوت، ووجدت بخط شيخه مكاتبة كتبها له يقول فيها : ولدنا الأحب الأقرب، سيدي محمد نوار، نور الله سريرتكم، وأصلح علانيتكم، وجمع شملكم به، ومن سواه أغناكم، وزاد في معناكم، يسلم عليكم عبيد الله وخديم أهل الله، يوسف بن محمد الفاسي، لطف الله به في الدارين، ثم أوصاه بوصايا وأمره ونهاه ثم قال : وأعلم أنك مخاطب بهذا كله، والوصية لك وصية لأصحابك على حد قوله تعالى : فلا تكونن من الجاهلين(469)، والذي نوصيك به التنازل لاخوانك، وسر بسير ضعيفهم، كالمؤذن بالمنار، ويصلي بالأرض مع سائر البشر، وهذه المكاتبة ذكرها في مرآة المحاسن، إلا أنه لم يذكر أولها، واندثر له آخرها، ومن كلام صاحب الترجمة أبيات يقول فيها :

فلا حظ أعظمُ من خيبة	لمدّعٍ حبّ على صيغة
ومن كان قصدُه في نيل ما	يُريد فما قام بالحجة
ومن كان حظه في الوصل ما	خلا حظُّه فيه من علة
وأصلُ طريقنا رفض العلل	مع الصبر والرفع للهمة
فحسبُ المحب مشاهدة	يقينا لما يبدو من حضرة
وفهمُك عنه جديرٌ بأن	يعوضك المنع بالمنحة
وليس بشأن لمن يدعي	محمد مولاه في خلوة
بل الفخرُ المرء في همّة	تخلّت عن الحُور والجنة
وعد المراتب لا تقتصر	على دون أعلاه من رتبة
وإن إلى ربك المنتهى	يُبيّن ما يخفي من قولتي

(469) سورة الأنعام الآية 35.

ووجد بخطه كلام، يصف شيخه، يقول في بعضه : شيخي الذي لو مال إليه العرش ما التفت إليه، أو عبارة هذا معناها، توفي رضي الله عنه في الوباء العام، يوم الأربعاء ثالث محرم سنة ست وألف، ودفن بشرقي المصلى، خارج باب المقابر، أحد أبواب مدينة تطوان، حرسها الله، وقبره هنالك مشهور، يزار ويتبرك به رضي الله عنه وأرضاه قاله سيدي العربي الفاسي في شرح أبياته المذكورة.

164) أبو العباس أحمد البريبري التطواني

ومنهم : الشيخ أبو العباس أحمد البريبري التطواني، من أعيان أصحاب سيدي يوسف الفاسي، وذوي القدم الثابت في الطريق، وقال سيدي محمد نوار فيه : وهو شعلة من شعل النار، يعني نار المحبة، وكان صاحب كشف، وفراسة نافذة، وكان ربما كاشف السارق، بسرقته فيخرجها من عنده، وأعرف من أخباره أنه زار يوما قبر سيدي دراس بن اسمعيل، مع سيدي عبد الرحمن الفاسي، وكانوا سلوا هنالك، فقال لهم صاحب الترجمة : ألا تسمعون ما يقول لكم هذا الشيخ ؟ فقالوا له : لا، قال لكم : أحييتم قبري، أو قال موضعي، أحيا الله قلوبكم.

165) أبو عبد الله محمد الأكحل

ومنهم : الشيخ أبو عبد الله محمد الاكحل، العارف، الموقر، الصحيح الحال، والاكحل لقب له فقط، وليس بأكحل، وهو غير الشيخ أبي عبد الله محمد الاكحل، الذي كان إذذاك بحومة العيون، ذاك أكحل، ويعرف بأقمقام بالقاف المعقودة، وكان صاحب حال، ولا نعرف له شيخا، كان صاحب الترجمة من جلة أصحاب سيدي يوسف الفاسي، شهد له بذلك سيدي عبد الرحمن الفاسي في حكاية تذكر عنه وكان سيدنا الإمام سيدي محمد بن عبد الله، ينقل من كلامه في الطريق، ويحتج به، ومما كان يحكي عنه، أنه قال له : طريقنا هذه، مالك شيء، وطريق هؤلاء، لي، لي، لي، كأهل الزفر[470] يعني أن طريقهم مبنية على الفناء والغيبة عن الوجود الحسي، وطريق المبطلين على إثبات الوجود، ورؤية النفس، وسئل هل يتحقق العبد صدقه مع مولاه، فعاب ذلك على السائل كثيرا وانكره، وكان يقول عنه : الفقير كالذي ركله الجمل دائما مقزو، وكان يقول : الفقير كالمطلوب الذي يجري عليه، إلى هنا يقبض، إلى هنا يقبض، كان يحكي أحد الكلامين عنه، والآخر عن سيدي يوسف، وطال عهدي بالنسبة، توفي في حدود سنة أربع عشرة وألف، ودفن بروضة شيخه خلف ضريح سيدي ابراهيم الصياد بينه وبينه قبران.

---

(470) كذا في النسختين.

166) أبو الحسن علي سخسوخ القصري

ومنهم : الشيخ أبو الحسن علي سخسوخ القصري، كان من أهل القدم الثابت في الطريق والاستغراق في شيخه سيدي يوسف الفاسي، فكان أجلاف أهل بلده يأتون بالعصا، فيقولون له : تبتلع هذه على محبة الشيخ، فيبتلعها أسرع من طرفة عين، وحدثوني بالقصر، عن جدي للأب الشيخ أبي المحاسن، عن ابن الشيخ أبي المحاسن، أنه دخل يوما على سيدي محمد العفاني، في منزله فوجده في تعب وهو يروح عن نفسه، فسأله ما السبب ؟ فقال كنا في جنازة رجل بأرض الترك، وحضرها من أصحاب سيدي يوسف يعني والد المخاطب سيدي ابراهيم الصياد، وسيدي علي سخسوخ وأصحاب سيدي يوسف الذين لهم القدم في الطريق، واختصوا منه بالأسرار، وأدركتهم منه الأحوال، وأشرقت عليه الأنوار، وظهرت لهم البركات، وجرت على أيديهم الكرامات، كثيرون لا يحصون، إلا أن هؤلاء السبعة هم الذين عرفت من كبارهم، فاقتصرت عليهم تبركا وتيمنا بهذا العدد.

167) أبو عبد الله محمد الصباغ القصري

ومن الطبقة المذكورة : أبو عبد الله محمد الصباغ القصري ضجيع سيدي أحمد بن منصور الحيحي[471]، بالموضع المعروف بالزاوية داخل القصر، وصاحب الزاوية التي بالقطانين منه المنسوبة لسيدي الصباغ وهو أخذ عن الشيخ أبي الحسن علي قدريو المتقدم[472] عن الشيخ أبي العباس أحمد الحساني[473]، عن سيدي علي صالح.

168) أبو عبد الله محمد الدادسي

ومنهم : الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن الدادسي، دفين وارزغيت، وذكر لي بعض أصحابه أنه قال له : نحن من ذرية سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان قوي الحال، كثير التواجد، كثير التغني والد ندنة، لا يتمالك عند تلاوة القرآن وسماعه، يعمل فيه كثيرا، ويتحرك ويتواجد، حتى يكاد يطير، حتى كان في آخر أمره لا يستطيع سماعه، لسماعه له بنعت المكالمة والمناجاة، صحب أولاد الشيخ أبي محمد عبد الله بن حسون السلاسي، بسلا، وهو من أصحاب سيدي عبد الله الهبطي، فبقي في صحبته عاما، ولقنه أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ : اللهم صل على

(471) مترجم تحت رقم 65.
(472) مترجم تحت رقم 132.
(473) مترجم تحت رقم 71.

سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، ثم أوصاه فقال له : زر حتى تزار، ودر حتى تدار، وأحبب حتى تحب، ثم ذهب إلى سيدي أبي بكر الدلائي المجاطي، فأخذ عنه، وسأله الشيخ عما يذكر، فذكر له الصلاة التي لقنه أبو محمد بن حسون، فأمره أن يزيد فيها عبدك ونبيك ورسولك، قبل النبي الأمي، وكان كثير الذكر والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلاوة القرآن، وتؤثر عنه كرامات ومكاشفات وتصريف همة، وخوارق عادات، وحكم، وأمثال تشفي العلل، وتزيح الإشكال، وتوفي رضي الله عنه سنة اثنتين وستين وألف، وسنه أربع وثمانون سنة، هكذا أخبرني بهذه الترجمة جميعها بعض المنتسبين إليه، إلا أني اختصرت منها كثيرا.

ثم تلي هذه الطبقة طبقة أخرى هي أطول منها إسنادا.

169) أبو عبد الله محمد بن موسى السريفي

ومنهم : الشيخ أبو عبد الله محمد بن موسى السريفي المعروف بالفجاج، قال في المرآة : هو من أهل البله في أمور الدنيا، والفطنة في أمور الآخرة حاله كحال الساهي في عالم آخر، فإذا نبه تنبه، ثم قال : إنه ذكر له صحبته للشيخ أبي المحاسن، وأنه أقام مدة بفاس عنده، وذكر له أمورا، وقعت له معه، ثم قال : وكانت في زاوية الشيخ أبي عبد الله الصباغ في القطانين من القصر عادة مستمرة، أن تبيت بها ليلة الجمعة، جماعة يجتمعون على الذكر، وكان صاحب الترجمة يبيت معهم إذا صادفها في مجيئه القصر، فبات ليلة هناك، فحدثني غير واحد ممن بات معه، أنه بعد هدوء من الليل بكى، ولما صلوا الصبح، قال لبعض الجماعة : أعينوني على شراء كفن وحنوط، فاشتروا له ذلك وخرج مسرعا إلى منزله من بلاد سريف، فتلقى نفرا بكروا ينعون إليه ابنه، فقال لهم : مات المسكين رحمه الله، حال من سبق إليه الخبر، ووصل إلى بلده، فجهزه بذلك الكفن والحنوط، وكان هناك رجل يطلب قتل رجل، له عليه جناية، فذكر للطالب أن الجاني يبيت في موضع هناك، فجاءه ليلا ليقتله، فغلط. وقتل ولد صاحب الترجمة، وغالب ظني أنه بات في النادر، على العادة في المبيت في الأنادر، ومن المستفيض عن أهل القصر، أنه جاء يوما إلى السوق فجلس وأسند ظهره إلى أسفل حانوت وأوقف عكازه بإزائه مسندا أعلاه إلى باب الحانوت فاختطفه صاحب الحانوت، ورمى به في قعر حانوته، فلما قام صاحب الترجمة، تفقد عكازه، فلم يجده، فسأل صاحب الحانوت عنه، فقال له : لا أدري، أحرقته النار، فقال الشيخ : النار، النار، يكررها، وصار في حينه إلى صاحب له هناك في الحانوت فقال له : لا يبيت لك في الحانوت شيء، فامتثل ذلك، وفي الليل تذكر مختطف العكاز حاجة في حانوته، فجاء إليه بمصباح معه، وفتحه، وتفقد حاجته وانصرف، وإذا به قد سقط من مصباحه شرارة، في بعض ما في

الحانوت، فاشتعلت وأحرقت جميع الحانوت، واستمر الحريق إلى غيره من الحوانيت، وسألته عن ذلك فقال لي : نعم، كان ذلك، شممت رائحة الدخان، فقلت لذلك الرجل : احمل ما في الحانوت، هذا الذي أجابني به، ثم ذكر وفاته، ثم قال : وأخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد الصباغ القصري[474]، وهو عن الشيخ أبي الحسن علي قنتدريرو[475] ثم قال : وأخذ أيضا عن الشيخ أبي شتاء[476]، دفين أمركو انتهى. وتوفي في أواخر العشرة الثالثة بعد الألف.

170) أبو الحسن علي بن منصور البوزيدي المعروف بأبي الشكاوي[477]

ومنهم : الشيخ أبو الحسن علي بن منصور المعروف بأبي الشكاوي البوزيدي، على ما سيأتي عن بعض تلامذته، ينتسب للشرف، كان رضي الله عنه من السباق، وأهل الإغاثة في البر، والبحر، والأحوال السنية، والواردات الربانية والبركات الظاهرة والطريقة السنية، والسيرة المرضية، وكان واقفا عند الشريعة معظما لها، محافظا عليه، وكان مع ذلك كله إذا قيل له : ادع لي، أو خاطرك معي، يقول للذي يقول له ذلك : يا ولد أخي، أنا منذ ثمان سنين مسلوب، فورد مرة على الشيخ أبي المحاسن الفاسي بفاس وكان كثير الورود عليه، وأقام عنده أياما فأصبح يوما، فقال له الشيخ أبو المحاسن : مالك ؟ فتغافل عنه، فأعاد عليه، فقال : أغثنا البارحة سفينة فضربني مقدمها في صدري، فقال له الشيخ أبو المحاسن تجاهلا : اغثتموها بالروحاني أو بالجثماني ؟ فقال له : أغثناها بالروحاني، واستجيب في الجثماني، وكان سيدنا الإمام سيدي محمد ابن عبد الله رضي الله عنه يقول : ما قال له هذا إلا ليسمع الحاضرين، فكأنه يقول اسمعوا، ولا تغتروا بقوله إنه مسلوب، فتحملوه على ظاهره، وإنما الواقع أنه غلبه عليه الوقت، وأنكر ما يعهد من نفسه كما وقع لجميع من في الوقت، واحسوا بذلك من أنفسهم، وجاء مرة بسبعة أوسق من القمح للبيع، ووضعه في موضع من زاوية الشيخ أبي المحاسن، ثم خرج، وأمر الشيخ أبو المحاسن بكيل القمح، ونقله إلى موضع آخر هنالك، لأمر اقتضى ذلك، فلما جاء صاحب الترجمة، قال لهم : لم كلتم زرعي ؟ وأنا غائب، إنا إذا نحضر لكيل زرعي يزيد، أعيدوا كيله، فأعادوا وجلس هو على الزرع، فزاد عن الكيل الأول، وكان ذلك بمرأى من الشيخ أبي المحاسن، فلما بلغت الزيادة خمسة أوسق، قال له الشيخ أبو المحاسن : يكفيك، قم عن الزرع، فقام وكيل ما بقي

---

(474) مترجم تحت رقم : 167.

(475) مترجم تحت رقم 132.

(476) مترجم تحت رقم 51.

(477) مترجم في كتاب الاغتباط بتراجم أعلام الرباط لبوجندار ص 435.

وكان وسقا، وبلغت الزيادة ستة أوسق، قال في المرآة : وكان يحب الشيخ أبا المحاسن محبة عظيمة، وكانت بينهما ألفة، ومعاشرة قديمة، وكان يزوره، ويقيم عنده ما شاء الله انتهى، وكان يضرب على ظهر سيدي يوسف، ويقول : بب يوسف الحبيب، بب يوسف الحبيب، يفرح به، وإذا أمره سيدي يوسف بأمر أو أشار عليه بشيء امتثل أمره، وانقاد له، وتبع إشارته، ويقول لأصحاب سيدي يوسف، احمدوا الله الذي أعطاكم هذا الشيخ المتين، تسارعون به هذا الزمان الصعب، الذي ظلامه متصل بالقلوب، ثم يقول : والله ياإخوتي، والله ما كلتم إلا من رأس العرمة، يعني معظم ما تراكم من القمح، وكان يقول لهم : أي شيء أنتم تعطونه حيث تأتونه بقلوب تراكم عليه الصدأ فيصقلها لكم، وجاءه مرة بإنسان، فقال له : ياسيدي، أردت أن تقبل هذا فيكون من جملة أصحابك، فقال له سيدي يوسف، فاقبله أنت ياسيدي علي، فقال له : لا سيدي، أنا لا أتزوج ثيبا يعني من سبقت له صحبة لغيره، وكان ذلك الإنسان قد صحب قبل ذلك بعض فقراء الوقت، فقال له سيدي يوسف، ولم أصحبه أنا وأفعل ذلك ؟ فقال له : ياسيدي، وهل تجعلني أنا الذي عندي نواة من المسك، مثلك الذي عندك القناطير، قال في المرآة : قدم علينا بفاس سنة أربع وألف، فقال للشيخ أبي المحاسن، إن الأجل قد قرب، وما جئت إلا لأودعك وانصرف، فمكث غير بعيد وسمعنا خبر موته بشالة، في السنة المذكورة، وبها كانت سكناه ودفن خارجها، وقبره هناك مشهور، معظم، مزور، وذهب عني تحقيق نسبته، والذي حضرني الآن متلقى من بعض تلامذته أنه أخذ عن سيدي العسال، عن سيدي محمد الزيتوني[478] عن سيدي اللهبي[479] عن سيدي مالك ابن خدة[480]، فليستظهر على ذلك ما أمكن، وقال لي ولده : إنه أخذ عن ستة وعشرين شيخا، آخرهم الشيخ أبو الحسن علي الشلي، السريفي[481]، لقيه بقرب وفاته رضي الله عن جميعهم، ونفعنا ببركاتهم آمين، ثم سمعت من يذكر أن سيدي مالك بن خدة عاصر الشيخ الجزولي، وأن صاحب الترجمة أخذ عن سيدي علي اللهبي، بلا واسطة وهو الآتي، على ما تقدم من كون سيدي علي اللهبي كان في وقت السلطان محمد الشيخ الدرعي والله أعلم، ولعل السند المذكور وقع فيه انقلاب، فيكون سيدي اللهبي، أخذ عن سيدي مالك بواسطة أو واسطتين والله أعلم.

171) أبو الحسن علي احماموش

وممن يظن أنه من هذه الطائفة، ولم أعرف سنده، وقيل إنه من أصحاب الغزواني :

(478) مترجم في التعليق رقم 152.
(479) مترجم تحت رقم 91.
(480) مترجم تحت رقم 35.
(481) مترجم تحت رقم 108.

الشيخ أبو الحسن علي حماموش دفين خارج باب الفتوح، أحد أبواب فاس، قال في الدوحة : كان رحمه الله من رجال التصريف، ظهرت على يده الخوارق، وكان الناس يدعون إليه الجن، فيرعوي لأمره، وتواتر الخبر عنه، بأن طائفة من الجن كانت تقرأ عليه القرآن، ثم ذكر حكاية عمن يوثق به تتضمن طاعة ملوك الجن له، وامتثالهم لأمره، ثم ذكر أن الدار المنسوبة إليه بطالعة فاس، لا تزال يسمع القرآن في جوف الليل بسقاليبها(482) التي كان بها مأوى الشيخ، وهي خالية من العمران، لا يقدر أحد على سكناها، وفيها سطلة وزير(483)، وسجادة، وأن الناس يقفون ببابها نهارا فقط للتبرك، وأنه سكنها، وأقام بها بأهله، أياما، ثم إن بعض أهله سمعت ذلك نهارا، فهابت ذلك فرغبت إليه في الانتقال، فساعفها ثم قال : إنه توفي في العشرة الثالثة، يعني من القرن العاشر، ودفن خارج باب الحمراء، من فاس، وقبره مشهور بزاويته هنالك.

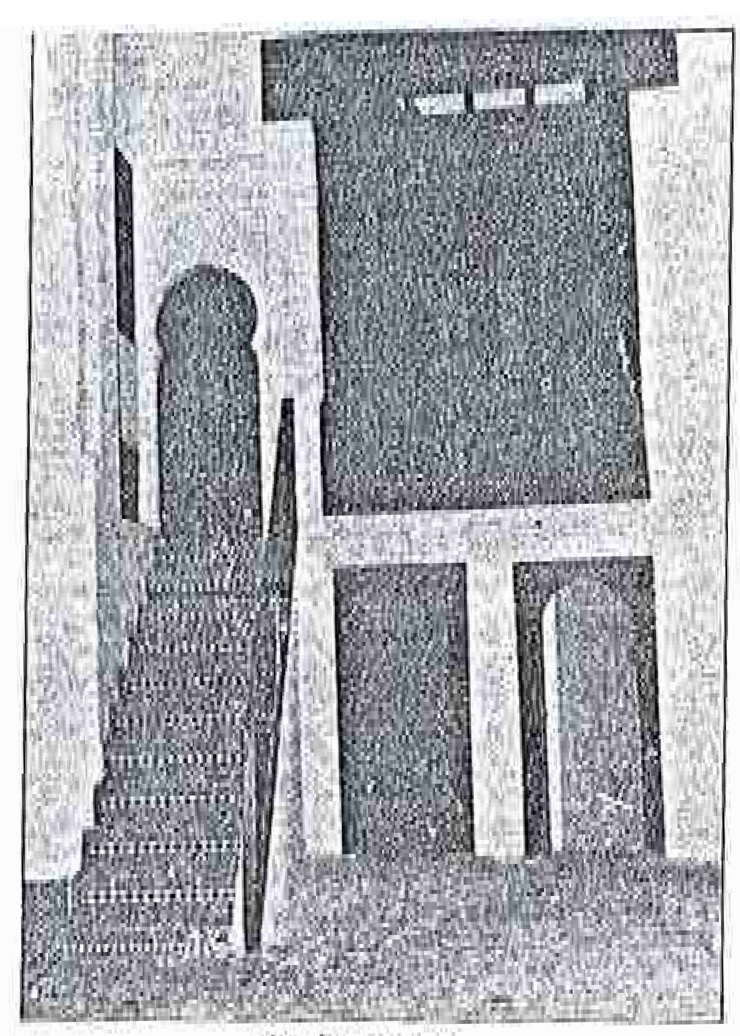
172) مبارك المراكشي

وممن هو من الطائفة الجزولية التباعية على ما حكي لي، ولا أعرف الآن اتصال سنده : سيدي مبارك بن تاعليوت المراكشي، دفين أهل باب الشريعة في مراكش، مع شيخه، وكان صاحب الترجمة على ما ذكر لي قويا، مترسما بالشريعة متسببا في الحياكة، وكان له أصحاب يجتمعون إليه في محل حياكته، وأخذ عن سيدي الناصر ابجاو، ضجيعه، ولم يسم لي باقي السند، وذكر لي أن سيدي أحمد ربوح المدفون معهما شيخ أحدهما، وأنه إنما بين سيدي الناصر، والشيخ التباع شيخ واحد والله أعلم هذا ما حضرني من التعريف بالشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي، ومن عرفته من أتباعه الأموات، واعتقد واعترف بأني ما ذكرت منهم قليلاً من كثير، ولا نقطة من غدير، ولا قطرة من مطر غزير، ولكن هذا مبلغ علمي القاصر، وباعي القصير، وإسأله سبحانه أن يعاملني بالسمح، فيما ارتكبته في حقهم من التقصير، وأن يرزقنا رضاهم، ويحشرنا في حماهم، فإنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد مورد الكل، ومنبع مددهم الغزير، وعلى آله وأصحابه أولي التعظيم له والتكبير، صلاة وسلاما دائمين بدوام ملك الله العلي الكبير.

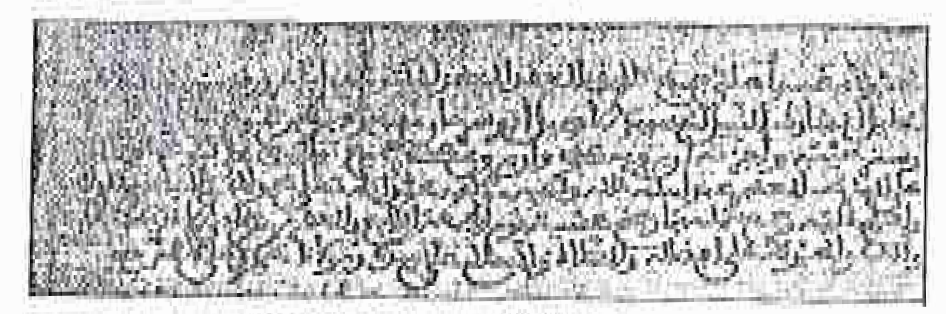
---

(482) السقاليب بيوت توجد في الطابق الأعلى من دور فاس القديمة.

(483) الزير إناء من طين كبير يوضع فيه الزيت.



صورة البيت الذي كان
يسكنه الشيخ الجزولي
حينما كان طالبا بالقرويين
بمدرسة الصفارين بفاس



محمد المهدي بن أحمد الفاسي
من نهاية كتابه : «العقد المنضد» من مخطوطات خزانة الرباط (66 ابن الجلاوي)

خط المؤلف

الملحـــق 1

حــزب الفـــلاح :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق، جزى الله عنا سيدنا ونبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل ما هو أهله، ثلاثا، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ثلاثا، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، ثلاثا، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاثا، سبحان ربي العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثلاثا، استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو بديع السماوات والأرض وما بينهما من جميع جُرمي وظلمي وما جنيته على نفسي وأتوب إليه ثلاثا، لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعا، لا إله إلا الله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة واحدة ثبتنا يارب بقولها، وانفعنا يارب بفضلها، واجعلنا من أخيار أهلها، واحشرنا في زمرة قومها، ثلاثا، آمين، آمين، آمين، آمين يارب العالمين.

ملـحـــق 2

يتعلق بواقعة قتل سيدي محمد بن سيدي علي الحاج الاغصاوي جد الشرفاء البقاليين

اكتفى المؤلف بقوله : قتيل أمير فاس في وقته، من غير أن يذكر القاتل، ولا سبب قتل هذا الشيخ الجليل، وملخص الواقعة أن المنصور السعدي عقد البيعة في حياته لولده محمد المامون، يوم الإثنين اخر شعبان سنة 987. وكان خليفة لأبيه على فاس، غير أن هذا الولد ـ كما وصفته كتب التراجم ـ كان فاسقا، خبيث الطوية، مولعا بالصبيان، مدمنا للخمر، سفاكا للدماء، غير مكترث بالشريعة، فقبض عليه أبوه بعد عنت شديد، وسجنه بمكناسة، وكان المنصور قد ولى ولده زيدان، على تادلا، وأبا فارس على مراكش.

فلما توفي المنصور سنة 1012 بايع أهل فاس ابنه زيدان وبايع أهل مراكش ولده أبا فارس، فسرح أبو فارس شقيقه محمد الشيخ المامون من السجن ليحارب أخاه زيدان، واشتعلت الحرب وأدت في الأخير إلى هزيمة محمد الشيخ وفراره إلى إسبانيا مع أمه الخيزران وعياله، وجماعة من قواده سنة 1017 مستصرخا بملك اسبانيا على أخيه زيدان، طالبا منه إعانته بالمال، والرجال، فأجابه ملك إسبانيا إلى طلبه، واشترط عليه تسليم العرائش، بعد إخلائها من السكان المسلمين، وقبل الشيخ، فأرسل قائده الكرني وأخلى العرائش، وقتل جماعة من سكانها الذين امتنعوا من مفارقة ديارهم، وهكذا مكن هذا القائد العرائش للإسبان، الذين استولوا عليها في رابع رمضان سنة 1019هـ، فقام الشريف أحمد العمراني بفاس، ودار على مجالس العلم مناديا بالجهاد والخروج لاعانة المسلمين (الاستقصا جـ 6 ص 21.20).

وقبل ذلك أراد محمد الشيخ أن يعتمد على فتوى العلماء فكتب إلى علماء فاس يستفتيهم في جواز افتداء أولاده من الكفار، بتسليم العرائش لهم، مدعيا أنهم أسارى عند الإسبان، فتجرأ بعض العلماء على إفتائه وتحقيق رغبته، ومنهم قاضي فاس محمد بن قاسم ابن القاضي، الذي قتل بعد مدة جزاء له على فتواه.

واختفت طائفة من علماء فاس خوفا وجبنا، ومنهم أبو عبد الله محمد الجنان، وأبو العباس أحمد المقري، مؤلف نفح الطيب، وفرت جماعة أخرى من فاس، ومنهم أبو

علي الحسن الزياتي، والمحدث الحافظ أبو العباس أحمد بن يوسف الفاسي. انظر (الاستقصا جـ 6 ص 22.21) ونشر المثاني جـ 1 ص 140.

وكان أشجع العلماء، وأثبتهم على الحق، وأحسنهم موقفا، وأجدرهم بالثناء والإطراء المترجم له في هذا الكتاب تحت رقم 121 الولي الصالح الشيخ أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن علي الحاج المعروف بالاغصاوي، جد الشرفاء البقاليين، المنتشرين في مختلف البلدان المغربية.

فلم يجبن هذا الشيخ، ولم يختف، ولم يفر بل جابه محمد الشيخ بالحق، وصرح بنقض بيعته، فغضب المامون على هذه المجابهة مما دفع شقيق الشيخ الاغصاوي إلى أن يكتب للسلطان معتذراً عن أخيه، طالباً عدم مواخذته لأنه مجذوب، تغلب عليه الأحوال، ولما علم أبو عبد الله الاغصاوي بهذا الاعتذار، بادر إلى مكاتبة السلطان معترضاً على ما قال أخوه، ومجابهاً السلطان في جرأة وشجاعة.

وكان موقف هذا الشريف رائعا مازال يضرب به المثل في الشهامة والصدع بالحق، والتضحية بنفسه في هذا السبيل، إذ وجه لمحمد الشيخ رسالة شديدة اللهجة، معبرا عن رأي العلماء الأبطال، وعلى موقف الصوفية الأبرار، وقد قتله محمد الشيخ ضربا، جزاء على موقفه عام 1017هـ، ودفن بحومة السياج من مدينة فاس.

وفي موقف هذا الشيخ الصوفي أقوى حجة على بعض الأغبياء الذين يتهمون جميع الصوفية بالتواطؤ مع الأجانب، ويرمونهم بالتخاذل والجبن.

وقد ذكر صاحب الاستقصا ج 6 ص 22 في التعليق أن المامون قتل هذا الشيخ بفاس، ونحن نستبعد أن يكون قتل بفاس، ونرجح رأي حفدته الذين يؤكدون أن قتله كان بقبيلة بني حسان، بين تطوان والشاون، في محل هناك يعرف إلى الآن بوطا سيدي محمد الحاج، ونثبت هنا نص الرسالة التي وجهها الشريف الشيخ محمد الأغصاوي البقالي إلى محمد المامون.. ويختلف النص المنشور في نشر المثاني جـ 1 ص 140 عن النص الموجود عند أحفاد هذا الولي الصالح.

نص الرسالة الواردة في نشر المثاني جـ 1 ص 140، مطبعة الرباط سنة 1977.

ما قاله علي - يعني أخاه - بعضه حق وبعضه كذب، بأي موجب قلعت محلتك من سلا وأتيت مُهَرْوِلا لهتك حرمة الاسلام ؟ ومن الزمك صرخة عبدة الاصنام والأوثان ؟ أكفر بعد إيمان أم احدثت (كذا) والله ما تدخل لي ديني أنت ولا علي، وبالله الذي لا إله إلا هو لا يحلف بأجل منه المهيمن الديان، لو وصلت إلى تطاون الا لقيتك بالله ورسوله حماية للكلمة الاسلامية، وغيرة على الأمة المحمدية، ما تراءت مني قط أولا ولا أخرا، سرا أو جهرا، حتى لم تسمع مني ما قال فيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه

وسلم : معظم الدين النصيحة، لكن لا إيمان لك مع الذين على عهده ولا عهدة، الحمد لله الذي أبعدني عن صحبتك، فقد أراد بي خيرا، **والله لا سعيت في وصلك أبدا لأن وصلك بعد من الله، وفصلك قرب من الله، فالوجود كله كان يخاطبني باللغة الصريحة بسبب مخالطتك، فلا تطمع بوصالي أبدا لأني وصلتك في الله**، ولم أخش في الله لومة لائم، وليس محمد بقائم والموت محيط بكل أحد، وهو قنطرة بين دار البقاء ودار الفناء، فإذا لقيت الله وهو راض عني، لا أبالي بما ألقى قبل لقائه، ولا خوف إلا لمن يقتل ولا يغفر، فإن كنت تقتل والله يغفر فلا فائدة في قتلك، والموت - كما قيل - مسلك ينتهج فيه المالك والمملوك، **فأنا اليوم وأنت غدا، وعند ربكم تختصمون**، أليس الله بكاف عبده، ويخوفونك بالذين من دونه، ومن يضلل الله فما له من هاد، ومن يهد الله فما له من مضل، **فكيف يا مخذول تسلم للنصارى دمرهم الله حصون المسلمين، ومعاقل الدين، والمساجد التي عبدوا فيها الله، وتلي فيها كلام الله، وانتصبت محاربهم لقبلة الاسلام**، وتعلقت بهم من حرمة مسجد الله الحرام ما أقامه مقامه في محلهم، كأنك لم تسمع قوله جل من قائل : إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام، وما يمنع النصارى أن يجعلوها ارويـة إن ملكوها، دمرهم الله ؟ وكيف تصح النسبة للاسلام لمن لم ينصر شرائع الدين قلما وقدما ؟ سبحان الله وبحمده ! نعم لو بعثت أربعة رجال من سلا، لما ظهر لك لوقع الكلام مع الناس، ويتفاوضون في الرأي الصالح، والحاضر يصير فيها يوافق شريعة الاسلام وفقا طوعيا عن رضا وتراض لكان اسلم لك عن هذا الخصوص، وإلا حيث سولت لك نفسك تسمع كلام من لا خلاق له ومن باع آخرته بدنياه، ومن يرى القرب منك أعظم من القرب من الله، ورأيت كأن الخلق ليس لهم خالق بل أنت خالقهم وليس غيرك، وأنك أحطت بجميع الخلق وأرواحهم بيدك، **فإذا استطعت قبض أرواحهم فافعل ما تريد**، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فكيف يا مسكين ان انطمست بصيرتك عن منهاج الحق وتحملت سريرتك ما لا يطاوع من الخبث ؟ لو كان الخير فيك لعكس بصرك إلى بصيرتك، ولاتخذت من العلماء لصحبتك أهل الورع الذين تجدهم دنيا وأخرى، ولظهر حسن سيرتك على خديمك من زمان، من هو ملازم لخدمتك الآن لا يحرم حراما كان، ولا يكون لك عليه ملك، لا حاجة لي بخلطتك البتة، قل فلله الحجة البالغة، ومن أسر سريرة ألبسه الله رداءها والسلام.

ملـحـــق 3

يتعلق بترجمة الشيخ أبو البقاء وأبو محمد عبد الوارث الياصوتي رقم الترجمة 41 صفحة 96.

الشيخ أبو محمد عبد الوارث الياصوتي، من ذرية الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، الذي يلقب بذي النورين لانه صاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين فإنه تزوج بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم إحداهما بعد الأخرى، ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره. تزوج رقية قبل النبوة وتوفيت في أيام غزوة بدر. ثم تزوج بعد وفاتها أختها أم كلثوم وتوفيت سنة تسع من الهجرة، ويلتقي مع الرسول في جده الثالث الذي هو عبد مناف بن قصي، وكان من أغنياء العرب يجهز الجيوش الإسلامية بسخاء.

ومايزال بالمغرب حفدته معظمين مكرمين محترمين ويعرفون بالزروالي الوارثي، وقد اعترف الملوك العلويون بأمجادهم ونسبهم فأنعموا عليهم بظهائر ملكية منهم المولى الحسن، والمولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، يطلبون توقيرهم. وقد ورث أحفاده من أجدادهم النبل وعزة النفس والأمانة والابتعاد عن المظاهر. وفي قبيلة بني زروال مدفن جدهم به يقام موسم سنوي للذكر والمذاكرة والزيارة. ونكتفي بنشر ظهير واحد من الظهائر التي توجد عند حفدته.

[illegible]

كتابنا هذا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والسلام [illegible] الحجة الحرام [illegible]

الفهارس

فهرس الآيات الواردة في الكتاب

الآيـــة	رقمها	السورة	رقم التعليق
1) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا	96	سورة مريم	37
2) محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون	27	سورة الفتح	45
3) وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون	56	الذاريات	71
4) قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة انا ومن اتبعني	108	يوسف	72
5) واتبع سبيل من اناب إلي	15	لقمان	73
6) ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون	18	الجاثية	74
7) ثم دنا فتدلى	8	النجم	76
8) لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها	179	الأعراف	82
9) ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها	180	سورة الاعراف	141
10) قد علم كل أناس مشربهم	60	سورة البقرة	165
11) تسقى بماء واحد	4	الرعد	166
12) وما منا إلا له مقام معلوم	164	الصافات	167
13) وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة	23.22	القيامة	171
14) مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان	20.19	الرحمن	183
15) ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من			

الآيـــة	رقمها	السورة	رقم التعليق
حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه	2 و3	الطلاق	228
16) الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر	26	الرعد	277
17) فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين	17	السجدة	302
18) ومن يتق الله يجعل له مخرجا	2	الطلاق	315
19) ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا	96	الأعراف	316
20) وكان أبوهما صالحا	82	الكهف	317
21) وربك يخلق ما يشاء ويختار	68	القصص	318
22) ونزعنا ما في صدورهم من غل	47	الحجر	320
23) ففروا إلى الله	50	الذاريات	321
24) وعجلت إليك رب لترضى	84	طه	322
25) قل أي شيء أكبر شهادة قل الله	19	الأنعام	323
26) ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا	32	فاطر	336
27) إذا السماء انفطرت إلى يوم لا تملك	19-1	الانفطار	339
28) ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة	100	النساء	341
29) ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء	21	الحديد	343
30) فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون	55	هود	420
31) واتبع سبيل من أناب إلي	15	لقمان	422
32) ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما	73	النساء	427
33) والسماوات مطويات بيمينه	67	الزمر	451
34) وإنك لعلى خلق عظيم	4	القلم	456
35) فلا تكونن من الجاهلين	35	الأنعام	469

فهـــرس الأحاديـــث

الحـديـــث : الصـفـحـة



فهرس الكتاب

الموضــوع	صفحة	الموضــوع	صفحة

الموضـــوع	صفحة	الموضـــوع	صفحة

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

فهرس الكتب المذكورة في الكتاب

فهرس المدن والأمكنة

فهـــرس الاعـــلام
الواردة في الكتاب

مصـــادر التحقيـــق

1) ازهار الرياض لأحمد المقري طبعة 1978.

2) اعلام المغرب العربي لعبد الوهاب بن منصور طبعة 1986.

3) اتحاف اعلام الناس لعبد الرحمن بن زيدان طبعة 1990.

4) البينة وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية عدد 4 السنة 1

5) التشوف ليوسف التادلي طبعة 1984.

6) تهذيب الأسماء واللغات لمحي الدين النووي الطبعة المنيرية بدون تاريخ.

7) تارخ قبيلة بني ملال لمحمد البشير بوسلام طبعة 1991.

8) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي.

9) جذوة الاقتباس لأحمد بن القاضي المكناسي طبعة 1973.

10) الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون لعبد القادر العافية طبعة 1982.

11) دوحة الناشر لابن عسكر طبعة حجرية.

12) ديوان ابن الفارض.

13) ديوان المتنبي شرح عبد الرحمن البرقوقي طبعة 1938.

14) الزاوية الدلائية لمحمد حجي طبعة 1964.

15) سلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر الكتاني طبعة حجرية 1316.

16) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد مخلوف.

17) صفوة من انتشر لمحمد الدفراني طبعة حجرية.

18) طبقات الحضيكي طبعة 1938.

19) عارضة الاحوذي لأبي بكر بن العربي طبعة 1931.

20) فاس قبل الحماية لروجي لوطورنو طبعة 1992.

21) الاستقصا لأحمد الناصري طبعة 1955.

22) الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام للعباس بن إبراهيم طبعة 1974.
23) الاعلام لخير الدين الزركلي طبعة 1980.
24) الاغتباط بتراجم اعلام الرباط مصورة.
25) مرآة المحاسن لمحمد العربي الفاسي طبعة حجرية 1924.
26) محاضرات اليوسي للحسن اليوسي طبعة 1976.
27) الموسوعة المغربية لعبد العزيز بنعبد الله طبعة 1981.
28) المغرب الصديق بن العربي طبعة 1956.
29) مؤرخو الشرفاء ليفي بروفنسال طبعة 1977 تعريب عبد القادر الخلادي.
30) نشر المثاني لمحمد بن الطيب القادري طبعة 1982.
31) نزهة الحادي لمحمد الافراني الطبعة الثانية بدون تاريخ.
32) نيل الابتهاج لأحمد أقيت التنبكتي طبعة 1929.
33) وفيات الونشريسي طبعة 1976.